المشرق

السنة السابعة والاربعون | اذار – نيسان ١٩٥٣

بعض غرائب القاموس العربي

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

في القاموس العربي غرائب عديدة قلما نجد امثالها في قواميس اشهر اللغات ، فرأينا ان نذكر شيئاً منها ببعض التفصيل لفائدة قراء المشرق وتفكهتهم ، وقد جعلنا لكلٍّ منها فصلاً خاصاً .

الفصل الاول : كثرة الكلمات والتعابير المترادفة

قد فاقت لغتنا اشهر اللغات بتلك الكثرة الفاحشة ، بسبب انتشارها في اقطار عديدة من آسية وافريقية واوربة ، واختلاف تطورها في تلك البلاد منذ اربعة عشر قرناً على الاقل . حسبنا ضرب مثلين على تلك الميزة : الاول عن الكلمات ، والثاني على التعابير .

للداهية مئات مرادفات مأنوسة او مماتة ؛ هاكم بعضها : نكبة ، خطب ،

محنة ، مصيبة ، ملمة ، نائبة ، نازلة ، كارثة ، فاجعة ، جائحة ، بائقة ، قارعة ، طارقة ، غائلة ، فادحة ، واقعة ، دائرة ، رزء ، رزيئة ، شدة ، كريهة ، جُلى ، ضيق ، طامة ، عُسرة ، ضرّاء ، بَرْح ، تبريح ، بُرحاء ، شَعراء ، بائجة ، وامئة ، حازبة ، فاقرة ، طُلاطِلة ، عنقاء ، رقِم ، فِلق ، يِسْبِد ، بُجْرِيّ ، صيلم .

التعابير الدالة على الاغتياب عديدة جدًّا ، ما عدا المفردات المرادفة لها ، ومن جملتها : اعترض العِرضَ ، مزَقهُ ، مرّغه ، نهكهُ ، وضَره ، هتّه ، نحته ، لاكه ، نال منه ، مرج لسانه فيه — اكل لحم فلان ، رتع في لحمه ، كسر اظفاره في فلان ، قرع صَفاته ، نحت أثْلته ، وضَعه على المنصة .

ملحق بالفصل الاول : كثرة المترادفات التي لا تختلف بسوى حرف واحد

نذكر فيما يلي بضع مئات من تلك المترادفات ، وقد رتبناها وفقاً للحرفين المختلفين في كل زوج منها . لم نضع في الغالب ادنى حركة على الافعال التي على وزن فعَل . اما الاسماء فقد جعلنا فوق حرفها الاخير علامة التنوين لتمييزها عن الافعال عند اللزوم .

الهمزة

الهمزة والباء : تأ وتتب .

الهمزة والحاء : ارّش وحرّش بين القوم ، إزاءه وحذاءه .

الهمزة والزاي : توكأ وتوكز .

الهمزة والعين : كثأة وكثعة (طثرة اللبن) ، تلألأ السراب وتلعلع ، مأا القط ومعا ، موتٌ زُؤاف وزُعاف .

الهمزة والغين : مأا القط ومغا وماغ .

الهمزة والقاف : زُهاء مئة وزُهاق .

الهمزة والنون : اشر ونشر بالمنشار .

الهمزة والهاء : اراد وهراد ، اراق وهراق ، آلٌ وهال (سراب) ، صأل الحصان وصهل .

الهمزة والواو : آسى وواسى ، انب ووتب ، ارّخ وورّخ ، نأى ونوى ، ارّش وورّش بين القوم ، اشر ووشر بالمنشار ، إلادة وولادة ، إرثٌ وورث .

الهمزة والياء : اسن الماء ويسن ، أمام ويَمامة (قُدّام) ، ألمعي ويلمعي .

الالف المتطرفة

الف وباء : استوعى واستوعب الشيء (اخذه كله) .

الف وثاء : نأى ونأث .

الف وراء : نثا ونثر ، وفى ووفر (كَثُر) ، قشا وقشر .

الف وعين : موشّى وموشّع .

الف وقاف : محا ومحق ، هفا القلب وخفق ، تنشى وتنشق .

الف ولام : املى عليه وأملّ ، ومى ووصل (ضم) .

الف ونون : وهى ووهن .

الباء

باء وفاء[1] : وجب القلب ووجف ، يصبُ ويصف ، يشبُ ويشف ، بحث وفحص ، قارب وقارف ، قبّأن وقفّان ، انبلج الصبح وانفلج ، طبق يدرس وطفق ، قبرٌ وكفر .

باء وميم : كَثَبٌ وكَثَم (قُرب) ، كبح وكمح ، بتر ومتر ، بحتٌ ومحت (خالص) ، انتدب وانتدم (تيسر) ، يشبُ ويشم ، غيهبٌ وغيهم ، تراكب وتراكم ، هرب وهرم .

باء وراء : نقب عن الشيء ونقّر .

باء وقاف : نعب الغراب ونعق ، اوباش واوقاش .

باء ولام : نخب ونخل (اختار الاحسن) .

باء وهاء : بشّ وهش (بشوش) .

التاء

تاء وطاء : تاه وطاح ، لتخ ولطخ ، تلع النهار وطلع ، غلت وغلط ، غت وغط الشيء في الماء ، وهتة ووهطة (وهدة) ، مت ومط (مد) ، تمَى وتمطى (تمدد) ، ماتن وماطل .

تاء ودال : مت ومد ، تمى وتمدد ، قتّر وقدّر (عيّن المقدار) ، صِت وصد .

---

١) قد وضعنا الفاء ثم الميم قبل سائر الحروف الابجدية ، لانها اقرب منها الى الباء باللفظ . سيجد القارئ مثل ذلك الترتيب في كل جداول هذه المترادفات .

تاء وزاي : نتخ وترع ، انتح وانترع .

تاء وصاد : لِصتُ ولص .

تاء وثاء : ناب وثاب (عاد) ، نار البحر وثار .

تاء وجيم : نُتفة ونُجفة .

تاء وراء : صنع خصمه وصرعه .

تاء ونون : تاب وناب (عاد) .

تاء وواو : تُجاهه ووُجاهه (بإزائه) ، تُراث وورث .

الثاء

ثاء وذال : تلمثم وتلمذم .

ثاء وسين : تلمثم وتلمسم ، مرث الصبي اصبعه ومرسها (لاكها) .

ثاء وصاد : بحث وفحص .

ثاء وشين : نبث البئر ونبشها (اخرج ترابها) .

ثاء وضاد : نكث العهد ونقضه .

ثاء وفاء : ثوم وفوم .

ثاء وقاف : تفرث الناس وتفرقوا .

ثاء وميم : تلاطث وتلاطم .

الجيم

جيم وكاف : ارتجّ وارتكّ ، رِجسٌ ورِكس ، جهد وكهد (تعب) ، جاد وكاد بنفسه ، لاج ولاك ، تجبر وتكبر .

جيم وقاف : مالَجٌ ومالق (آلة البنّاء) ، تلمج[1] وتلمق ، مزج اللبن بالماء ومزقه ، دواء ناجع وناقع ، جازى وقاذى ، جرح وقرح ، رِجم ورِقم ، سيلٌ جُحاف وقُحاف ، جذّف وقذّف ، جدع وقطع .

جيم وحاء : مِنتجة ومِنتحة (إست) .

جيم وخاء : ازلج الباب وازلخه ، ضمّجه بالطيب وضمّخه .

جيم وذال : لمج الطعام[2] ولمذه .

---

١) تناول طعاماً قليلاً قبل الطعام الكامل .

٢) اكل باطراف فمه .

جيم وزاي : هجيع من الليل وهزيع .

جيم وضاد : هيّج وهيّض .

جيم وغين : مِجداف ومِندف .

جيم ولام : اعجزه واعثره .

جيم ونون : جاع وناع .

جيم وهاء : جاع وهاع .

جيم وياء : شجَع وشيَع .

الحاء

حاء وهاء : رحيق ورهيق (خمر) ، لحس ولهس ، مدح ومده ، مزح ومزه ، نوّاحة ونوّاهة ، حثا وهثى التراب .

حاء وخاء : نضح ونضخ (رش) ، فحّت الحية وفخّت ، رضح ورضخ النوى (كسره) .

حاء وغين : فاح وفاغ .

حاء وعين : لفحته النار ولفعته ، لوحته الشمس ولاعته ، زاحم وزاعم ، لمح النجم ولمع ، نحم ونعم (حرف جواب) ، لحك ولعق ، مسح ومسع ، انتح وانترع ، طبّح وضبّع .

حاء وجيم : فاح وفاج .

حاء ودال : لحس ولدس .

حاء وضاد : نضح ونض (رشح) .

حاء وقاف : حفاوة وقفاوة ، صفّح وصفّق ، توشح بثوبه وتفشق

حاء وكاف : انتحس وانتكس .

حاء ونون : منح ومن ، جحدله وجندله

الخاء

خاء وغين : دخل ودغل[1] ، خفي عليه وغبي ، خضم وغطم

خاء وهاء : خفق القلب وهفا ، خمد وهمد ، ضخم وطهم .

خاء وطاء : لخم ولطم .

١) دخل دخول المريب .

خا. وعين : تخ ونزع . قلخ شجرةً وقلعها .

خا. وفا. : تخلص وتفلص .

خا. وقاف : تخالل وتفاتر ، خطِف وقطف (اخذ بسرعة) ، مالخه ومالقه .

خا. وكاف : خدش وكدش ، مَخّخ[1] ومك .

خا. وميم : خالط ومالط ، تخلص وتملص .

الدال

دال وضاد : ناهد وناهض ، اندّ الزادَ وانفضه ، ودية ووضيمة .

دال وطا. : مد ومط ، تمدد وتمطى ، ومدة ووهطة ، داس وطاس ، دبق وطبق ، لدم ولطم .

دال وجيم : داسوس وجاسوس ، ارمد وارتمج ، مد ومج ، هدم وهجم (خرب) ،

دال وذال : جدف وجذف (حرك المقذاف) ، جودي وجوذي .

دال ورا. : طرد وطر ، منقاد ومنثار .

دال وزاي : دغدغ وزغزغ ، تمدم وتمزم ، لدك ولزق .

دال وسين : ناد (تمايل من النعاس) وناس (تذبذب) .

دال وعين : جد (قطع) وجدع (قطع الانف وما شاكله) .

دال وقاف : زنبد وزنبق (فني) ، ندل ونقل .

دال وكاف : هد وهدك (هدم) .

دال وميم : هد وهدم ، صد القارورة وصمها (سدها)

دال وها. : دوت الأذن وهوت .

الذال

ذال وزاي : لاذ به ولاز اليه ، موتٌ ذُعاف وزُعاف .

ذال وضاد : نبذ الشريان ونبض .

ذال ولام : ذوى البقل والوى (يبس)

الراء

را. ولام : رصف الحجارة ولصفها ، وفَّر ووفَّل ، انسدر وانسدل ، مدر الحام وهدل ، جحدره وجحدله (جندله).

---

١) استخرج مُخ العظام .

راء وغين : مرث[١] ومغث .

راء وقاف : منقار ومنقاق .

راء وميم : عيشٌ رغدٌ ومغد ، ذهب دمه هدرًا وهدمًا .

راء ونون : امرٌ على الامر وامنٌ ، ارتكس[٢] وانتكس .

راء وواو : رفيق ووفيق .

الزاي

زاي وسين : لزِق ولسِق ، ازمه الطريقَ والسمه اياه ، غرز وغرس ، تلمز وتلمس ، مارز ومارس ، تردع وترسع ، نخز ونخس .

زاي وصاد : زدر وصدر ، فُرزة وفرصة ، لزِق ولصِق ، مز ومص ، رزاز ورصاص ، رزين ورصين .

زاي وشين : توزع وتوشع ، لكز ولكش ، تقزع السحاب وتقشع .

زاي وضاد : هزم الحقَ وهضمه : لكز ولكض .

زاي وطاء : وخزه الشيب ووخطه .

زاي ولام : زُهاء مئةٍ ولُهاء .

زاي وميم : لكز ولكم .

زاي ونون : زهاء مئةٍ ونُهاء .

زاي وهاء : ترّز وترّه (ابعد وبرأ) .

السين

سين وصاد : قلس وقلص ، ما نبس بكلمة وما نبص ، سخَّر وصخَّر ، ساق الدابة وصاقها ، سائقٌ وصائق ، سونٌ وصوق ، سويق[٣] وصويق ، دعس بالرمح ودعص (طعن) ، ناسور وناصور ، اسبغ النعمة واصبغها ، سُقعٌ وصُقعٌ ، مِسقع ومِصقع (فصيح) .

سين وشين : مسّح ومشّح ، سأزٌ وشأز ، نحست الحية ونحشت .

سين وطاء : قلس وقلط .

---

١) مرث الدواء في الماء : انقعه فيه .

٢) وقع في شر كان قد نجا منه .

٣) الناعم من دقيق الحنطة والشعير .

سين وكاف : لسمت المقرب ولكمت .

سين ولام : غأس وغأل (غام) .

الشين

شين وصاد : يشف ويصب .

شين وفاء : نتش الشعر ونتفه ، ندش القطن وندفه .

شين وكاف : شمخ بانفه وكمخ .

شين وميم : شق ومق .

شين ونون : شهق الحمار ونهق .

الصاد

صاد وظاء : واصب وواظب ، اصحر الشيء واظهره .

صاد وضاد : مصمص الماء في فمه ومضمضه ، رقص الجمل وركض ، صئ وضد .

صاد وطاء : املصت الحامل واملطت (اسقطت ولدها) ، لون ناصع وناطع ، غاص وغاط .

صاد وكاف : واصب وواكب (واظب)

صاد ولام : انقص وانفصل .

الضاد

ضاد وطاء : غضب وعطب ، ضيّم وطيّح ، ضخُم وطهّم .

ضاد وظاء : تضافر وتظافر .

الطاء

طاء وظاء : ناطور وناظور .

طاء وعين : نبط الماء ونبع .

طاء وغين : مط الشيء ومغطه ، نبط الماء ونبغ (نبع) .

طاء وقاف : مشط وشق ، مسطع ومصقع (فصيح) .

طاء ونون : اعطى وانطى(١) .

---

١) هذا الفعل مستعمل بمعنى العطاء في لغة العراق العامية .

العين

عين وغين : مس ومنس (طمن) ، نعق الغراب ونغق ، عبر وغبر ، افعم الاناء وافغمه ، لعق ولغف ، عطب وغضب .

عين وفاء : عرك وفرك .

عين ولام : دعك ودلك ، قانه وقانه .

عين وميم : صمّم على رأي وصمم .

عين ونون : عنف ونتف .

عين وواو : لُعاب ولُواب .

الغين

غين وقاف : نبغ ونبق (ظهر) ، غمس وقمس

غين وكاف : غربال وكربال ، مغرة(١ ومكر

غين وهاء : اغتمّ واهتم ، تغطرس وتهطرس (تبختر) .

الفاء

فاء وقاف : صافع وصاقع (افلس) ، لغف ولعق .

فاء ولام : نحيف ونحيل .

فاء وميم : صافع وصامع (افلس) .

فاء ونون : فتق ونتق .

فاء وهاء : فودج وهودج .

فاء وواو : تفشح بثوبه وتوشح .

القاف

قاف وكاف : لعق ولعك ، قطّع وكطّع ، قاتله الله وكاتله ، قاربَ وكاربَ ، عربي قُح وكُح ، قبرٌ وكفر ، عِقال وعِكال ، قحط العامُ وكحط .

قاف وهاء : انقار وانهار .

الكاف

كاف وهاء : لكز ولهز (لكم) .

١) نوع من الطين الاحمر يُصبغ به .

اللام

لام وميم : التُمع لونه وامتُقع ؛ غَمَال وغمَام .

لام ونون : دمل الارض ودمنها؛ استقلَّ بالامر واستقن؛ قُلَّة الجبل وقُنَّته؛ التُمع لونه وامتُقع ، لدَّ به وندد .

لام وهاء : نبيل ونبيه.

الميم

ميم ونون : مَخ ونخ ، مسخه ونسخه (شوه صورته) ، غيم وغين ، لون قاتم وقاتن، منى ونني (تكلم بوضوح)، مجدَ ونجد (سهل مرتفع)، سخم وسخن ، كم وكن (اخفى) .

ميم وهاء : مَوماة وهَوماة (صحراء) ، امتُقع لونه واهتُقع ، لطم ولطه .

ميم وواو : مهَّد الفراش ووهَّده .

الواو

واو وياء : خور وخير (انحدر) ، موعة الشباب وميعته ، هُوام وهُيام.

الفصل الثاني : كلمات فيها حكاية اصوات

تلك الكلمات كثيرة جدًا في لغتنا ، وقد ميّزنا بينها نوعين : الاول على اوزان شتى ، والثاني على وزن فعفعَ ومشتقاته ، وقد عنينا به تساوي مقطعي الفعل كما نرى في ضعضع .

النوع الاول : كلمات على اوزان شتى

هاكم بعض امثلة عليها مقسومةً الى عدة طوائف .

١ كلمات تدل على اصوات الحيوانات والاشيا. — عوى ونبح الكلب. ما. القط . نهق الحمار . صهل الحصان . قبع الخنزير . ثأج الخروف . خارت البقرة . قاقت الدجاجة . غرد العصفور . هدرت الحمامة . نعب الغراب . نقّت الضفدعة . زأر الاسد . فحّت الحية . طن الذباب — وعُ الطفل الباكي وابن آوى . ضوضاء الناس في الازدحام . هزيم الرعد . خرير المياه . طنين الجرس . ازيز القِدر (عند الغليان) . نشيش اللحم (المطبوخ في القدر).

٢ً افعال من جملة افعال الانسان — شرب . مص . تفل وبصق . نفخ . بح . سعل وقحب . عطس . جشأ . غط ، بخ ، فح ، خر النائم . همس . صاح ، صرخ ، زعق ، عج ، ضج . ان ، آه ، ناح . صفر . زمّر . كسر ، قطع ، قص . شق . دق . صدم .

٣ً اسماء حيوانات واشياء — غراب . لقلق . وطواط . وروار . زُرزور . خزباز (ذباب في روضة او نحوها) — صفصاف[1] . ريح . رعد . قبقاب[2] . جرس . ناقوس . جُلجل . خلخال . طَبل . دف . بوق .

النوع الثاني : افعال على وزن فعفع ومشتقاتها

افعال دالة على اصوات الناس وحركاتهم

١ً افعال مختصة بالكلام — تمتع ، تخنخ ، تغتغ ، تفتغ ، ضغضغ ، عطعط ، تمتم ، جمجم ، مجمج ، غمغم ، مغمغ ، لثلث ، لجلج ، رجرج (تردد في الكلام عن عيّ ولم يوضحه) . بعبع ، بقبق ، ترتر ، ورور ، وطوط ، فصفص (تكلم بغاية السرعة) . بربر ، فرفر ، ثرثر (اكثر الكلام بلا فائدة) . وسوس ، وشوش ، فتفت ، همهم (همس) . نحنح وقحقح (تردد صوته في حلقه) . خمخم وخنخن (تكلم من انفه) . وهوه (ردد صوته عن حزن او جزع) . دمدم (تكلم بغضب) .

٢ً افعال مختصة بالضحك والصياح — قهقه ، قرقر ، كدكد ، كركر ، هأهأ (اغرب في الضحك) . كتكت (ضحك دون القهقهة) — بربر ، صرصر ، عجعج (صاح بل . صوته) . وحوح (صاح ببحح) . ولول (ناح) . دقدق ، ضأضأ ، عطعط ، وعوع الناس (ضجوا) . غمغم الجنود (صاحوا عند القتال) . جهجه بالسبع (صاح به ليبعده) .

٣ً افعال دالة على السير وتحريك اعضاء الجسم — سمسم (مشى على مهل) . دخدخ ، ذخذخ ، دفدف ، سعسع ، غلغل ، فرفر ، ململ ، هتهت ، هطهط ،

---

١) في هذا الاسم حكاية حفيف اوراق الصفصاف عند هبوب الريح .

٢) في هذا الاسم حكاية وقع القبقاب عند سير المحتذي به .

وزوز (مشى بسرعة) . فلفل (مشى مسرعاً وتبختر) . مكمك (تدحرج في سيره) — دلدل رأسه او ذراعيه (حركها في سيره) . نزنز (حرك رأسه) نضنض لسانه (حركه) . كهكه (نفخ في يده لازالة البرد) . دغدغ (اثار الضحك بلمس بعض مواضع الجسم) . دردر التمر (لاكه) . غرغر ، مضمض الماء او نحوه في فمه (حرك الماء فيه) . نشنش ببوله (اساله) .

٤ً افعال دالة على تحريك الاشياء — مشمش ، مزمز ، دأدأ ، زأزأ ، طلطل ، جلجل ، قلقل ، لقلق ، نجنج ، نصنص ، عسعس ، صعصع ، هرهر ، هشهش ، هفهف الشيء . (حركه) . تعتع ، زعزع ، نشنش الشيء . (حركه بعنف) . زحزحه (ازاحه) . تقثث وتلصلص الوتد (حركه ليقرعه) . حصحصه (حركه ليستقر في غيره) . تنعنع الشيء (تحرك) دهده الحجر (دحرجه) . ترضرض الحجر (تحرك او تكسر) . سبسب ، سلسل ، ثجثج الماء (اساله) . رقرقه (صبه رقيقاً) . خضخضه (حركه) . شعشع الشراب (مزجه بماء) . شغشغ الماء في اناء (صبه فيه ولم يملأه) . حثحث الميل في العين (حركه) . شفشف الدواء على جرح (ذره) . حسحس اللحم (قلبه على الجمر) . دعدع المكيال (هزه ليسع ما يكال فيه) . دكدك حفرة (ملأها تراباً) . تأتأ النار (اطفأها) . طحطح ، هتهت الشيء (كسره) . شرشره (شققه) . لعلع العظم او نحوه (كسره) . ضعضع البناء (هدمه حتى الارض) . زلزل الله البلد .

افعال دالة على اصوات الحيوانات وبعض حركاتها

شقشق ، شحشح ، جرجر ، قرقر الجمل . جعجعة (اصوات جمال مجتمعة) . وأوأ ، وقوق ، وعوع الكلب (وقفقف اذا نبح عن خوف) . حمحم ، هطهط الحصان . مأمأ الخروف والظبي خفخف الخنزير والضبع . وعوع الثعلب وابن آوى . ضمضم الاسد . خرخر السنور والنمر . صمصم القنفذ . زقزق ، شقشق ، صفصف الطير المغرد . عقعق الطير (ردد صوته) . قرقر الدجاج . وكوك الحمام . زرزر الزرزور . صرصر الصرد والصقر . قطقط الحجل . لقلق اللقلاق . كشكشت الحية (صوتت بجلدها) . دندن ، طنطن الذباب . رفرف الطير (حرك جناحيه) ، حفحف (اسمع صوت طيرانه) .

لألأ الثور بذنبه (حركه) . لظلظت الحيـة رأسها (حركته عن غيظ) دقدقت ، طقطقت ، دبدبت حوافر الدواب (صوتت في اثناء السير) .

افعال دالة على اصوات الاشياء

١ً افعال مختصة بالماء — طبطب الماء والسيل (صوّت) . جرجر (صوّت في حلق شاربه) . شلشل (قطر) . ترشرش (سال) . جبجب (سال قليلاً) . تسحسح (سال من فوق) . رعرع (سال على وجه الارض) .

٢ً افعال مختصة بالنار وبما وُضع عليها — حفحفت ، زمزمت النار (صوتت عند التهابها) . حشحشت الشيء (احرقته) . معمع الشيء المحترق (صوّت) . تشتش اللحم في القِـدر (سُمع نشيشه) . بقبقت ، غطغطت ، غرغرت ، نشنشت القِدر (سُمع صوت غليانها) .

٣ً كلمات مختصة بالريح — ريحٌ سجسج (خفيفة) ، نسنست ، هرهرت الريح (صوتت) ، سنسنت (هبت باردة) . سفسفت الشيء (اطارته على وجه الارض) . ذعذعت الشجر (حركته بعنف) .

٤ً كلمات شتى — همهم ، لعلع الرعد (سُمع هزيمه) . جلجل السحابُ (سُمع رعـده) . طنطن ، صلصل الجرس والطست . خشخش ، شخشخ السلاح والحلي والورق والثوب الجديد وكل شيء يابس . صلصل اللجام والحلي . شسشس الدرع والحلي . خنخنف ثوبه الحديـد او الورق (حركها فصوّتا) . قضقض العظم (صوت عند انكساره) . تكتكت الساعة ، بقبق الكوز في الماء (صوت عند امتلائه) . زمزم الشيء (دوى عن بعد) . ذبذب الشيء المعلق (اهتز) . جعجعة الرحى . تحتحـة (صوت حركة سير من جلد) . كدكدة (صوت اصطدام شيئين صلبين) .

مُلحق الفصل الثاني : كيفية صوغ الافعال على وزن فعفع

كثير من تلك الافعال — سواء ادلّت على تلك الاصوات ام لم تدل — مشتق من عدة انواع كلمات ، هاكم بيانها :

١ً افعال مشتقة من افعال ثلاثية مضاعفة مرادفة لها — قف وقفقف النبات

(يبس) . كس وكسكس الشيء (دقه دقاً شديداً) . كف وكفكف الرجلَ عن الشيء . كم وكمكم الشيء (اخفاه) . لمه ولملمه (جمعه) . رجه ورجرجه (حركه) . كبه وكبكبه (قلبه) . نطّه ونطنطه (مده) . رمّه ورمرمه ، نكّه ونكنكه (اصلحه) . هزه وهزهزه . قصه وقصقصه . ذر وذرذر الحبَّ او الملح . رص ورصرص البناء . غض وغضغض الماءَ (انقصه). رك وركرك (ضعُف) . بخ وبخبخ النائم ، فح وفحفح ، خر وخرخر (غط) . هب وهبهب (اسرع) . عج وعجعج (صاح) . فد وفدفد (رفع صوته) . حن وحنحن عليه . حثّه وحثحثه على الشيء . هد وهدهد الجمل (هدر) . نق ونقنق الضفدع .

٢ً افعال مشتقة من افعال غير ثلاثية مضاعفة مرادفة لها ومقتضبة بحذف بعض حروفها — دجا ودجدج الليل . رأرأ بعينيه اي ادارهما (من رأى) . نهى ونهنه عن الشيء . كرر الشيء وكركره . التف بالثوب ، لفلف وتلفلف به . مرمر الماءَ (امرّه على وجه الارض) . فقفق (افتقر افتقارًا مدقعاً) . فخفخ (فاخر بالباطل) .

٣ً افعال مشتقة من اسماء مقتضبة — وصوص (نظر من الوصواص ، وهو ثقب بقدر العين في ستر او نحوه) . فلفلَ الطعام (جعل فيه الفلفل) . كنكن (لازم الكِن اي البيت) . لألأ الدمعَ (انزله كاللؤلؤ) . بأبأ الطفل (قال بابا) . مخمخ العظمَ (اخرج مُخه) . ولول (دعا بالويل على قريبه) . طمطم (سبح في الطمطام وهو وسط البحر). فصفص الدابةَ (اطعمها الفِصفصة). فضفض الثوب او العيش (كان فضفاضاً اي واسعاً) . كثكث (كانت لحيته كثّة).

٤ً افعال مشتقة من اسماء افعال — وحوح (نفخ في يده لازالة البرد قائلًا حو أو أحّ) . مهمه الرجلَ (زجره بقوله مهْ اي إمتنع) . صهصه به (اسكته بقوله صه). لعلع بالعاثر (قال له لعْ او لَعْلَعْ او لعا ، وكلها دعاء بالانتعاش). هلهل بالحصان (زجره بقوله هلًا). نخنخ بالابل (قال لها نخْ لتبرك). هجهجها (زجرها بقوله هيجْ) . هتهتها (زجرها عند الشرب بقوله هتْ) . يأيأ بها

(قال لها أيْ لِيسكنها) جأجأ بها (دعاها الى الشرب بقوله جِئ[1]) . بسبس بها او بالغنم (دعاها قائلًا بِسْ) . شأشأ الغنم (حثها على المشي بقوله شأْ او شُوْ) . فعفع بها (زجرها بقوله فعْ) .

٥ً افعال مشتقة من حروف الجر او الحروف الابجدية — معمع (اكثر من قول «مع») . عنعن الراوي (قال «روى فلان عن فلان» وهلم جرًا) . عنعن في لفظه (لفظ الهمزة كالعين) . رترت (ردد في لفظ الرا. او والتا.) . تأتأ (ردد التا.) . فأفأ (ردد الفا.) .

الفصل الثالث : الكلمات المنحوتة

الكلمات المنحوتة ، اي المركبة من كلمتين او اكثر ، تُعد بالآلاف في الفارسية والارمنية وفي عدة لغات اوربية كالانكليزية والالمانية . اما في لغتنا فانها تحصى بالعشرات ، مما يصعِّب صوغ كلمات جديدة ، ولاسيما المختصة بالعلوم والفنون . دونكم بعض الامثلة عليها : الصَّهصلِق هو الشديد من الاصوات؛ هذه اللفظة مركبة من فعلين : صهل وصلَق الذي معناه صاح . المِشْلَوز نوع من المشمش حلو النواة ، وقد نُحت اسمه من الكلمتين مشمش ولوز . لاشي مركبة من لا وشيء .

اشهر كلماتنا المنحوتة تعبّر عن مضمون جملة كاملة ، وهي مركبة من بعض حروفها : وهاكم اكثرها رواجًا :

بسمل : نطق بالبسملة ، وهي عند النصارى « باسم الآب والابن وروح القدس » ، وعند المسلمين « باسم الله الرحمن الرحيم » . سبحل : قال « سبحان الله » . حمدل : قال « الحمد لله » . هيلل وهلل : قال « لا اله الا الله » . حسبل : قال « حسبي الله » . حوقل وحولق : قال « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » . دمعز : قال « ادام الله عزك » . غفَّر : قال «غفر الله له». طلبق : قـال «اطال الله بقاءك» . استرجع : استعاذ بقوله « إنّا لله وإنا اليه راجعون » . حيعل المؤذن : قـال « حيَّ على الصلاة ، حيَّ على

---

١) مع ان جئ فعل امر ، ادرجنا جأجأ في هذا الجدول بسبب مجانسته لسائر الافعال .

الفلاح » . كبتع : قال « كبت الله عدوك » ، وكبت بمعنى اذلّ . مشكن : قال « ما شاء الله كان » او بالاختصار « ما شا. الله » ، وهما تعبيران عن التعجب . سمعل : قال « السلام عليكم » . بأبأ : قال « بابي انت وامي » ، ومعناها « ليتني افديك بهما ! » جعفد : قال « جُعلت فداك ! » . فذلك الحساب : فرغ منه . قيل ان فذلك مركبة من فاء العطف واسم الاشارة ذلك ، وان المعنى المقصود هو : فذلك الحساب يحتوي كذا وكذا .

الفصل الرابع : الاتباع

الاتباع قائم بان تضاف الى كلمة كلمة اخرى لا تختلف عنها بسوى حرفها الاول ، مع الشبه الكامل في الوزن ، وذلك لتقوية المعنى . الاتباع كثير الوقوع في لغتنا ، هاكم بعض الامثلة عليه :

١ً النوع الاول مؤلف من كلمتين لكل منهما معنى — وكيع لكيع (كلاهما بمعنى لئيم) . شحيح نحيح (كلاهما بمعنى بخيل) . فقير وقير (وقير بمعنى ذليل) . جوع ونوع (النوع العطش) . جائع نائع (كلمتان مترادفتان) . هائع لائع : جبان جزوع (هاع ولاع معناهما جزع) . هشّ بشّ : مسرور (الكلمتان بمعنى بشوش) . لا يفقه ولا ينقه : لا يفهم شيئاً (نقه الحديث بمعنى فهمه) . هم في هياط ومياط : في مجيء وذهاب واضطراب (الهياط هو الاقبال ، والمياط الادبار) . لا ادري اين سكع واين هكع : اين ذهب (معنى سكع تسكع ، ومعنى هكع اقام) . ما له سَقَد ولا نقد : لا يملك شيئاً (السَّقد ولد الحرباء ، النقد ما تنقده) . التعبيرات الآتية بالمعنى ذاته : ما له سَعنة ولا معنة (السعنة كثرة الطعام او قلته) ومعْن نعت معناه كثير او قليل) ؛ ما عنده خير ولا مير (المير الطعام) ؛ ما عنده آجل ولا عاجل ؛ ما له هارب ولا قارب (ليس من يهرب منه ولا من يتقرب اليه) .

٢ً النوع الثاني مؤلف من كلمتين لاولاهما وحدها معنى — شكس لكس : قليل الانقياد . كثير بثير . عوز لوز : محتاج (عوز بمعنى فقير) . شجاع نجاع . حائر بائر[1] . خبيث لبيث . عِفْر نفر : شرير . طعام سيّغ

١) بائر ليست هنا بمعنى هالك .

ليغ : هني . عامله بالهواء والالواء : باللين والعنف (هواء مصدر هاوى المرادفة لدارى) . ريحٌ هياعٌ لياعٌ : شديدة (معنى هياع انتشار) .

٣ النوع الثالث مؤلف من كلمتين لا معنى لهما منفصلتين — هيَّ بن بيِّ : مجهول ابن مجهول . ذهب دمه خِضرًا مضرًا : ذهب هدرًا . تفرقوا شذَرَ مذرَ . ذهبوا انادِيدَ وتناديدَ : تفرقوا في كل جهة

الفصل الخامس : الكلمات الدقيقة المعاني

في لغة الضاد مئات كلمات قد بلغت معانيها مبلغًا من الدقة لا نكاد نجد له مثيلًا في اشهر لغات العالم المتمدن ، وليس ما ذكرناه منها سوى حفنة من كثيب .

صافية : ارض جلا عنها اهلها او ماتوا ولا وارث لهم .

صمير : رجل يابس اللحم على العظام ، تفوح منه رائحة العرق .

ضَيهب : موضع من الجبل تحمى عليه الشمس حتى تشوي اللحم .

عجف نفسه عن الطعام : حرمها اياه ، وهو يشتهيه ، ليُشبع مؤاكله

اعتفد : اغلق بابه على نفسه ليموت جوعًا ولا يسأل .

غشّم الحاطبُ : احتطب ليلًا فقطع كل ما قدر عليه بلا نظر ولا فكر .

اغلبت المرأة : غاب زوجها .

تفتّت البنت : سُترت وامتنعت عن اللعب مع الصبيان .

فحج : تدانى في المشي صدرا قدميه وتباعد عقباه .

افرسَ الراعي : غفل فأخذ الذئب شاة من غنمه .

استماه : اكل وشرب كثيرًا بعد قلة المؤونة .

قطّم الشاربُ : ذاق الشراب وكرهه وزوى وجهه وقطّب .

استقفاه بالعصا : اتى من خلفه وضرب قفاه بها .

كابل الدارَ : اخّر شراءها ليشتريها غيره ، ثم اخذها بالشفعة .

تكنّنت المرأة : لبست برقعها وقفّازها وخفها .

كرف الحمارُ : شم البول فرفع رأسه وقلب جحفلته ، اي شفته .

كبكه المقرور : تنفس في يده ليدفئها .

اكهى : دفأ اطراف اصابعه بنفسه .

الحف ضيفه : آثره بفراشه ولحافه في شدة البرد .

الدى : كثرت لِداته ، اي المولودون معه .

مثد بين الحجارة : استتر بها ونظر من خلالها الى العدو .

مجرت الشاة : عظُم ولدها في بطنها فهزلت وثقلت وعجزت عن النهوض .

نمى الصيد : غاب عنك بعد ان أُصيب ، فمات بحيث لا تراه .

انميتُ لفلان : تركته في قليل الخطإ حتى يبلغ اقصاه فيصبح غير معذور .

تناهدوا : انفق كل واحد بقدر نفقة الآخرين ليشتروا طعاماً يأكلونه معاً .

نـاء النجم : سقط في المغرب مع الفجر وطلع آخر يقابله في الشرق .

هادى الرجلَ : جاء كلٌّ منهما بطعام واكلا معاً .

وحوح : نفخ في يديه من شدة البرد وصاح حو حو .

واصفه : باعه شيئاً وصفه له بدون ان يراه المشتري .

وقـل : رفع رجلًا واثبت الاخرى في الارض .

ولّج المالَ : جعله في حياته لبعض اولاده ليكف الناس عن استعطائه .

وغل عليهم : دخل عليهم وشرب معهم بدون ان يُدعى .

ايتنت المرأة : خرجت رجلا مولودها قبل رأسه في الولادة .

توارد الشاعران : عبّرا عن المعنى ذاته بالالفاظ عينهـا بدون ان ينتحل احدهما الآخر .

الفصل السادس : المثنى الدال على شخصين او شيئين مختلفين

في عدة كلمات نجد المثنى دالًا على شخصين او شيئين مختلفين ، غير انهما متلازمان او مرتبطان بعلاقة ما ؛ هاكم اشهرها .

الثقلان : الانس والجن . الابوان : الاب والام . القمران : الشمس والقمر . الخافقان ، المشرقان : الشرق والغرب . الملوان ، الجديدان ، الاجدان : النهار والليل . البردان ، الابردان ، القرّتان ، الكرّتان : الصباح والمساء . الاصغران : القلب واللسان . الاطيبان : الطعـام والشراب . الاخبثان : الارق والقلق . الامرّان : الفقر والهرم . الابيضان : الماء واللبن . الاسودان :

الماء والتمر . الاصفران : الذهب والزعفران . الاحمران : اللحم والخمر . الاخضران : المشب والشجر . الرافدان ، الفُراتان : دجلة والفرات . المِصران ، البصرتان : البصرة والكوفة .

الفصل السابع : بيان اصل بعض الكلمات العربية

من غرائب القاموس العربي ان من تعمق في درسه وتتبع وحدة اصل مئات من كلماته المتجانسة باللفظ ، لا يلبث ان يكتشفها مرارًا عديدة ؛ هاكم بعض الامثلة على ذلك .

١ً النوع الاول : كلمات ذات معنى حسي . آلاف منها مشتقة على وجه منطقي من كلمات ذات معنى حسي ابسط . نذكر عدة نموذجات من ذلك الاشتقاق.

* الفلك * هو مدار النجوم ، وقد تصوره القدماء بشكل كرة جبّارة . اسمه مشتق من الفعل فلكت الفتاة اي استدار ثديها .

* الجارية * هي الخادمة او المملوكة ، وقد دُعيت هكذا لانها تجري في خدمة سيدها .

* الجهة * مشتقة من الوجه = ، لانها قطعة من الارض نستطيع رؤيتها في وجهنا .

* الدابة * كانت في الاصل ما دب من الحيوان ، ثم أُطلقت على كل ما يُركب او يُحمل عليه .

* اللواء * مشتق من لوى ، لانه يُلوى ثم يُنشر عند الحاجة .

* الغيث * قد سُمي كذلك لانه غوث من الله تعالى .

* المفتول الخلق * قد شُبهت متانة بنيته بالحبل المفتول .

* اللفظ * بمعنى النطق قد شُبه بلفظ شيء من الفم ، اي باخراجه منه .

* رحّل * فعل مشتق من رحل المسافر ، اعني امتعته التي يذهب بها .

* حل في مكان * تعبير دل في نشأته على حل الرحل عند الوصول الى غاية السفر .

* الفجر * بمعنى ضوء الصباح كلمة مشتقة من فجر القناة اي شقها ، لان العرب قد تصوروا نور الفجر كأنه يشق ظلمات الليل ، فقالوا « انشق الفجر » اي طلع . بواسطة ذلك التشبيه عينه قد سموا الصبح فتقًا وفلقًا ، فان الفعلين المترادفين فتق وفلق بمعنى شق .

٢ً النوع الثاني : كلمات ذات معنى مجرد — اكثرها مشتق ، في العربية كما في سائر الالسن ، من كلمات ذات معنى حسي ، لان العقل البشري يقتبس كل افكاره المجردة من الاشياء الحسية . دونكم عدة امثلة على ذلك الاشتقاق .

* زار * اصلها زور اي مال ؛ لان الزائر يميل عن طريقه لدخول بيت المزور .

* ابرم الامرَ * اي احكمه تعبير مشتق على وجه التشبيه من « ابرم الحبلَ » .

* نازع المريض * قد اشتُق معناها على الاساوب عينه من « نازعه الشيء » اي جاذبه اياه .

* ظلَم * بمعنى ارتكب الظلم قد دلت في الاصل على وضع شيء في غير محله .

* بحث وفحص * كانتا تعنيان في نشأتهما حفر الارض .

* غمّ * كانت بمعنى غطّى ، ثم صارت بمعنى احزن ، اذ شُبه الحزن بستر ثقيل محيط بالنفس .

* غفر * كانت مرادفة للفعل ستر ، ثم عُني بها ستر الذنوب بالعفو .

* قاوم الرجلَ * كانت بمعنى قام معه ، ثم دلت على المضادة .

* وثق به * فعل مشتق من وثاق بمعنى قيد ، وكذلك اعتمد عليه بمعنى اتكل ، مشتقة من العماد ، وهو ما يُسند به .

* اعتقد الحقيقة * تعبير مقتبس من « عقد الحبلَ » ، لان الاعتقاد هو تقييد العقل بحقيقة ما .

* آتاه الشيء * كان معناها الاصلي « جعله يأتي الشيء » .

* اهدى له شيئاً * تعبير مشتق من « اهدى العروس الى زوجها » اي زفها اليه .

* وصله بكذا * المرادفة للعطاء مشتقة من « وصل شيئاً بآخر » اي جمعهما .

* ايد * قد رُجح اشتقاقها من يد . اما ساعدَ فمشتقة من الساعد اي مقدَّم الذراع ، وعاضدَ من عضُد وهو اعلى الذراع ، وظاهرَ من ظهر ، وآزر من ازر وهو الظهر ايضاً .

* داهنه * بمعنى خدعه مشتقة من دهَن ، لان الخداع قد شُبه بطلاء يموه الاشياء ويخفي حقيقتها .

* داعكه * بمعنى خاصمه خصاماً شديداً ، اصلها « دعك الجلد » اي فركه .. كذلك عاركه مشتقة من « عرك الجلد » بالمعنى المذكور .

* شق الامرُ * مشتقة من « شق الشيء » على وجه الاستعارة . كذلك ايضاً يتضح اصل « شاقه » اي خالفه وعاداه .

* شفع في شخص عند غيره * تعبير مشتق من « شفع الشيء » اي جعله شفعاً باضافة مثله اليه ، فقد شُبهت الشفاعة بمضاعفة حظوة طالبها عند المشفوع اليه .

* الشدة * بمعنى العنف والمصيبة وشظف العيش ، قد مولت بشد الحبل .

* العقل * القادر على ادراك رُبط العلائق بين الخلائق وبين الافكار ، قد اشتُق اسمه من العِقال الذي تُربط به الدواب .

* النُهى * من مرادفات العقل ، وقد دعيت هكذا لانها تنهى الانسان عن الشر .

* اعطى الشيء برُمته * تعبير نشأ عن كون رجل قد دفع الى آخر جملاً برُمة في عنقه ؛ الرمة هي قطعة حبـل بالٍ . نقول ايضاً بالمعنى ذاته « اعطى الشيء بأسره او بجذافيره » الاسر هو القِد اي قطعة جلد مستطيلة ، والجِذفار او الجُذفور بمعنى الجانب .

* المجد * مرادف للنجد ، ثم أُطلق في الارجح على الرفعة .

* الحزم * بمعنى العزم مشتق من حزم الاشياء اي ربطها .

* السبب * بمعنى الواسطة كان في الاصل مرادفاً للحبـل ، الذي لا بد منه لادراك غايات عديدة كالاستقاء بالدلو من البئر .

* الواسطة * قد سُميت هكذا لانها في الوسط بين القصد والامر المقصود .

* الشرَف * هو المكان العالي ، ثم عُني به علو النفس او المقام على سبيل الاستعارة .

* المكانة * كانت مرادفة للمكان ، والمنزلة والمقام دلتا في نشأتها على محل النزول والاقامة ، ثم استُعملت كلها بمعنى رتبة الانسان في المجتمع .

* الرئيس * كلمة مشتقة من الرأس .

* المرة * بمعنى الفعلة مشتقة من المرور على وجه الاستعارة ، كأنها تدل على مرور الفاعل بعمل من الاعمال .

الفصل الثامن : مطابقة كلمات لبنانية عديدة لما يقابلها بالعربية

نكتفي بضرب بعض الامثلة على تلك المطابقة الكاملة او الناقصة باللفظ والمعنى في الكلمات العربية الآتية المشروحة ، ولم نُضف اليها مقابلها اللبناني بين قوسين الا اذا اختلف عن اصله اختلافاً يُذكر .

صقعه : ضربه ضرباً له صوت .

خطرة : مرة .

سكَر الباب : سدّه .

صِرْم : خُف مُنعَّل (سرمايه) .

شَنِجت رقبته (صنّجت).

صوب : جهة .

عيَّط : صاح .

فخت : قطع .

فخفخ : افتخر بالباطل .

فاضٍ : خالٍ .

قدّ : مقدار .

كبش الشيء : تناوله بجُمع كفه .

كش : طرد .

لاطئة : قلنسوة لاطئاً بالرأس (لاطيه) .

نتش الشَعر : نتفه .

نُتفة من الشيء : قليل منه .

نده : صوّت .

كب الشيء : قلبه .

منط الشيء : مده .

نتناف : قِطع الثلج الضئيلة .

ناقره : خاصمه :

نُقرة : تجوف في القفا .

اهبل : احمق .

ورِش : نشيط ، خفيف .

وهره : اثار فيه الخوف .

ساعور : جدي الماعز .

صُدرة : ثوب للصدر (صدرية) .

صفَنَ : اطرق مفكرًا ، تأمل مليًا .

صقّع الماء : صار باردًا .

سليخ : ارضٌ موات (صليخ) .

تصوينة : سور حول بيت او حديقة .

طحم : هجم .

مطرح : موضع يُطرح اليه .

عاطل من المال او الادب : خالٍ منه .

أن : ناح (بعن) .

زيح : خط مستطيل .

أقوال المتكلمين العامة ونقد القديس توما لها

بقلم ماجد فخري
استاذ في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن

من الصفحات الممتعة في تاريخ الفلسفة العامة صفحة الاتصال بين الفكر العربي الاسلامي والفكر اللاتيني المسيحي – في العصور الوسطى. ومن المعروف بين طلاب الفلسفة المتوسطة ان الفلسفة العربية قد لعبت دورًا هامًا في نقل التراث اليوناني الى الغرب : ابتداء من اواسط الجيل الثاني عشر حتى اكتشاف الآثار اليونانية في شكلها الصرف بعد ذلك بنحو قرن[1] . وتاريخ هذا الاتصال تاريخ واضح المعالم ، بفضل ما بذله زمرة من كبار المستشرقين من الجهد في تمحيصه في المائة سنة الاخيرة[2] . ولكن ثمّ صفحة لم تنل ما تستحقه من اهتمام العلماء ، وهي صفحة الاتصال بين «علم الكلام»

١) اول من اعتمد الترجمات اللاتينية لمؤلفات ارسطو عن الاصل اليوناني جملةً هو القديس توما الاكويني. وكانت هذه الترجمات من عمل « وليم مُربكا » الذي قام بها بايعاز من القديس توما . اما استاذه « البرت الكبير » فالظاهر انه اعتمد الترجمات اللاتينية عن الاصل العربي في الغالب – مضافة الى الترجمات الجديدة احيانًا او بالاستقلال عنها احيانًا اخرى ، كما في شرحه لكتاب « السماء والعالم » – راجع المؤلف الهام :

A. JOURDAIN — *Recherches critiques sur l'âge et l'origine des traductions latines d'Aristote (et sur les documents grecs ou arabes employés par les docteurs scolastiques)*, Paris, 1883 — الصفحات : ٦٦ الخ . و ٣٠٩ الخ . و ٣٩٠ الخ .

٢) تجب الاشارة هنا الى المؤلفات التالية لاهميّتها في دراسة هذه الحقبة .

1. E. RENAN, *Averroës et l'Averroïsme*, Paris 1852.
2. S. MUNK, *Mélanges de Philosophie juive et arabe*, Paris 1895.
3. A. JOURDAIN, الكتاب المشار اليه اعلاه
4. P. MANDONNET, *Siger de Brabant et l'Averroïsme latin au XIII[e] siècle*, Louvain 1908 et 1911.
5. E. GILSON, *La Philosophie au Moyen Age*, Paris 1944.
   — *Les Sources gréco-arabes de l'Augustinisme avicennisant* في : *Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Age*, IV. 1929.

الى ما هنالك من المقالات المفردة في المنشورات الدورية الكثيرة .

الاسلامي و« الفلسفة المدرسية اللاتينية » التي تعرف باسم الفلسفة «السكولاستيكية» او « السكولاستيك » (La Scolastique) .

ولعلّ علّة هذا الاهمال لسيرة التفاعل بين «الكلام» و«السكولاستيك» هي ضآلة المعطيات التاريخية للاتصال المباشر بينها ، بينا تكاد المعطيات الخاصة بالفلسفة الارسطاطاليسية ، في طوريها العربي واللاتيني ، لا تُحصى . فلهذه الفلسفة بالفعل تاريخ غير منقطع يمتد من ارسطو نفسه ويمر بسلسلة هامة من الشرّاح اليونان لآثاره كثيوفراسطس ، والاسكندر الأفروديسي ، وثامسطيوس ، ويجوز منها بالوسط العربي في الجيلين التاسع والعاشر ، في الشرق ، ثم في الجيلين اللاحقين في الغرب (اي الاندلس) — ويحرز انتصاره الحاسم في الغرب اللاتيني على يد القديس توما الأكويني ، (١٢٢٥—١٢٧٤).

فليس اذن في استمرار تاريخ الفلسفة المتوسطة واستمرار اهتمام المؤرّخين بها ، حتى في يومنا هذا ، ما يثير الدهشة ، لانها تمثل أحد الادوار الكبرى في تاريخ التراث الفلسفي الواحد. أما تاريخ الكلام ، لا سيما في اتصاله المشار اليه بالسكولاستيك ، فلا يتّصف بصفة الشمول ذلك. فكان من الطبيعي أن لا يعتني مؤرّخو الفلسفة العامة بدراسته مثل عنايتهم بدراسة المدرسة الارسطوية العربية — في طوريها العربي واللاتيني — واثرها في تاريخ الفكر العام .

ومها يكن من ضآلة المعطيات التاريخيّة للاتّصال بين « الكلام » و« السكولاستيك » فسنحاول ان نبرز في هذه الدراسة بعض الوجوه الهامّة لهذا الاتّصال — في آثار اعظم ممثّلي « السكولاستيك » اعني القديس « توما الاكويني » — ومن المعروف ان القديس توما كتب مؤلّفاً هاماً في « الرد على الأمم » هو « الخلاصة الثانية » الموسومة بالـ «Summa contra Gentiles» حوالى سنة ١٢٦٠ ، ليكون بمثابة مختصر للتعاليم المسيحية يعتمده المبشرون في حجاجهم مع اليهود — اولاً — والمسلمين — ثانياً — استناداً على « العهد القديم » في الحال الاولى وعلى العقل الطبيعي في الحال الثانية . لأنه اذا امكن الزام اليهود باللجوء الى سلطة « العهد القديم » والهراطقة باللجوء الى سلطة « العهد الجديد » فما ذلك إلّا لأنهم يسلّمون هاتين السلطتين — اما المسلمون والوثنيون « فهم لا يسلّمون معنا بسلطة ايّ كتاب منزل يمكن انتاعهم بها » — كما يقول في

الفصل الثاني من الكتاب الاول[1] — « فاقتضى الرجوع الى العقل الطبيعي » — الذي يسلّم بسلطته كل عاقل . ومن الطبيعي ان نجد القديس توما يتعرّض لتعاليم المتكلّمين من المسلمين في هذا الكتاب ويعود اليها في مواضع اخرى من مؤلفاته ، كلّما طرق ما يتّصل بها من المسائل الفلسفية واللاهوتية — كما سنرى .

ولنبدأ بعرض بعض نقاط تمهيدية قبل ان نعالج نقد القديس توما لأقوال المتكلّمين . فماذا تراه يدعوهم اوّلاً ؟ — والجواب انه يدعوهم ، في جميع المواضع التي يشير فيها اليهم بالاسم — « المتكلّمين في شريعة المغربيين » او « المشرقيين » — (وفي اللاتينية : « Loquentes in Lege Maurorum » او « in Lege Saracenorum »[2] .

وهذه اللفظة « Loquentes » ، هي الترجمة الحرفية للمتكلّمين ، التي ترد مرارًا في شروح ابن رشد في الترجمة اللاتينية في المواضع التي يشير فيها ابن رشد الى اقوال الأشعرية او « المتكلّمين من اهل ملتنا » « Loquentes in lege nostra »[3] والتي ترجمت بـ « مدبريم » في الترجمة العبرية لكتاب « موسى بن ميمون » (١١٣٥ — ١٢٠٤) : « دلالة الحائرين » او « موري نبوخيم » — وهو المصدر الاول الذي استقى منه القديس توما معرفته باقوال المتكلمين ، في ترجمته اللاتينية الموسومة بـ (Doctor Perplexorum) .

وقبل ان نشرع بدراسة النقد التوماني « للكلام » يقتضي تقرير اصالة

---

١) Cont. Gent. I, c.2, Romae 1894. — « *Quia quidam eorum, ut Machomestitae et Pagani, non conveniunt nobiscum in auctoritate alicujus scripturae, per quem possint convinci ... Unde necesse est ad naturalem rationem recurrere, cui omnes assentire coguntur.* »

٢) انظر مثلاً : Cont. Gent. III — فصل ٦٥ و ٦٦ و ٩٧ و De Potentia — السؤال ٣ الفصل ٧ — الجواب (Resp. - a 7 q. 3) الخ. يضاف الى ذلك مواضع عدّة ينقد القديس توما فيها المتكلّمين دون تخصيصهم بالاسم ، كما سنرى .

٣) راجع مثلاً : *De caelo I* ، طبعة Venise ١٥٥٠ ص ١د و *In Phys.* VIII ، Venise ١٥٥٢ ص ١٥٥a و ١٥٩a و ١٦١b و *In Met.* XII ، Venise ١٥٥٢ — ص ١٤٣b و IX ص ١٠٩a الخ. (a تمثّل الوجه و b الظهر) . راجع في العربية « تفسير ما بعد الطبيعة » — B. S. A بيروت ١٩٣٨—٤٢ ص ٨٨٦ و ١١٣٦ .

المصدر الذي اعتمده القديس توما وامانة صاحبه في رواية اقوال المتكلمين . ولتحقيق هذا الغرض يتحتم علينا مقارنة تلخيص ابن ميمون «المقدمات المتكلمين العامة » في القسم الاول من « دلالة الحائرين »[1] باقوال كبار علماء الكلام كما نجدها في أقدم كتب « الملل والنحل » وسواها من « كتب الاصول » . وأهم كتب الملل واقدمها « مقالات الاسلاميين» للأشعري (المتوفى سنة ٩٣٥) ثم « الفرق بين الفِرق » للبغدادي (المتوفى سنة ١٠٣٧) ، ثم « الفصل في الملل والأهواء والنحل » لابن حزم (المتوفى سنة ١٠٦٣) ثم « كتاب الملل والنحل » للشهرستاني (المتوفى سنة ١١٥٣) وكتاب « محصّل افكار المتقدمين والمتأخرين » لفخر الدين الرازي ، المعاصر لابن ميمون و(المتوفى سنة ١٢٠٩). واهم « كتب الأصول » التي سنرجع اليها تكرارًا هي «التمهيد» للباقلاني (المتوفى سنة ١٠١٣) و« اصول الدين» للبغدادي الذي ورد ذكره آنفاً ، و« الارشاد» جويني إمام الحرمين (المتوفى سنة ١٠٨٥) و« الاقتصاد في الاعتقاد» للغزالي (المتوفى سنة ١١١١) و« نهاية الاقدام» للشهرستاني الآنف الذكر. يضاف الى هاتين الحلقتين مؤلفات أخرى « كتهافت الفلاسفة» للغزالي و« كتاب الاربعين» للرازي الخ. والتي نجد فيها بعض المعلومات التي تمتّ الى تلخيص « الكلام » كما يورده ابن ميمون . وهذه المقارنة لم يقم بها أحد من العلماء — على ما نعلم — في دراسة خاصة، بل تكاد تقتصر اقوالهم على اشارات عابرة الى النظام الكلامي القائم على فرضية «الجواز» (Occasionalisme) الذرية والدواعي التي دفعت المتكلمين — لاسيّما الأشاعرة منهم — الى اطّراح النظام الارسطوي واقتباس هذا النظام الفلسفي الغريب[2] .

---

١) نشر س. مونك (Munk) ، باريس ١٨٥٦ و٦١ و٦٦ - وهذه الطبعة تتضمن الأصل العربي مكتوبًا بأحرف عبرية وترجمة فرنسية كاملة . راجع ايضاً الترجمة الانكليزية من عمل M. Friedländer — لندن ١٩٣٦ . وترق ترجمة الدلالة الى اللاتينية الى اوائل القرن الثالث عشر (١٢٢٠) . ومترجمها المجهول الهوية لم يعتمد الاصل العربي بل ترجمة « يهودا الحريصي » العبرية — راجع Cahiers Juifs, L.I. Newman — سنة ١٩٣٥ ص ١١٧

٢) راجع ما يقوله مونك في *Dict. des Sciences Philsophiques*، المجلد ١ ص١٧٥، وفي *Mélanges* ص٣٢١ الخ. وما يقوله رينان في *Averroès et l'Averroïsme*، ص١٠٦–١٠٧ . وجيلسون في المقال المذكور آنفا ص ١٠ ودي فينس (J. de Finance) في *Etre et Agir*

٢ ــ ابن ميمون والمتكلمون

سوف نقتصر في عرضنا لتلخيص ابن ميمون لمقدمات الكلام العامة على ما يمتّ منها بصلة الى النقد التوماني . لان همّنا في هذا البحث هو دراسة الصلة بين الكلام والسكولاستيك والدورَ الذي لعبه ابن ميمون في الاتصال التاريخي بينهما. لذلك فستجاوز عددًا من القضايا التي يعرض لها ابن ميمون والتي تستحق العناية بجد ذاتها إلا انها لا تتصل بغرضنا اتصالا مباشرًا — كالنقد اللاذع الذي يوجهه ابن ميمون نحو المتكلمين «من اليونانيين المتنصرين ومن الاسلام»[1] في تدليلهم المزعوم على وجود «الصانع» بناء على مقدمة «حدَث العالم» . فهم يزعمون انهم اقاموا الدليل على حدث العالم فصح لهم اذن القول بضرورة الصانع اذ لو « ثبت ان العالم مُحدَث ثبت بلا شك ان له صانع (Sic) احدثه » . ولكن خفي عليهم ان مسألة قدم العالم هذه « لا يوصل اليها ببرهان قطعي . . . وان الفلاسفة يختلفون فيها منذ ثلاثة آلاف سنة »[2] . وما دام دليلهم على وجود

---

dans la Philosophie de St. Thomas ، باريس ١٩٤٣ ص ١٥٤ — الخ .

والمؤلف الكلاسيكي حول «الذرية» في الاسلام هو كتاب *Beiträge zur Islamischen Atomenlehre* — من تأليف S. Pines — وطبع برلين ١٩٣٦ . وهو كتاب يراجع فيه المؤلف تطوّر الذرية في الاسلام ومدى تأثرها بالذرية الاغريقية والهندية — بكثير من التقصي والدق .

١) راجع الدلالة — فصل ١ (٧١) — حيث يرد ابن ميمون اقوال المتكلمين المسلمين من اشعرية ومعتزلة الى اقوال النصارى اليونانيين والسريانيين ، في تفنيدهم لاقوال الفلاسفة وهو يخص منهم بالاسم ابن عدي (توفي ٩٧٤) ويحيى النحوي « توفي ٥٦٨) (J. Philoponus) مؤلف كتاب (*De aeternitate mundi*) في تفنيد اقوال بركلس « Proclus » حول قدم العالم — راجع ما يقوله ابن النديم ، الفهرست ، طبع ليبزغ ١٨٧١ ، المجلد ١ ص ٢٥٤ — ودي بور (De Boer) — تاريخ الفلسفة في الاسلام . لندن ١٩٠٣ ص ١٥٩ —

٢) الدلالة — صفحة « صو » الوجه . يجب ان نلاحظ هنا ان القديس توما يتفق مع ابن ميمون في القول باستحالة البرهنة على حدث العالم ، وكلاهما يدفعان عن ارسطو تهمة القول بأزلية العالم — راجع خاصة « الخلاصة اللاهوتية » — القسم الاول ، المسألة ٤٦ . و « قدرة الله » — المسألة ٣ فصل ١٤ و ١٧ و « الخلاصة ضد الامم » — الكتاب ٢ فصل ٣١ وما يلي . وينسب الغزالي التوقف في هذه المسألة الى « جالينوس » . التهافت ، بيروت ١٩٢٧ — ص ٢٢ ، ومثله فخر الدين الرازي ، كتاب الاربعين ، حيدر أباد ١٣٥٣ هـ . ص ١٣ . ويلخص ابن ميمون ادلة المتكلمين « الجدلية » على حدث العالم في الفصل ٧٤ من الدلالة .

الصانع ينبني على مقدمة «جدلية» هي حدث العالم فان وجود الصانع نفسه يبقى امراً مشكوكاً فيه، حتى كأنهم اثبتوا بالقياس الفرضي امكانية وجود الله وعدمها على السواء. او كما يكتب ابن ميمون، انهم قالوا: «إن كان العالم محدثاً فثمّ إلاه وإن كان قديماً فلا إلاه»[1] — وهكذا يبقى وجود الصانع قضية فرضية — بحسب اقوالهم — لا يمكن التحقق من صحتها.

ويلخص ابن ميمون اقوال المتكلمين في الفصل الثالث والسبعين من «دلالة الحائرين» في اثنتي عشرة «مقدمة عامة» هي بمثابة الاسس التي يبني عليها هؤلاء ادلتهم على وجود الله ووحدانيته وعلى حدث العالم وفعل الانسان وسواها من القضايا الفلسفية واللاهوتية الكبرى. وتدور المقدمات الثلاث الاولى على القول بالجزء الذي لا يتجزأ وبوجود الخلاء وانقسام الزمان الى آنات غير متجزئة ايضاً. وهي تشترك جميعها في انها تقوم على مفهوم الوجود غير المتصل الذي هو محور النظام الكلامي الذري كله. فالمتكلمون يضعون أن العالم بجملته انما هو مؤلف من اجزاء فردة لا تقبل التجزئة لدقتها[2]. وهذه الاجزاء بمفردها ليست بذات كمّ فاذا اجتمعت كان المجتمع منها ذا «كم» وذلك هو الجسم[3].

١) الدلالة «صورة الظهر». يدلل الباقلاني في «التمهيد» على ضرورة الصانع كما يلي: ١: الموجودات كلها على ضربين: قديم لم يزل ومحدث لوجوده أول (ص ٤١)؛ ٢: العالم بأسره محدث لانه مؤلف من الجواهر والأعراض وكلاهما محدثان (ص ٤٤)؛ فاذن: ٣: لا بدّ لهذا العالم المحدَث المصوَّر من محدِث ومصوِّر، كما انه «لا بد للكتابة من كاتب وللصورة من مصوِّر» (ص ٤٥) راجع التمهيد ط. القاهرة ١٩٤٧. قارن بذلك نقد ابن رشد لهذه «الطريقة الأشعرية» في التدليل على الصانع في الكشف عن مناهج الأدلة، القاهرة ١٩٣٥ ص٣٦. وهذا الدليل يقابل «الدليل الرابع» الذي يورده ابن ميمون في الفصل ٧٤ من الدلالة.

٢) يروي البغدادي أن «جمهور المسلمين» يجمعون على اثبات الجزء الذي لا يتجزأ إلا النظّام (المتوفى ٨٤٥؟) — راجع اصول الدين، استنبول ١٩٢٨ ص ٣٦؛ ومثله الشهرستاني، الملل والنحل، لندن ١٨٤٦، ص ٣٨ وابن حزم، الفِصَل، مصر ١٣٢١ هـ. الجزء ٥ ص ٩٢

٣) هذا قول المعتزلي ابي الهذيل العلّاف (المتوفى ٨٤٩؟) — كما يروي الاشعري — مقالات الاسلاميين، استنبول ١٩٣٠ ص ٣١٤ — وخالفه فيه ابو هاشم ابن الجبائي (المتوفى ٩٣٣)، راجع «كتاب المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين (من المعتزلة) لابي رشيد سعيد النيسابوري، ليدن ١٩٠٢ ص ٣٨

وهذه الاجزاء كلها متشابهة متماثلة لا اختلاف فيها[1] وباجتماعها يكون «الكون» وبافتراقها يكون «الفساد». إلا ان المتكلمين - كما يقول ابن ميمون هنا - لا يسمون ذلك فساداً وهم يثبتون اكواناً اربعة: الاجتماع والافتراق والحركة والسكون[2].

ويختلف قول المتكلمين بالجزء الذي لا يتجزأ - كما يشير ابن ميمون - عن قول «افيقورس» - تلميذ ديمقريطس ابي المذهب الذري الكلاسيكي - في اعتبار هام: وهو قولهم ان الاجزاء ليست محصورة في الوجود بل يخلقها الله دائماً متى شاء، ويعدمها متى شاء.[3] اما نمط اعدام الله لهذه الجواهر ففيه - كما يروي ابن ميمون - خلاف بين علماء الكلام. فاكثرهم يرون ان الجوهر لا يمكن ان يبقى زمانين - كما تقدم - كالعرض الذي يكون به بقاؤه. لان هؤلاء يرون ان بقاء الجوهر إنما يكون بخلق عرض البقاء فيه. والاعراض جميعها عندهم لا تبقى زمانين (كما سنرى في المقدمة السادسة). فاذا خلق الله الجوهر خلق فيه عرضاً ما، إلا ان هذا العرض ينعدم لحينه فيخلق الله في ذلك الجوهر عرضاً آخر من نوعه فينعدم ذلك العرض ايضاً وهكذا دواليك. وبانعدام عرض البقاء يكون انعدام الجوهر الذي قام فيه ذلك العرض، لذلك لم يحتج اعدام العالم - عند هذا الفريق - الى فعل الهي خاص اذ يكفي عندهم ان يكف الله عن خلق الاعراض التي تحل في الجوهر حتى ينعدم ذلك الجوهر[4]. اما الذين

١) قابل أصول الدين ص٣٥ ومقالات ٣٠٨ وكتاب المسائل ص ٣

٢) راجع اصول الدين ص ٤٠، حيث ينسب البغدادي هذا القول للأشعري.

٣) تلزم هذه النتيجة: اي استحالة بقاء الجواهر وضرورة خلق الله استمراراً عن قول الأشعرية عامة ان بقاء الجواهر يكون بحدوث عرض البقاء فيها - اصول الدين ٤٢ و٥٦ - وكون الاعراض بدورها يستحيل بقاؤها (ص ٥١ و ٨٧): «ذهب شيخنا ابو الحسن الأشعري الى استحالة تعري الاجسام من الالوان والأكوان والطعوم والروائح. وقال لا بدّ ان يكون في كل جوهر لون وكون وطعم الخ... او ضدها. واذا وجد في حالين فلا بدّ من وجود بقاء فيه في كل حال بعد حال حدوثه» - ص ٥٦

قابل الغزالي: التهافت ص ٨٨ «الفرقة الثالثة الأشعرية: اذ قالوا... اما الجواهر فليست باقية بانفسها ولكنها باقية ببقاء زائد على وجودها فاذا لم يخلق الله البقاء انعدمت الجواهر بعدم المبقي».

٤) حول استحالة بقاء الاعراض وهو قول جمهور الأشعرية، راجع التمهيد ٤٣ واصول الدين ٥٠-٥١ والمقالات ٣٥٨ - وسنعود الى هذه القضية بعدُ.

قالوا ببقاء بعض الأعراض واستحالة بقاء بعضها الآخر فانهم زعموا ان الله اذا أراد افساد العالم خلق عرض الفناء لا في محل فانعدم العالم كله[١].

ولا يختلف مفهوم الزمان عند المتكلمين عن مفهوم الجزء الذي لا يتجزأ فكلاهما يتصفان بصفة « الذرّية » العامة . فان المتكلمين – كما يروي ابن ميمون – لمّا نظروا الى قول أرسطو في « السماع »[٢] ان الزمان والمسافة والحركة « متكافئة في الوجود » : اي ان نسبة بعضها الى بعض نسبة واحدة – علموا أن القول بالجزء الذي لا يتجزأ يقتضي القول بانقسام الزمان ايضاً الى آنات لا تقبل القسمة هي بمثابة اجزاء الزمان التي لا تتجزأ[٣]. ولذلك كانت الحركة عندهم عبارة عن انتقال جوهر فرد من موضع ما الى موضع آخر يليه، ولمّا كان المكان غير متصل شأن الزمان فانّهم قالوا انه ليس ثمّت حركة اسرع من حركة اخرى . فاذا قطع متحرّكان مسافتين مختلفتين في زمان واحد فليست علّة ذلك ان حركة احدهما أسرع من حركة الآخر بـل ان الحركة البطيئة قد تخلّلتها سكنات اقلّ من الحركة السريعة ، في زعمهم . فاذا عورضوا بالسهم المنطلق من القوس وبالرحى التي تدور دورة كاملة ، فيكون الجزء الذي في محيطها

١) الدلالة – المقدمة السادسة (ص قط الظهر). قابل اصول الدين ص ٦٧ ، حيث ينسب البغدادي هذا القول الى الجبائي وابنه ابي هاشم . اما قول الأشعري واصحابه كالباقلاني، فيتفق مع ما يرويه ابن ميمون عن الفريق الأوّل ، لانّهم قالوا : « أن الله اذا اراد فناء جسم لم يخلق البقاء فيه » . . « أو قطع عنه الاكوان والألوان (وهي الاعراض التي لا ينفكّ عنها الجسم) فانعدم الجسم ذلك » . وينتقد البغدادي في الموضع نفسه قول القلانسي من الأشاعرة بأن الله يفني الجسم بأن يخلق فيه عرض الفناء . راجع ايضاً – مقالات ٣٦٦:٧

٢) اي « السماع الطبيعي » – راجع « الطبيعة : *Physique* – الكتاب ٤، ٢١٩" سطر ١ الخ و ٢١١" سطر ١٣ و ١٦ . والكتاب ٦، ٢٣٣" سطر ١٢ الخ .

٣) قابل كتاب الاربعين لفخر الدين الرازي ص ٢٥٥ حيث يثبت « أن الزمان مركب من آنات متتالية » . وهو يبني حججه على كون الجسم مركباً من اجزاء لا تقبل القسمة على التكافؤ بين الحركة والمسافة والزمان – كما يقول ابن ميمون . فالحجة الأولى تقوم على كون الحركة مركّبة من امور متتالية لا تقبل القسمة . « والحجة الثانية على أن الزمان مركّب من آنات متتالية » (ص ٢٥٤–٢٥٥) وعلى امتناع « كون المسافة مركّبة من اجزاء غير متناهية » – ص ٢٥٩ . قابل ايضاً : المباحث المشرقية ، حيدر أباد ، ١٣٤٣هـ . ج ٢ ص ٢٧–٢٨

قد قطع مسافة الدائرة الكبيرة في الزمان عينه الذي قطع فيه الجزء القريب من مركز الدائرة ، والبديهة تثبت ان حركة الجزء الاول اسرع من حركة الجزء الثاني ، فكيف يقال ان ذلك الجزء تخللت حركته سكنات اكثر من هذا ، وجسم الرحى واحد متصل ؟ — كان جوابهم : بل الرحى تتفكك اجزاؤها عند الدوران فتكون السكنات التي تخللت الجزء الاول اقل من السكنات التي تخللت الجزء الثاني[1] ولا اعتبار بشهادة الحس لأن الحواس يفوتها ادراك الكثير من دقائق المحسوسات .

ولاجل تأويل ظاهرة الحركة هذه عمد المتكلمون الى مفهوم الخلاء . فانهم وضعوا انه من خواص الأجسام انها لا تتداخل[2] وان الحركة شرط في اجتماع

١) حول قول المتكلمين أن حركة البطيء تتخللها سكنات اكثر من حركة السريع – راجع ابن حزم ، الفصل ٥ ص ١٠٧ والمقامات ٢٣١ : «وقال اكثر اهل الكلام ان الجسم قد يسكن بعضه واكثر متحرك وان للفرس في حال سيره وقفات خفية وفي شدة عدوه مع وضع رجله ورفعها ولهذا كان أحد الفرسين ابطأ من صاحبه » .

حول تفكك الرحى قابل كتاب الاربعين ص ٢٦٣ = الحجة السابعة (للفلاسفة على المتكلمين) :

« اذا تحركت المنطقة (عند استدارة الفلك استدارة منطقية) جزءًا فالدائرة الصغيرة القريبة من القطب الموازية للمنطقة ان تحركت ايضاً جزءًا لزم ان يكون مدار تلك الدائرة الصغيرة مساوياً لمقدار (لعله مدار) المنطقة . هذا خلف . وإن لم تتحرك البتة فحينئذ يلزم وقوع التفكك في اجزاء الفلك وذلك باطل . . فلم يبقَ إلا ان يقال : مهما تحركت المنطقة جزءًا تحركت تلك الدائرة الصغيرة اقل من جزء وهو المطلوب (عند الفلاسفة) وهذا الكلام قد يفرضونه في حركة الرحى ويلزمون عليه تفكك اجزاء الرحى والمتكلمون يلتزمون ويقولون انه سبحانه وتعالى فاعل مختار . فهو يفكك اجزاء الرحى حال استدارتها ثم يعيد التأليف والتركيب اليها حال وقوفها » . وايضاً كتاب المسائل ص ٤٥ « لأنا لا نقول في اجزاء القطب (قطب الرحى) كما هي انها بجموعها تسكن حال حركة القطب بل نقول في هذه الاجزاء ما يتحرك وفيها ما يسكن ، وكذلك حال اجزاء القطب » .

٢) يروي الأشعري ان « أهل الصلاة وأهل النظر » جميعاً يقولون باستحالة المداخلة ومنهم المعتزليان أبو الهذيل ، وضرار بن عمرو ، فقد اجاز الأول مداخلة الاعراض دون الاجسام بعضها بعضاً واحال الثاني المداخلة في الاعراض وفي الاجسام – خالفهم في ذلك النظام – مقالات ص ٣٢٧ – ٣٢٨ – واصحاب هشام ابن الحكم من « الروافض » – ص ٦٠ . قابل ايضاً الفصل جزء ٥ ص ٦٠–٦١

« الافراد » وافتراقها ، أي في كونها وفسادها . لذلك استحالت الحركة إلا بوضع الخلاء. وهو من اركان النظام الكلامي التي انشقوا فيها على ارسطو واصحابه[1].

ولعلّ اغرب مظاهر هذا النظام – لاسيّما من جهة النقد التوماني الذي سنعرض له – قولهم بالاعراض وخواصها . ويدور على هذه القضية قسم كبير من تلخيص ابن ميمون « للكلام »، فالمقدمات الرابعة حتى التاسعة تتصل بها . فاذا كانت الجواهر (او الاجزاء التي لا تتجزأ) الركن الأول لنظام المتكلمين فالاعراض هي الركن الثاني ، وهم يعرّفونها –كما يروي ابن ميمون – بقولهم انها : « معاني زائدة على معنى الجوهر »[2] لا ينفك الجسم من احدها أو من ضدّها[3]. فان كلّ جوهرٍ إن لم يكن فيه عرض الحياة فلا بدّ ان يكون فيه

١) راجع النيسابوري ، كتاب المسائل ص ٢٤ الخ . وحججه في اثبات الخلاء ، وتلخيص حجج الاسلاميين في اثبات الخلاء وردّ الفلاسفة عليها في كتاب الاربعين ص ٢٧٠–٢٧٥ . كذلك حول ابطال الخلاء راجع ابن حزم في الردّ على اقوال محمد بن زكريا الرّازي الطبيب (توفي ٩٣٠ تقريباً) في الخلاء – الفصل ج ١ ص ٢٥ وما يلي .

٢) ان الاجسام مؤلّفة من الجواهر والاعراض – حسب قول عامة المتكلمين لاسيّما الأشاعرة – راجع اصول الدين ص ٣٣ والتمهيد ٤٤ والارشاد ١٠ . ويعرّف البغدادي الاعراض بقوله : « هي الصفات القائمة في الجوهر » والجويني بقوله : « العرض هو المعنى القائم بالجوهر » – ارشاد ، باريس ١٩٣٨ – الصفحة المذكورة . حول استحالة تعري الاجسام من الاعراض على مذهب الأشعري – راجع ص ٥٦ من اصول الدين . و يشير البغدادي هنا إلى قول الكعبي (واتباعه من القدريّة) – اي المعتزلة – ان الجوهر يجوز تعريه من الاعراض إلا اللون ، وقول ابي هاشم ان الجوهر يتعرى من جميع الاعراض في حال حدوثه إلا الكون . اما القائلون بإمكان تعرّي الجوهر من الاعراض جملة فهو يذكر منهم الصالحي واتباعه من المعتزلة (ص ٥٦–٧) – ايضاً مقالات ص ٢١٠–٢١٢ ، ويعد الأشعري ابا الهذيل والجبائي وعبّادًا بين القائلين بالاستحالة وصالح قبة والصالحي بين القائلين بالامكان – وايضاً ص ٣٠٧ و ٥٧٠ ، والارشاد ص ١٤ . ومن الذين نفوا الجواهر والاعراض معاً هشام بن الحكم والاصمّ ، (مقالات ص ٣٤٣–٣٤٤) ، والجواهر والاعراض جميعاً سوى الحركة النظّام – الملل والنحل ص ٣٨ واصول الدين ٤٦ والفصل ٥ ص ٦٦ . ومن الذين نفوا القول بالجواهر وزعموا « أن الجسم اعراض وحسب ائتلفت وجمعت فصارت جسماً يحتمل الاعراض الأخرى » – ضرار بن عمرو ، – المقالات ٢٠٥ .

٣) راجع خاصة الارشاد ص١٣ : الاصل الثالث الذي يدور على تبيين « . . . استحالة تعرّي الجواهر عن الأعراض وعن جميع اضداده إن كانت له اضداد وإن كان له ضدّ واحد لم يخل الجوهر عن احد الضدّين » – واختلاف الاقوال في ذلك . وكذلك المراجع السابقة .

عرض الموت ، واذا كان فيه عرض الحياة فلا بدّ فيه من اجناس أخرى من الاعراض لاحقة بها : كالعلم او الجهل والارادة او ضدّها وهكذا. ويلخص ابن ميمون هذه القضية الاخيرة بقوله : « وبالجملة كل ما يوجد للحيّ فلا بدّ منه » (المقدمة الرابعة). وهو يُشير في هذه العبارة المقتضبة ، ولا ريب ، الى بند هامّ من بنود نظرية الاعراض عند المتكلمين ثارت حولها مناقشات طويلة بين المدارس الكلاميّة المختلفة ، كما يروي صاحب «مقالات الاسلاميين»[1]. ويدعو الغزالي هذه العلاقة الضرورية بين الاعراض التي يستلزم وجود احدها وجود سلسلة من الاعراض الأخرى « تقدم الشروط على المشروط » . فهو يميّز بين انواع ثلاثة من « التقارن » بين حدّين بينهما ارتباط ما .

الأول : ما يدعوه « بالعلاقة المتكافئة » — كالعلاقة بين اليمين والشمال والفوق والتحت — وهذه العلاقة تستوجب الضرورة .

الثاني : وهو ما يعنينا في هذا البحث — العلاقة بين شيئين ليس ارتباطهما على وجه التكافي: «... لكن لاحدهما رتبة التقدّم كالشرط مع المشروط. ومعلوم انّه يلازم عدم الشرط[2] ... فاذا رأينا علم الشخص مع حياته وارادته — كما يكتب الغزالي — مع علمه فيلزم لا محالة من تقدير انتفاء الحياة انتفاء العلم ومن تقدير انتفاء العلم انتفاء الارادة . ويُعبّر عن هذا بالشرط » — إلّا أن العلاقة بينهما ليست علاقة سببيّة — رغم كونها علاقة ضرورية . لانه « ليس وجود الشيء به (اي بالشرط) بل عنه ومعه ».

١) صفحة ٢٠٩ الخ و ٥٦٨ الخ .

٢) هكذا في الاصل — طبعة مصر (لا تاريخ) ص ١٠٠ ولعلّه سقط منه . . . « عدم المشروط » راجع ايضاً — ص ٤٦ من المرجع المذكور الاقتصاد في الاعتقاد — والاحياء جزء ٤ ص ٢٣٠ . ويقرّ ذلك البغدادي في اصول الدين ١٠٥ ، وهو يشير الى انكار الصالحي من المعتزلة لهذه العلاقة الضرورية «بين الحياة والعلم والقدرة» بشيء من الاستهجان لأن قوله ذلك يؤدي الى استحالة التدليل على «ان الصانع حي» لانه« . . . اذا صح لنا ان الصانع عالم قادر مريد والحياة شرط في هذه الصفات عندنا صحّ لنا الاستدلال بذلك على كونه حيّاً . . . »—راجع ايضاً ص٧٨—٧٩ وينسب ابن رشد مثل هذا الغلوّ في الرأي الى ابي المعالي (الجويني) في التهافت طبعة بيروت ١٩٣٠ ، ص ٥٤٢ ، ولعلّه يشير الى قول الجويني في امكان تكليف «الجمع بين الضدين» — كما في الارشاد ص ١٢٦ .

الثالث : العلاقة بين العلة والمعلول وهي لا تستوجب الضرورة ما لم ترتفع جميع العلل المؤدية لوقوع المعلول . وليست تلك حالُ عامة ما يدخل في باب المعلولات المشاهدة — كالعلاقة بين حز الرقبة والموت مثلاً « . . .لان للموت عللاً من امراض واسباب باطنة سوى الحزّ عند القائلين بالعلل »[1] وهكذا .

ولا يتطرق ابن ميمون الى ذكر الخلاف الذي ثار حول هذه القضية بين المتكلّمين ، بل يكتفي بتلك الاشارة العابرة اليها . إلّا انّه من الممتع ان نلاحظ ان موقف الغزالي الذي ألمعنا اليه يمثّل الحلّ الوسط بين عدد من الاقوال المتطرفة المنسوبة الى المتكلّمين . فان « ابا الحسين الصالحي » الذي مرّ ذكره بلغ من الغلوّ في هذا الميدان شوطاً بعيداً . ويروي الاشعري في المقالات ان اصحاب « ابي الحسين الصالحي » قالوا بجواز حلول ايٍّ كان من الاعراض في الجوهر الواحد دون هذا التسلسل الشرطي الذي افترضه عامة المتكلّمين . فأجازوا —مثلاً— حلول القدرة والعلم والسمع والبصر في الجسم مع الموت ، ومنعوا حلول الحياة والموت بالجوهر معاً لأنهم قالوا إن الحياة تضادّ الموت ولا تضادّ القدرةُ او العلم الموتَ . وكذلك زعموا ان الادراك جائز مع العمى ومنعوا قيام البصر والعمى معاً ، لأنّ العمى يضادّ البصر عندهم ولا يضادّ الادراك[2] . ومعنى ذلك انّهم نفوا جميع ضروب الارتباط الضروري بين الاشياء في عالم الوجود واقرّوها في عالم النظر وحسب — اي في عالم التلازم الضروري بين الحدود المنطقية (les termes) فقط — كلّ ذلك حرصاً على اقرار قدرة الله على كل شيء لا يستلزم الخرق « لمبدأ عدم التناقض »[3] .

ولم يسبق الصالحي في هذا الميدان إلا متكلّم آخر هو « صالح قبّة » — وكلا هذين المتكلّمين الغريبين يكادان يكونان اسمين وحسب ، لعلّة ما

---

١) الاقتصاد ص ١٠٠

٢) مقالات ص ٣١٠ . واضح من قولهم هذا انهم لم يعنوا بالادراك — الادراك الحسّي بل نوعاً من الادراك المعنوي .

٣) راجع مقالات ص ٣١٠ حيث يكتب الأشعري في معرض رواية اقوال الصالحي واصحابه : « وأحالوا ان يجمع الله بين المتضادّات » .

وصلنا من اقوالها . إلّا أنه واضح من رواية الاشعري ان صالحاً هذا يكاد لا يقيم لمبدأ عدم التناقض نفسه ادنى وزن. فهو يمثل بحق الطور المنطقي الاخير في النظام الكلامي . ولما كان ينطلق من مفهوم قدرة الله المطلقة — شيمة عامة المتكلمين حتى المعتزلة منهم — فلم يرَ في القول بقدرة الله على خلق العلم مع الموت والادراك مع العمى غضاضة قط ، شأن الصالحي . بل انه ذهب الى ابعد من ذلك فجوّز ان « يجامع الحجر الثقيل الجوّ الرقيق الف عام » فلا يخلق الله فيه هبوطاً وان تجتمع النار والحطب فلا يخلق الله احتراقاً فيه، وجوّز ان يُحرق الله الانسان بالنار فلا يشعر بألم الاحتراق بل يخلق الله فيه اللذة وكذلك جوّز ان يرفع الله ثقل السموات والارض حتى تصبح اخفّ من ريشة — كما يروي الاشعري[1] . وهو يختم حديث هذا المفكر الغريب بذكر حادثة طريفة جرت له ادّت الى تلقيبه « بصالح قُبّة » . فانه سئل مرةً ، بناء على اقواله السابقة : « فما تنكر ان تكون في هذا الوقت بمكة جالساً في قبّة قد ضُربت عليك وانت لا تعلم ذلك لأنَّ الله سبحانه لم يخلق فيك العلم به — وانت صحيح غير مأوف ؟ قال : لا أنكر . فلُقِّب بقبّة » . وقيل له مرةً في امر الرؤيا : اذا كنت بالبصرة فرأيت كأنك بالصين ، فأين تكون ، فأجاب : « . . . أكون في الصين اذا رأيتُ اني في الصين ، فقيل له : فلو ربطت رجلك برجل انسان بالعراق فرأيتَ كأنك في الصين ؟ فقال : اكون في الصين وان كانت رجلي مربوطة برجل الانسان الذي في العراق »[2] .

ولا شكّ أنّ موقف « صالح قبّة » هذا موقف متطرّف لا يصحُّ ان يعتبر نموذجاً لموقف المتكلمين العام من هذه القضيّة . فابن ميمون يُشير في « المقدمة العاشرة »[3] الى ان المتكلمين مجمعون ان اجتماع الضدّين في محلّ واحد في آن واحد محال وأن كون الجوهر لا عرض فيه اصلاً والعرض لا في محلّ (في قول

---

١) مقالات ص ٤٠٦ — وقد جوّز الصالحي واصحابه مثل ذلك — راجع ص ٢١٠-٢١١

٢) المقالات ص ٤٠٧ — راجع ص ٤٣٢ حول قوله في الرؤيا — حيث يروي الاشعري انّه قال : « الرؤيا حقّ وما يراه النائم في نومه صحيح . . . فاذا رأى الانسان في المنام كأنّه بافريقية وهو ببغداد فقد اخترعه الله سبحانه بافريقية في ذلك الوقت » .

٣) الدلالة صفحة قج

بعضهم) محال ايضاً . وكذلك انقلاب الجوهر عرضاً والعرض جوهراً ودخول جسم في جسم آخر ممتنع عقلاً — عندهم . والأشعري تقتنا الأولى في رواية آراء أوائل المتكلمين يؤيد هذا القول جملةً وتفصيلاً[1].

ومن خواصّ الاعراض — بحسب قول المتكلمين — انها اذا حلّت في الاجسام فهي لا تقوم في جملة الجواهر التي يتألف منها الجسم ، بل هي تقوم في كل جوهر فرد من تلك الجواهر . وبحسب هذا الوضع — كما يقول ابن ميمون في « المقدمة الخامسة » — لا يكون بياض الثلج مثلاً صفة خاصّة بقطعة من الثلج يُسنَد اليها البياض ، بل انّ عرض البياض يحلّ في كل جوهر من جواهر الثلج . وكذلك عرض الحياة لا يقوم في الكائن الحيّ بل هو يقوم في كل جزء من اجزاء الكائن الحي[2] وهكذا. وهذه الاعراض بجملتها لا تبقى

١) حول انكار « قلب الاعراض اجساماً والاجسام اعراضاً » — راجع المقالات ٢٧٠ و٥٦٧ ، حيث يستثني الأشعري قول « حفص الفرد وغيره . . » من الذين شذوا عن عامة المتكلمين في قولهم بامكان القلب . حول انكار وجود جوهر لا عرض منه باستثناء الصالحي ص ٢٠٧ و ٣١٠ . وصالح قبّة ص ٥٧٠ . حول انكار الصالحي نفسه خلق « اعراض لا في مكان » — ص ٣١١ . وجوّز الجبائي وابنه (ابو هاشم) — كما رأينا — خلق عرض الفناء لا في محلّ ، اصول الدين ٧٧ . كما جوّز ابو الهذيل أن من كلام الله (اي قوله كنْ) ما لا يحتاج الى محل — وهو عرض عنده ، الفرق ١٠٨ .

حول انكار « عامة اهل الصلاة » للمداخلة : « اي ان يكون حيّز احد الجسمين حيّز الآخر وأن يكون احد الشيئين في الآخر » — باستثناء النظام — راجع المقالات ٣٢٧ . راجع ايضاً حول استحالة قلب الجواهر اعراضاً والعكس ، التهافت ص ٢٤٤-٥

٢) دلالة ص قح" — قابل قول البغدادي في ذكر فضائح ابي الهذيل — ثمن فضائحه « انه اجاز حركة الجسم الكثير الاجزاء بحركة تحلّ في بعض اجزائه . . . وقال سائر المتكلمين ان الجزء الذي قامت به الحركة هو المتحرّك دون غيره . وان تحرّكت الجملة كان في كل جزء منها حركة ، كما لو اسودّت الجملة كان في كل جزء منها سواد » — الفرق ص ١١٢ ، والمقالات ص ٣١١ . راجع ايضاً كتاب المسائل ٦ و ٧ . « لانها (اي الجواهر) قد اشتركت في كونها جواهر . وقد اشتركت في التحيّز عند الوجود وفي انها اذا حصلت موجودة متحيّزة فكلّ واحد منها يحتمل من الاعراض ما يحتمل سائرها » . وايضاً الفصل ٥ ، ص ٦٩ : « وقالوا انه (اي الجوهر) لا يتحرّك وله مكان وانه قائم بنفسه يحمل من كل عرض عرضاً واحداً فقط كاللون والطعم والرائحة والمجسّة » .

زمانين[١]. فان الله يخلق الجوهر ويخلق فيه عرضاً ما ، فيفني هذا العرض حينه فيخلق الله عرضاً آخر من نوعه في ذلك الجوهر فيفنى هذا بدوره وهكذا طالما يريد الله بقاء نوع ذلك العرض. فان أراد الله ان يخلق نوعاً آخر من الاعراض في ذلك الجوهر خلق ، وان كفّ عن الخلق عدم ذلك الجوهر على رأي اكثر المتكلمين[٢] . كل ذلك رغبة منهم في سلب « الطبيعة » عن الاشياء. واسناد القدرة المباشرة على خلق الاعراض الى الله وحده « دون واسطة طبيعة ودون شيء آخر »[٣] — كما يلاحظ ابن ميمون . وهكذا كانت الصيرورة عندهم عبارة عن كفّ الله عن خلق سلسلة من الاعراض وابتدائه سلسلة أخرى . فلم يكن غريباً اذن ان يخطّئوا شهادة الحسّ الذي يدلّ على ان انصباغ الثوب — مثلاً — هو نتيجة للتقريب بين الصباغ وبين الثوب. فانهم زعموا أن احمرار الثوب ليس نتيجة لفعل الصبّاغ قطّ ، لان ذلك يفترض ان اللون الاحمر قد تعدّى محلّه[٤] — اي انتقل من الصباغ الى الثوب — وأن للجسم فعلاً ما يخصّه

١) راجع التمهيد ص ٤٢ حيث يعرّف الباقلاني الاعراض بقوله « هي التي لا يصح بقاؤها . . . وتبطل ثاني حال وجودها . . . » ويحتجّ على ذلك بالقرآن سورة ٨/٦٧ و ٤٦/٢٤ ؛ كالأشعري نفسه - مقالات ٣٧٠

٢) يروي ابن ميمون ان بعض المتكلمين من المعتزلة : « قال ببقاء بعض الاعراض واستحالة بقاء بعضها - الدلالة ، قط » . وذلك قول ابي الهذيل وبشر بن المعتمر والنظّام والجبائي وابنه ابو هاشم وضرار والنجّار من المعتزلة في ما يرويه البغدادي - اصول الدين ٥٠ و ٥١ . راجع ايضاً المقالات ٣٥٨ و ٣٥٩ ومن الاعراض التي لا تبقى بحسب قول هؤلاء الارادة والحركة . امّا اللون والطعم والرائحة والتأليف والعلم والحياة والقدرة فهي من الاعراض الباقية ؛ اصول الدين ص ٥٠ . ومن الذين يقسمون الاعراض الى ما لا يزول (كالطول والعرض) وما « يزول بانفساد حامله . . . » (كاللون) وما « يزول دفعة » (كالحركة) : ابن حزم - راجع الفصل ٥ ص ١٠٧ . امّا جمهور الأشعرية فقد قالوا باستحالة بقاء الاعراض . والبغدادي يربط استحالة بقاء الاعراض بكون البقاء نفسه عرضاً - كما مرّ - راجع الاصول - المرجع السابق وص ٤٢

٣) الدلالة قط » . قارن حول انكار الأشعرية « للطبائع » التمهيد ٥٦ الخ . والارشاد ١٢٣-١٢٥ والفصل ٥ ص ١٤

٤) الدلالة : قي » . قابل البغدادي - اصول ص ٣٨ : « التركيب انما يصحّ في الجواهر والأجسام والاعراض لا يصحّ فيها تركيب ولا مماسة ولا انتقال من مكان الى مكان » والمباحث المشرقية ج ١ ص ١٥٣

– وكلّ ذلك ممتنع، لأن الجسم « لا فعل له اصلاً وانّما الفاعل الاخير الله »[١]. فانصباغ اللّون اذن هو من فعل الله الذي يخلق في الثوب عرض الحمرة فيزول هذا العرض لحينه فيخلق الله في الثوب حمرة أخرى – وهكذا دواليك طالما شاء . ولو اراد لخلق في الثوب صفرة او سواداً إلا أنّه تعالى اجرى العادة ان لا يُحدث السواد في الثوب إلا عند مقارنة الصباغ الاسود وأن لا يخلق في الثوب صفرة او حمرة بعد ذهاب السواد بل سواداً مثله[٢].

ولم يكتفِ المتكلّمون ، كما يروي ابن ميمون بنفي الفاعلية عن الاجسام الجامدة بل تعدّوا ذلك الى نفي الفاعليّة عن البشر ايضاً . فزعموا أن تحريك الكاتب للقلم – مثلاً – هو في الحقيقة من فعل الله الذي يخلق عند تحرّك القلم اربعة اعراض متتابعة ليس بين واحدها والآخر « ارتباط سببي » قطعاً « وانّما هي متقارنة في الوجود وحسب »[٣]. وهذه الاعراض هي الارادة والقدرة والحركة

١) يلاحظ ان ميمون ، المرجع السابق ، ان ذلك رأي جمهورهم « وان بعضهم قال بالسببيّة فاستشنعوه ». والاشارة هنا الى المعتزلة الذين قالوا «بالتولّد» الذي يتضمّن الاقرار بتلازم الاسباب الطبيعية ، كما يلاحظ الغزالي التهافت ص ٢٧٧ . راجع دحض الاشعرية لهذا القول في الارشاد ١٣١ – ١٣٤ ، اصول الدين ١٣٧ – ١٣٩ والاقتصاد ١٠٠ وايضاً ردّ الظاهري ابن حزم على المعتزلة فصل ٥ ص ٥٩–٦٠ . حول اقوال المتكلّمين في «التولّد» راجع المقالات ٤٠٠–٤١٦ ، وحول اقوالهم في «الملل» ٢٨٩–٢٩١ . اما دحض السببيّة الرئيسي فهو دحض الغزالي في التهافت مسألة ١٧ ص ٢٧٧–٢٩٦ .

٢) الدلالة قط " . قابل ما يقوله ابن حزم في الرد على اصحاب هذا القول : فصل ٥ ص ١٠٧ : « ولا عجب اعجب من حمق من قال أن بياض الثلج وسواد القار وخضرة البقل ليس شيء منها الذي كان آنفاً بل يفنى في كل حين ويستحيل الف الف بياض واكثر والف الف خضرة» . راجع كذلك ص ٦٢ حيث يروي ابن حزم : « وذهب الباقلاني وسائر الأشعرية الى انه ليس في النار حرّ ولا في الثلج برد ولا في الزيتون زيت الخ . . . وما وجدنا لهم في ذلك حجة غير دعواهم ان الله تعالى خلق كل حرّ نجده في النار عند مسنا اياها وكذلك خلق البرد في الثلج عند مسّنا اياه » . وايضاً ص ١٤ . والاشارة هنا الى انكار الباقلاني « لفعل الطبائع » – كما في التمهيد ص ٥٧–٥٨ .

٣) حول هذا « التقارن » او « الاقتران » concomitance – كما يدعوه الغزالي – الذي لا يفترض التأثير او الفعل مطلقاً – راجع الاقتصاد ص ١٠٠ وص ٤٥ . والتهافت ص ٢٢٧ ٢٧٩ حيث يكتب الغزالي في تأويل الاحتراق : « بل نقول : فاعل الاحتراق . . . هو الله . . . امّا النار وهي جماد فلا فعل لها . فما الدليل على انها الفاعل وليس له (اي

– يخلقها الله في يد الكاتب – واخيراً فعل التحرك – يخلقه تعالى في القلم فيتحرك[1]. وهذا هو رأي الاشعرية الذين انكروا اسناد الفعل الى « القدرة المخلوقة » وزعموا ان هذه القدرة يقتصر فعلها على « أثر ما به تتعلق تلك القدرة » – خلافاً للمعتزلة الذين ذهبوا إلى أن الانسان يفعل « بالقدرة المخلوقة »[2].
واحتجوا على وضعهم هذا بقولهم ان القدرة المخلوقة والارادة المخلوقة والفعل المخلوق اعراض جميعها يخلقها الله على التوالي طالما شاء. اذ هي لا بقاء لها في ذواتها[3]. ثم إنهم بنوا على ذلك قضية لاهوتية هامة : وهي ان القول بفاعلية الاشياء ضرب من الكفر وانكار لفاعلية الله المطلقة ؛ لأنَّ الايمان الاصيل عندهم هو عبارة عن الإقرار بأن الله هو الفاعل الفرد الذي لا فاعل سواه.
ولا بدّ لنا هنا من الاشارة الى وجاهة هذه الملاحظة التي يثبتها ابن ميمون. فالمتكلمون – كما يقول مؤلفنا – لم يقولوا بنظرية الجواهر والاعراض ولم يدحضوا مبدأ السببية عبثاً. وانّما كان غرضهم الأول في ذلك هو التوكيد على استقلال الله بالفاعلية وتفرّده بالقدرة. فالغزالي في مناظرته المشهورة للفلاسفة

للخصم) دليل الا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار ، والمشاهدة تدلّ على الحصول عنده ولا تدلّ على الحصول به » قارن قول الباقلاني في التمهيد ص ٥٦ و ٥٨

١) قارن الغزالي : احياء علوم الدين ، مصر ١٣٤٨ هـ . ج ٤ ص ٢٢٠ حيث يكتب الغزالي : « فان قلت : فهل تقول ان الارادة ولدت القدرة والقدرة ولدت الحركة وأن كل متأخر حدث من المتقدم . . . فاعلم ان القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عُبّر عنه بالتولّد او بغيره . بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبّر عنه بالقدرة الأزلية » . وحول تسلسل الاطوار الاربعة في الفعل اي : حكم العقل (الاختيار) ، الارادة ، القدرة ، الحركة – راجع ص ٢١٩ . ويلاحظ ان الغزالي يضع طوراً سابقاً للارادة هو الاختيار الذي هو بمثابة المحرّك للارادة – ويدعوه ايضاً « الداعية » .

٢) الدلالة : ق ٣ : « وبعض الأشعرية قال : للقدرة المخلوقة في الفعل اثر ما ولها به تعلّق » . والاشارة هنا الى قول الأشعرية « بالكسب » – راجع الملل ٦٩ ونهاية الاقدام للشهرستاني ، طبعة لندن ١٩٣١ ص ٥٥ الخ و ٧٢ الخ – حيث يميّز الشهرستاني بين قول الاشعري « الذي لم يثبت . . . للقدرة صلاحية أصلاً لا لجهة الوجود ولا لصفة من صفات الوجود » . وقول ابي بكر الباقلاني الذي أقرّ لها الصلاحية الثانية راجع في شرح الكسب والردّ على المعتزلة : الارشاد ١٠٨ الخ . الاقتصاد ٤٤ الخ . الاحياء ٤ ص ٢١٩–٢٢١ .

٣) حول عرضية القدرة وانها غير باقية حكم جميع الاعراض – راجع الارشاد ١٢٢ والمحصل ٧٣ . وحول عرضية الاستطاعة عند الأشعري – الملل ٦٨

في التهافت يقدّم لردّه عليهم في معرض نقضه لمبدأ السببيّة بقوله: « فلزم الخوض في هذه المسألة لاثبات المعجزات ولأمر آخر: وهو نصرة ما أطبق عليه المسلمون من أن الله قادر على كلّ شيء.»[1] – حتى كأن القول بقدرة الله على كل شيء يتضمّن ضرورةً سلب الاشياء من قواها الفاعلة. وكذلك يوجه نقده اللاذع نحو المعتزلة – شيمة عامة الأشاعرة كما مرّ – لقولهم « بالتولّد » الذي يفترض الإقرار بتلازم الأسباب الطبيعيّة[2] والذي يخالف ما اتّفق عليه المسلمون من عجز المخلوق عن الفعل. وهو يعبّر بذلك عن قبوله التامّ للموقف الأشعري العام القائم على انكار ايّ ارتباط ضروريّ بين « القدرة الحادثة » (التي تضعها المعتزلة سبباً) و « المقدور » المتولّد عنها واسناد كل ذلك الى « القدرة الازليّة » – كما رأينا –[3] فان متكلّمي الأشعرية عامّة، حرصاً على ضمانة قدرة الله المطلقة – لا يُقرّون بين « القدرة الحادثة » و « المقدور » إلّا علاقة عرضيّة

١) التهافت ص ٣٧٦ . قابل ما يقوله الجويني في الردّ على « المعتزلة ومن تابعهم من اهل الاهواء » – في الارشاد ص ١٠٦ : « اتّفق سلف الامة قبل ظهور البدع والاهواء واضطراب الآراء على ان الخالق المبدع ، ربّ العالمين ولا خالق سواه ولا مخترع إلا هو ، فهذا هو مذهب اهل الحقّ » – والشهرستاني – نهاية الاقدام ص ٥٤ : « مذهب اهل الحق من اهل الملل واهل الاسلام ان الموجد لجميع الكائنات هو الله سبحانه ، فلا موجد ولا خالق إلا هو » – والاشعري – ابانة ص ٩ ، حيث يناقش الكاتب قول المعتزلة ان الانسان « خالق افعاله » . كذلك تجب الاشارة الى ما يقوله الغزالي في الاحياء ٤ ص ٢١١ وما يتلو . فهو يردّ حقيقة التوحيد وما يلزم عنه من التوكّل الى القول بانفراد الله بالفاعليّة : « والتوكّل (الذي هو باب من ابواب الايمان) يحصل بالتوحيد الثالث (اي : ان يشاهد المؤمن بطريق الكشف الصوفي ان لا اله إلا الله) . . . وحاصله ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر ، الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم ، فالمتفرد بابداعه واختراعه هو الله » ص ٢١٢ . وايضاً : مشكاة الانوار ، مصر ١٣٤٣ هـ. ص ١١٢–١١٤

٢) التهافت ص ٣٧٧ .

٣) راجع الفقرة الواردة آنفاً – تهافت ٣٧٩ ، والتي ينكر فيها الغزالي تأثير النار ملاحظاً ان المشاهدة لا تدلّ على حصول الاحتراق بها بل معها . قابل ايضاً قول الجويني (استاذ الغزالي) الارشاد ، ٢١ « القدرة الحادثة لا تتعلّق الا بقائم بمحلّها وما يقع مبايناً لمحلّ القدرة فلا يكون مقدوراً بها ، بل يقع فعلاً للباري تعالى ».

جائزة منشأها العادة. وواضح أن هذه العادة لا تستوجب ضرورة قطّ فاذا أراد الله خرق العادة تلك لم يكن في ذلك حرج ما دام الله قادراً على كلّ شيء. وهاك كيف يلخص البغدادي — أحد كبار متكلّمي الأشعرية — هذه القضية في اصول الدين، في معرض الردّ على المعتزلة القائلين بالتولّد.

« قال اصحابنا إن جميع ما سمّته القَدَرية (اي المعتزلة) متولداً من فعل الله عز وجل، ولا يصلح أن يكون الانسان فاعلاً في غير محلّ قدرته لأنّه يجوز أن يمدّ الانسان وتر قوسه ويرسل السهم من يده فلا يخلق الله تعالى في السهم ذهاباً... وأجازوا ايضاً ان يقع سهمه على ما أرسله ولا يكسره ولا يقطعه. واجازوا أيضاً ان يجمع الانسان بين النار والحلفاء فلا تحرقها على نقض العادة، كما أجرى العادة بأن لا يخلق الولد إلّا بعد وَطْإ الوالدين ولا السمن إلا بعد العلف، ولو أراد خلقَ ذلك ابتداء لقدر عليه »[1].

وابن ميمون يُلاحظ في « المقدمة العاشرة » أن قول الأشعرية بهذا الجواز المحض يجرّ الى عدد من النتائج الشنيعة. فاذا صحت مقدّمتهم هذه كان « كل ما هو متخيّل جائزاً عند العقل »[2] — ولم يكن في كون الأشياء ذواتِ احجام او اشكال معيّنة ضرورةٌ ما وكذلك لم يكن في اختصاصها بقوى او « صور » معينة تتولّد عنها افعالها الخاصّة ضرورة ايضاً. فهم يضعون أن الجواهر متماثلة وأن نسبة كل جوهر منها الى كل عرض نسبة واحدة، فلم يكن هذا الجوهر اذن اولى بهذا العرض من ذلك. وهو يختم قوله بهذه السخرية اللاذعة: « بل لم يكن الانسان أولى ان يعقل من الخنفس »[3].

ولا يسعنا تجاوز حديث الأعراض دون الاشارة الى ما يرويه ابن ميمون

---

١) اصول — ص ١٢٨. قابل هذه الفقرة بما يقوله الغزالي حول خرق العادة — تهافت ص ٢٨٥–٧، وحول امكان حصول الولادة، ابتداء ص ٢٨٨.

٢) الدلالة قب". ويعزو ابن ميمون (ص قيد") غلط المتكلّمين في « التجويز » هذا لخلطهم بين العقل والخيال وزعمهم ان ما يجوّزه الخيال يجوّزه العقل.

٣) المرجع نفسه حول تماثل الجواهر (اي كونها جنساً واحداً بخلاف الاعراض) راجع المقالات ٣٠٨ واصول الدين ٣٥ والمسائل ٢ الخ. وحول اختلاف خواصّ الاشياء باختلاف الاعراض التي تحلّ فيها — راجع الفرق ٢١٦ خاصّة.

من اقوال المتكلّمين في الحياة والنفس . فهو يروي ان الحياة والحسّ والعقل والعلم جميعها اعراض عندهم تحل في كل جزء من اجزاء الجسم الحي[١]. اما في النفس فهو يروي ان بينهم خلافا فيها إلّا أنّ قولهم الغالب هو انها « عرض موجود في جوهر فرد من جملة الجواهر التي تركب منها الانسان » . ومع ذلك فمنهم من يقول إن النفس جسم مركب من جواهر لطيفة تحلّ فيها الأعراض الخاصّة بالنفس وأن تلك الجواهر مخالطة لجواهر البدن الأخرى . كذلك العقل هم مجمعون على انه « عرض في جوهر فرد من الجملة العاقلة » . بينا اختلفوا في العلم : أهو عرض حالّ في كلّ جوهر ام في جوهر واحد من المجموع الذي يتألف منه الكائن العاقل[٢].

١) ينسب الأشعري القول بان الحياة عرض لابي الهذيل – مقالات ٣٢٧ ، والقول بأن « الحواس الخمس اعراض غير البدن » الى ابي الهذيل ومُعمّر من المعتزلة ٣٣٦. وهو يشير الى تمييزهما بين الحواسّ وبين النفس : « فانهما اثبتا النفس عرضاً غيرها وغير البدن » – نفس المرجع – والى تمييز ابي الهذيل ، بين الروح والحياة والنفس ، ٣٣٧ . وتشتمل لائحة الاعراض على مذهب الاشعرية – التي يوردها البغدادي في اصول الدين على الحياة والعلم والايمان والارادة والكلام والجهل ص ٤٠-٤٥ . اما حلول هذه الاعراض في كل جزء من اجزاء الجسم الحيّ فهو يلزم عن قول جمهور المتكلّمين بان تلك حال الاعراض جميعها كما مرّ.

٢) راجع الدلالة : قح " – ينسب ابن حزم القول بأن النفس عرض من الاعراض الى جالينوس وابي الهذيل – الفصل ٥ ص ٧٤ . ويضيف الأشعري الى اسم ابي الهذيل جعفر بن حرب – مقالات ٣٣٧ ويؤيد ذلك قول ابن رشد ان المتكلّمين قالوا بعرضية النفس تهافت ٥٨٨. وابن حزم يزيد « ان سائر اهل الاسلام والملل المقرّة بالمعاد (يذهبون) الى أن النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة مميّزة مصرفة للجسد » – المرجع نفسه . وهو يقرّع العطّار ، ومُعمّر بن عمرو من المعتزلة لقولها ان النفس جوهر لا جسم ص ٧٤ و ٧٠ . حول اختصاص النفس باعراض تحل بها منها الذاكرة والعقل والفضائل والرذائل راجع ص ٧٦ و ٨٠. وذلك هو قول محققي المتكلّمين (باستثناء معمّر بن عبّاد السلمي والامامية من الشيعة والغزالى وابي القاسم الراغب) حسب رواية فخر الدين الرازي – كتاب الاربعين ٢٦٧ . اما العقل فابن حزم يضع « ان لا خلاف بين احد له عقل سليم في انه عرض محمول في النفس . . . » – وهو يحاول اثبات ذلك بالحجة ويردّ على القائلين بأن العقل جوهر قدوة « بالجهّال المخلطين من الاوائل » الذين بنوا قولهم على ترجمة لفظة يونانية تقابل لفظة العقل في العربية – الفصل ٧١ و ٧٣ وهو يشير هنا الى لفظة [illegible] التي تمثل في النظام الافلوطيني القطب الثاني من ثالوثه الفلسفي : [illegible] (ويقابلها في العربية : الاول ، العقل ، النفس) .

بهذا ينتهي عرضنا لتلخيص ابن ميمون لبنود الكلام الهامّة ، وقد حاولنا ان نقتصر فيه على القضايا التي انفرد علماء الكلام فيها عن المدرسة الفلسفيّة الارسطوية العربية والتي هي بمثابة البناء الفلسفيّ الذي اقاموا عليه اقوالهم اللاهوتيّة الكبرى . وتدور المقدّمتان الحادية عشرة والثانية عشرة على قولهم باستحالة وجود ما لا نهاية له (سواء أكان ذلك بالعرض ام بالفعل ام بالقوّة) وعلى قولهم بأن الحواسّ لا يوثق بها لانه يفوتها الكثير من مدركاتها – اتباعاً لآراء القدماء من السوفسطائيين . ونكتفي بهذه الاشارة العابرة الى مضمون هاتين المقدمتين لانهما لا تمتّان الى النقد التوماني الذي سنعرض له إلا بصلة بعيدة .

(للبحث صلة)

كتاب

مختصر تاريخ جبل لبنان (مخطوط)

تأليف الشماس الشيخ انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني

شيخ مشايخ الجبة ، وجد بطل لبنان يوسف بك كرم ، لوالدته

نشره لاول مرة ، مع درس وتعاليق

الاب اغناطيوس طنوس الخوري

الراهب اللبناني (تابع وغاية)

ورجع لمصر ، بعد انه فتك في عكا وذاقهم الهوان ، على موجب ما شهدوا الذين دخلوا عكا ، ان جميع العسكر الذي كان مع ابونابارته من الفرنساوية ، كل واحد منهم يضاهي عنتر عبس اضعافاً . لانهم انزلوا الرعبة والخوف في كافة بر الشام ، وحلب ، لحد ديار بكر . وجميع هذه الاقاليم اعتمدوا ان يتركوا محلاتهم ، ويتوجهوا هاربين ، للنجاة طالبين .

واخذوا غزة والرملة ، ويافا ونابلوس والقدس ، وما يليهم . وامتد حكم ابونابارته بر وبحر ، من اقليم مصر ، لحد مرجعيون . واجرى احكامه في هذه المواضع جميعها . وترك بر الشام ، ورجع لمصر . وابقا كافة العسكر الذين كانوا معه . وتوجه الى بلاد فرنسة بقوله : انه يدبر فرنسة ، ويرجع لمصر .

واما الجيش الذي بقي بعده في مصر ، استقام نحو سنتين . وفي غضون ذلك حضر وزير الاعظم بعسكر واهي ، اي عرضي همايوني ، من قبل الدولة العلية ، لاجل استخلاص اقاليم مصر من العسكر الفرنساوي . وحضر الى مصر وعمل جملة شرور مع عسكر فرنسا . وباتت الكسرة على عسكر الوزير ، الذي كان اسمه يوسف باشا . وبعد انه فهم ما له معهم طالع ، والمذكور (الوزير) كان ذو عقل وتدبير ، صار يراسل قواد العسكر ، حتى يطلعوا (يخرجون) ويرجعوا الى بلادهم ، بكل هدو وسلامه . وقواد العسكر حين

فهموا انه لم عاد يحضر لهم امداد من بلادهم ، رضيوا مع الوزير ، وتركوا اقليم المصري ، وتوجهوا راجعين الى فرانسا ، من غير ان تصيبهم مضرة البتة، بكل امان . فكان خروجهم من مصر في ذي الحجة سنة ١٢١٨ هـ (١٨٠٣م.) . . .

بعد هذا يواصل المؤلف حديثه ، مكملا هذه الصفحة الى صفحة ١٢٥ ، عما جرى لنابليون في فرنسة ، وتتويجه امبراطوراً ، وغزوته لروسية ، وسبب فشله فيها من شدة البرد والثلوج ومرض الجيش ، وتواطؤ ملوك اوربة عليه ، واسره في جزيرة القديسة هيلانة . . . ثم يثبت ايضاً وصية ملك فرنسة لويس السادس عشر (١٧٧٤–١٧٩٣) وما جرى له ، ومقتله . . . مما هو مشهور في تاريخ فرنسة ، ولا نرى موجباً لنشره . ومن ذلك ايضاً تاريخ ملوك فرنسة والنمسة واسبانية والمسكوب (روسية) ، والانكليز . وهو خارج عن الغاية من نشر هذا المخطوط ، وهي المتعلقة بتاريخ لبنان ، وما زالت طي الخفاء الى الآن . . .

تاريخ الهزات والزلازل والرجفات والصواعق
وما يشابه ذلك من تواريخ مفرقة

تكملة الصفحة [١٢٥]

يخبرنا بالينوس الفيلسوف ، ان قوة بعض صواعق تذيب السيف في غمده ، ولا تثلم الغمد اصلا ، بل تبقيه سالماً صحيحاً . يذكر في تاريخ سنة ١١١٤م. حدثت رجفة وزلازل عظيمة ، في بلاد قيليقية ، وحلب والشام . فهبطت حصون كثيرة ، ومدن وضياع كثيرة دفنت بها تحت الردم . والذين قصدوا الصحارى والبراري اخذتهم القشعرة (شدة الارتعاب) من الرجفات والرويات (المشاهد) المريعة جداً .

وفي تاريخ سنة ١١٤٣م. صارت هزة في اراضي الشام ، وخربت كثيرة من البلاد ، لا سيما حلب ، حتى فارقت اهلها البيوت ، وخرجوا للبراري . ولم تزل من اربعة سفر الى تاسع عشر منه .

[١٢٦] وفي سنة ١١٥٦ ، صارت زلزلة عظيمة في بلاد الشام ، وحلب ،

وحمص ، وحصن الاكراد ، وعرقا ، واللادقية ، وانطاكية وطرابلس . فهلك تحت الردم ما لا يحصى . وكان اشد فعلها في حماة ، فهدمت الاسوار والقلعة ولم يبقَ من اهاليها الا القليل . ولذلك سميت زلزلة حماه .

وفي سنة ١١٧٠ (الف ومائة وسبعين) ، كانت زلزلة عظيمة في الشام . ولم يسمع مثلها قط . وبقيت نحو اربعة اشهر ، والناس تشاهد الرجفات من شدة الريح ، في باطن الارض . وخربت انطاكية وجَبَلة واللادقية ، وحلب وحمص . اما طرابلس صارت كلها شبه المقبرة . وقال ابن الجوزة ان هلك في حلب ثمانين الف . وخربت كنايس واماكن عظيمة في الشام ، وعجزت الناس عن ترمرمها (ترميمها) .

وفي تاريخ سنة ١١٩٩ ، صارت بالشام زلزلة عظيمة . حتى ظنوا النــاس قامت القيامة . فدامت مقدار ثلاث ساعات . ومات تحت الردم خلق كثير حتى ان نابلوس لم يبق بها حايط الا وسقط . واهل صفـد لم يسلم منهم الا رجل واحد . وهدمت مدن كثيرة .

وفي تاريخ سنة ١٢١٨ ، هاج البحر على مدينة قيليقية . فمات من الناس نحو ماية الف نفر وازود . — وفي تاريخ سنة ١٢٨٧م ، دخل البحر الى المدينة المذكورة ، وغرق فيها ثمانين الف نفس .

وفي تاريخ سنة ١٢٧١م ، في شهر نيسان ، تزلزلت الارض في بلد الارمن . وخربت قلع كثيرة . ومات فيها ماية الف نفس .

وفي تاريخ سنة ١٣٠٢م (الف وثلاثمائة واثنتين) ، في ٢٣ ذي الحجة ، تزلزلت الارض زلزلة عظيمة . وكان لها تأثير بمصر واسكندرية ، وصفد والشام ، واستقامت عشرين يوم . وهدمت مدن وعماير ، ودور وجوامع ، لا تحصى . ومات تحت الردم خلقاً كثير . وبعد ذلك صارت قيضة (قيظ) حتى يبس الكرم من شدة ذلك .

وفي سنة ١٥٠٩م (الف وخمسمائة وتسع) هاج البحر ما بين القسطنطينية وبرها بهذا المقدار ، حتى ارتفع فوق الاسوار ، وهلك ناس كثير .

[١٢٧] وسنة ١٦٥٦م تزلزلت مملكة نابولي ، مدة ثلاث ساعات ، قبل الضو . وفتحت الارض فاها ، وابتلعت قصوراً وقلاعاً لا تحصى . وقتلت من

الناس نحو سبعين الف . واخبر مؤرخ آخر انه بتاريخه، حدثت في انطاكية زلزلة . فهدمت اكثر منازل المدينة. وقتل تحت الردم ستين الف . وفي زمان طيباريوس قيصر (١٤—٣٧) حصلت زلزلة عظيمة متسعة، اتصلت من اسكندرية الى انطاكية ، والى ممالك اخر شرقاً وغرباً . واستقامت ثلاث اشهر . حتى ظنوا الناس ان العالم اشرف على الانتها .

ويذكر ايضاً ان بعد موت يوليانوس العاصي (٣٦١—٣٦٣) ، حدث زلزلة عظيمة ، وارتجفت الارض كلها . وتجاوز البحر حدوده . حتى ظنت الناس انه طوفان ثاني ، لان السفن ارتفعت فوق منازل اسكندرية . ولما سكن البحر استمرت السفن على سطوح المدينة المذكورة ، ومات بها خلقاً لا تحصى عدداً.

وفي سنة ١٧٥٩ ، صارت هزة وزلزلة مرعبة جداً ، في بر الشام، وبعلبك وبيروت ، وطرابلس وبرها . وفعلت افعال عجيبة . وهدمت اكثر قرى البر. ومات اناس لا تحصى . حتى ظنوا ان العالم اشرف على الهبوط . واستمرت على هذا الحال ، من اول يوم من تشرين الى اول شباط .

وفي سنة ١٧٩٦ ، صات هزة في مدينة اللادقية . وراحت بها عماير شتى، وخلقاً لا تحصى . وفي تاريخ سنة ١٨٠٣ الى ١٨٠٥ ، صارت هزة في طرابلس وبرها ، وخربت بعض اماكن . ومات بها جملة اناس .

تاريخ الطاعون والحسبة وموت الفجأة والجدري

يذكر في تواريخ البطرك اسطفان (الدويهي) وغيرها . قال ابن الجريري: انه في سنة ١١٩٨م ، صار فنا في اقليم مصر عظيم جداً حتى ان ملك مصر كفّن من ماله ، بمدة يسيرة ، نحو ماية وعشرين الف . والكلاب تأكل اكثر الموتى ، لعدم من يدفنها . وكان [١٢٨] كل يوم يخرج من مصر الف وخمساية جنازة ، من غير الذين دفنوا بلا عدد . وجملة الذين انعدموا من مصر في تلك السنة ، ماية وواحد وعشرين الف ، وازود . واما الذين ماتوا من غير تحرير (قيد) لا عدد لهم . الله يعلم كميتهم .

يذكر في تاريخ سنة ١٣٤٨ ، صار طاعون في بلدان الحلبية والشام ، واغلب الاماكن . حارت به الافكار لثقله . ونقل (روى) صلاح الدين قلاوون ان

في دمشق، صلوا في بعض الاوقات في الجوامع على جنازات، في كل جامع مايتين وستة وثلاثين . حتى خليت الدور والضياع من سكانها .

وفي تاريخ سنة ١٤٦٨ ، كان الوبا العظيم في مملكة الشام فهلك خلقاً كثير . وكان كل يوم يخرج من دمشق الف جنازة واكثر . وفي سنة ١٥٣٦ ، حدث طاعون عظيم في مرسيليا ، واستقام تسعة اشهر ، حتى امتلت القبور من الموتى . واكثر المتصوبين كانوا يجتوا في ثاني يوم . والبعض منهم كانوا يطرحوا انفسهم في البرية . وآخرون يلقون ذواتهم من علو شاهق . ومنهم كان يخرج من مناخيرهم دم عظيم ، كان قطعُه موتاً لهم . والذين يشعروا في وروده ، حالًا يكفّنوا ذواتهم ، لعلمهم بالموت .

وفي سنة ١٥٧٩، عرض طاعون في نواحي مصر والشام ، حتى انهم صاروا يصلوا كل يوم على مايتين نفس في الجامع . ويذكر مؤلف المناره (الدويهي) انه في ١٦٥٣ ، صار وبا شديد في بر طرابلس ، في الزاوية (وطن ناشر هذا المخطوط) والتجت الناس الى سيدة زغرتا . وكثيرون شاهدوا السيدة فوق سطح الكنيسة مجللة في ثياب مفتخرة (جميلة).. وما احد من اهالي زغرتا صابه مضرة في ذلك الفنا .

وفي تاريخ سنة ١٦٦٩م ، رجع الوبا العظيم الى ايالة الشام وطرابلس وحلب . وانضبط في دفتر قاضي حلب عن الموتى مايه واربعين الف . وفي الشام خمسة وسبعين الف . وفي طرابلس شي كثير ، وفي قرية زغرتا مايه نفس . ثم رسم مؤلف المناره (البطريرك الدويهي) ثلاثة ايام صوم . وفي اليوم الثالث تناولوا جسد الرب ، وعملوا زياح . وانقطع الواغش (الوبا) من زغرتا . وبقي في غير محلات نحو نصف سنة في ايالة طرابلس .

[١٢٩] وفي تاريخ سنة ١٦٩٢ ، دخلت الشتوية دافية . وقلت الينابيع . وتحرك الجدري والحصبة والجرب ، ثم الوبا الذي عم بر الشام ، ساحل جبل . وفي سنة ١٧٣٢م ، صار طاعون في طرابلس ، ومات منها نحو ثلاث الاف .

وفي سنة ١٧٣٣م ، صار طاعون ثاني في طرابلس . وامتد الى الضنية والزاوية ، وبستان زيد ، وعردات واصنون وكفرزينا . وراح منهم كثير . وسمي في البر طاعون كفرزينا ، لانه راح من اناسها ثلاثة ارباع ، وبقي منهم الربع لا غير .

وفي سنة ١٧٥٩م ، صار طاعون عظيم في الربيع . وامتد من نواحي صيدا الى حدود اللادقية . ومات فيه خلقاً كثير . وسمي في البر طاعون الامير قاسم الشهابي، لانه اتى مع العسكر الذي جابه من صيدا الى بيروت . وفي سنة ١٧٧٢م، صار جدري قوي في طرابلس . واخذ منها خلقاً كثير من اطفال صغار وكبار .

وفي سنة ١٧٧٣م ، صار طاعون زايد في طرابلس وبرها . ومات خلقاً كثير . وارتجفت النـاس من عظم فعله . وكلا منهم هرب الى البراري . واالذين انوجدوا قدامه ، ما بقي منهم سوى القليل .

وفي سنة ١٧٨٥م ، صار طاعون في ايالة طرابلس وبرها . ودار في كافة البر من ضيعة الى ضيعة ، كل سنة في مطرح . وينقل من مدينة الى مدينة ، من مدينة يافا الى مدينة حما والشام ، وبر هولاء المدن. ومات في هذه الاماكن خلقاً لا تحصى . ولم يزل يتناقل من مدينة الى مدينة ، ومن قرية الى قرية ، مدة ثلاثة وثلاثين سنة . واما هذه السنة (١٨١٦)، لله الحمد ما عاد بان له اثر .

يذكر المؤرخون ، انه حـدث في القسطنطينية طاعون ، كانوا يجتنوا به المطعونين . ويتداخلهم خوف عظيم . حتى كانوا يموتون من مجرد وهمهم ، من ان جيرتهم يريدوا قتلهم . [١٣٠] ويخبر الخبر اليوناني ، انه في عصره صار في بلد الروم وبا مريع اهالك ناس لا يحصى عددهم . والذي كان يُشفى منهم يعدم الحاسة بالكلية ، ولا يعود يعرف والديه ولا اولاده .

ويذكر ايضاً ان جنود الملك دخلوا مدينة بابل ، ودخلوا هيكل ابوللون. فوجدوا فيه صندوقاً مقفولاً ، فظنوا ان به مالاً . حين فتحوه فاحت منه رائحة كريهة جداً افسدت مدينة بابل كلها ، وبلاد الروم ، ثم مدينة رومية. وفعلت في سكان هذه الاماكن فعلاً لا يوصف . حتى لم ينجو منهم سوى الثلث .

ويذكر ايضاً انه حدث في بلاد النمسة مرض وبا. وكان يميت من يدركه باربعة وعشرين ساعة . وكان يخرج من جسمه عرق مسموم . وقد مات كثير من سكان هذا الاقليم لكونه مرض مرعب جداً .

يقول الناشر : وتنتهي هذه الصفحة ببعض حوادث موت الفجأة . استقاها المؤلف من كتاب ميزان الزمان الروحي ، وهي غير محدودة التاريخ والمواطن ، فاضربنا عنها .

[١٣١] تاريخ الغلا والجوع

يذكر في تواريخ صاحب التاريخ (الدويهي) : انه في تاريخ سنة ١١٩٨م، قال ابن الحريري ، انه اشتد الغلا في مصر والشام . وخربت ديار مصر من جرى ذلك . واكلوا اهلها لحوم البشر . وهلك خلق كثير . ومنهم ناس كانوا يشوا اولادهم الصغار ويأكلوهم . ويتحايلوا (يحتالون) على الاطبا، ويستدعوهم بان عندهم مرضى ، ويقتلوهم ويأكلوا لحومهم . واكثر قرى مصر لم يبق بها احد من الموت جوعاً . واشتد الغلا في دمشق . وفقدت خزاين الملك العادل . ولم يقدر يكفي جزءاً صغيراً من هذا الغلا .

وفي سنة ١٢٩٥م ، كان الغلا مفرط بمصر والشام . وبلغت غرارة (اسم وزن) القمح في دمشق بماية وخمسين درهم . وبمصر بلغ الاردب (وزن) بماية وستين درهم . فاكلوا الناس الجيف وماتوا من الجوع. وفي الطريق مات ناس كثير . وفي شهر صَفَر مات في مصر ما ينوف عن الماية الف. ثم وقع الرخص في جمادى الاولى .

ويذكر الحريري ، ان في سنة ١٣١٧م ، صار غـلا وقحط مفرط ، في الموصل وديار بكر ، والجزيرة ، حتى ابيعت الاولاد الى الترك . واشتروا كل ولد بعشرة دراهم . وان رجل باع ابنه برغيف، واكل الرغيف ومات. وانباع كل جزرة خُبّيز بدرهم . واستمر الغلا في الموصل اربع سنين . واكلوا الجيف ومات خلق كثير . وخربت مدينة اربد ، وجملة قرى من الجوع .

وفي سنة ١٣٤٨م ، صار غلا عظيم ، حتى انبـاعت غرارة القمح الشامية بالف وستماية درهم ، ورطـل الزيت السارج (للنور) باربعة وعشرين درهم ، ورطل اللحم بعشرين درهم . ومن زيادة الموت، رخصت الاسعار ، حتى غرارة القمح الشامية انباعت بماية وسبعين درهم وما دون .

وفي سنة ١٤٠٠م (الف واربعمائة) ، صار الغلا الشديد ، الذي ما عليه مزيد . وصارت الخلق بضيق عظيم لا يوصف . وغليت الاسعار ، حتى شنبل القمح وصل [١٣٢] الى الستين غرش ، والدخن (نوع حبوب) ثلاثين . فاكلت الناس عبيدهم وجواريهم واولادهم ، والجيفات. وبقيت امواتاً كثيرة بلا دفن .

وفي سنة ١٤٥٦م ، يذكر الياس من معاد (بلدة مارونية قديمة بين جبيل والبترون) ، انه صار غلا في بر الشام وطرابلس . حتى وصل مكيول الحنطة الى اربعماية درهم فضة . وفي سنة ١٤٦٦م ، تباين نجم في الشرق بذنب . فلحقته (تبعته) شوبة عظيمة . وامحلت الزروع والحبوب جميعها . وبلغ شنبل القمح الى سبعين قرش ، والعدس الى ستين ، والدرى والدخن والشعير الى خمسين ، ورطل الدبس الى اربعة عشر غرش . فهلك في السواحل اكثر البهايم ، والناس من شدة الجوع . وطالت الشوبة نحو سنتين . والناس تقتات من عشب الارض .

وفي سنة ١٥١٩م ، صار غلا عظيم . حتى ان شنبل القمح بلغ في ايالة طرابلس الى ماية دينار ، وفي بيروت الى ماية وخمسين . ويقول حمزة ابن احمد ابن سباط ، ان في هذه السنة غليت جميع الاسعار : الحرير والقطن والصوف والكتان . واصناف الملبوس والحيوان وصلت الى الخمسة الاف درهم . وراس البقر الى ٣٠٠٠ (ثلاثة الاف) ، وراس المعزي والغنم الى مايتين وخمسين درهم . وطير الدجاج ١٨ درهم . وجميع الاسعار زادت عن عادتها . حتى حجارة العمارة صارت كل الف حجر بماية درهم .

وفي سنة ١٥٢٦م ، صار غلا في طرابلس وبرها . فثبت تسعة اشهر . ووصل شنبل القمح الى ماية وخمسين درهم ، والدرا الى ماية وعشرين ، وقلة الزيت (١٣ رطلًا) الى ثمانين ، وقنطار الحليب خمسماية درهم ، ورطل الخبز ٢٥ درهم . واكثر الناس ترفوا في صوم الكبير .

وفي سنة ١٦٢١ م ، كان الغلا في سواحل البحر من قلة المطر . ووصلت غرارة القمح الى الفين وخمسماية سكمانة . ولاجل ذلك شاعت قداسة البطرك يوحنا مخلوف الهدناني (١٦٠٨ - ١٦٣٣) ، وامر بنصب كرم « دير غاتا » نحو عشرة فدادين . فكانت الناس تأكل من نفقة الكرسي . وعند الفكة يأخذون الزاد لعيالهم . وكان ياتيه في المرضى [١٣٣] المقتربين الى الموت، ويضع يده عليهم ، ويرجعوا متعافين من امراضهم .

وفي سنة ١٦٦٣م ، اشتد الغلا في بلد الشام ، بسبب الجراد الذي رعى الزرع . حتى لحق شنبل القمح الى اربع غروش ، وكيلة الرز الى غرش . وفي

سنة ١٦٩٦ ، صار غلا . انباع شنبل القمح باربع غروش ، وقلة الزيت بسبعة ونصف ، وكيلة الرز بقرش .

وسنة ١٧٥٧ م ، صار غلا عظيم ، وعم به الشرق. وحضروا به من الرها الى بر الشام . ومن زود الجوع الذي صار ، لعدم وجود الغلال ، قيل انه جملة اناس ذبحوا اولادهم الصغار ، واكلوهم . ووصل شنبل القمح الى سبعة غروش ، وقفة الرز الى اربعة غروش . وفي سنة ١٧٧٢ ، صار غلا زايد في طرابلس وبرها . حتى صار شنبل القمح بعشرة غروش ، وشنبل الدرا بسبعة غروش ، وقفة الرز باثنين وعشرين غرش .

وفي سنة ١٧٩٣، صار غلا في بلاد سورية وما يليها . حتى وصل شنبل القمح الى ثلاثين ، ومطارح الى اربعين. وانوّف(اكثر). ولكن الغلة كانت موجودة. وفي سنة ١٨١٦ ، صار غلا في بر الشام ، وطرابلس ، وما يليهم. حتى وصل شنبل القمح الطرابلسي ، في البيدر ، الى ٢٥ غرش ، وفي بعض اماكن الى اربعين وينوف ، وشنبل الدرا الى عشرين ، والشعير ١٥ ، وقفة الرز ستين ، وقلة الزيت خمسين . ولكن الباري الطف في عبيده . واستقام هذا السعر على حاله ، من غير زيادة ، الى الموسم الآتي ، اي موسم سنة ١٨١٨ م . فاخصب الله جميع الغلات . ورجعت تهاودت الاسعار ، اي شنبل القمح سبع غروش ، وما دون . وتنازلت كافة الاسعار على هذا الموجب . فنشكر مراحمه تعالى على ذالك .

[١٣٤] وقد اخبروا المؤرخون ، انه لما حاصر اكبراوس مدينة رومية ، واداق (ضيّق) الجوع على اهلهـا بهذا المقدار ، اكلوا الخيل والكلاب والقطاط ، والفار ، ولحم البشر . ويذكر ايضاً : على زمان اليشع النبي ، صار جوع مهلك في السامرة . وانباع راس الحمار بمايتين درهم فضة ، وربع مكيال زبل الحمام بخمسة دراهم . واكلوا بعضهم . وان امرأة حضرت قدام الملك مشتكية على جارتها ، ان ما قامت بوعدها . لانهما كانتا تشارطان ان يأكلا اولادهما . فبعد ان ذبحت المشتكية ابنها واكلته معها ، لم تعد ترضى الثانية بذبح ابنها ، لكنها اخفته ، ولم تقم بوعدها لها .

ومثل ذلك يخبر يوسيفوس المؤرخ ، انه اذ حاصر الرومانيون اورشليم ،

واشتدّ عليها الحصار ، كانت امرأة غنية شريفة . انفقت كل مالها. وما بقي بيدها شي. . وحصلت في ضيق عظيم من افراط جوعها . وكان لها طفلًا صغير ترضعه ، فذبحته ، وشقته نصفين ، وشويت احدهما على النار ، واخفت الثانية . وفي اثنا. ذلك ، دخلوا الجنود اليها ، وشموا رائحة اللحم المشوي . فتوعدوها ان لم تقدم لهم ما اشوته . ومن خوفها احضرت لهم ما اخفته . فلما شاهدوا الجند هذا المنظر المريع ، ارتجفوا خوفًا ، وبهتوا صامتين ، وهربوا مشمأزين من هذا المنظر المهول . وتركوا الام مع جز. ابنها . وهذا ما حصل لها من اموالها الغزيرة .

مذكور في كتاب « ميزان الزمان » ان الفلاسفة الطبيعيون ، لاحظوا ان في القمر ثلاثة الوان وهم : الاصفر والاحمر والابيض . فاذ يكون لونه اصفر يحبس المطر . واذ يكون احمر ، يسبب الريح . واذ يكون ابيض ، يصدر منه الصحو . والله اعلم .

[١٣٥] يذكر ايضًا ، قال المعلم الجليل فيلبوس اليسوعي : ان فلك القمر اوطى جميع الافلاك ، لانه بعيد عن كرة الارض ١٨٨ الف ميـل . وانه لو لقي (رمي) حجر الرحى من الفلك الثامن ، الذي هو اعلى الافلاك ، دون السما الاعلى مسكن الملايكة والقديسين ، لا يمكن ان يصل الى الارض الا بعد تسعين سنة . مع ان الحجر المذكور يقطع في الساعة مايتين ميل . ويقول هذا المعلم عينه : ان النجوم تقطع بسيرها مدة ساعة واحدة ، اربعماية وعشرين كرة ميل .

تاريخ الشتا والثلج والانهر والارياح والسيل والبرَد

يذكر تاريخ سنة ٣٦٩م ، وقع برد في القسطنطينية ، مثل قطع الصخور . وفي تاريخ سنة ١١٤٩م ، جا. مطر احمر بقي اثره على الارض ، وعلى الدواب ، وثياب الناس .

في سنة ١١٧٣م ، وقع بَرَد عظيم . فزانوا البردة ، طلعت سبعة ارطال بغدادي . وكان على شبه النارنج . فاهلك كثير من الناس والمواشي . وفيها نزلت امطارًا غزيرة ، وخربت ضياع كثيرة . ودامت بالموصل اربعة اشهر ،

هدمت بها الفين بيت. وغرقت في بغداد بيوتاً كثيرة. وهربوا الناس الى البراري.
وفي ١٢٢٧ م ، صار مطر في مدينة حلب ، رمل احمر شبه البَرَد ، وفيه تراب شبه الطباشير.
وفي ١٢٧٠ م (الف ومائتين وسبعين) ، في ١٢ شوّال صباح الاحد ، نزل على دمشق سيل عظيم حمل الدواب والعلو . وارتفع حتى بلغ حدّ عشرة اذرع . ودخل في « باب الفراديس » .
وفي سنة ١٢٧٦ م ، ظهر كوكب في بر الشام ، في (شهر) ربيع اول. وكان له شعاع وشرار . وكان يضي. مثل النهار .
وفي سنة ١٢٨٣ م ، صارت في قبرس امطار زايدة ، ورجفة ، حتى تشققت بعض جبال ، وصارت هوات عميقة جداً . وظهرت ينابيع جدد. وبادت كثير من الطرش. وفي اول شعبان ، جا. في دمشق سيل طلع النهر الى جسر توما. وارتفع على (فوق) باب الفرج . وهدم مساكن كثيرة. ومات خلق كثير. وقُلِعت اشجار . وكان عسكر سيف الدين قلاوون نازل قرب نهر بردى ، فهلك منه ومن الخيل والخيام كثير .
[١٣٦] وفي سنة ١٣٠١ م(الف وثلاثمائة وواحدة) ، سقط في ماردين بَرَد على شبه صورة حيات ، وعقارب ، وطيور ، وسباع . وحضر بذلك تحرير من قاضي ماردين مسجلاً في المحكمة ، الى قاضي حلب . وتسجلت في محكمة حلب .
وفي سنة ١٣٠٧م (الف وثلاثمائة وسبع) يذكر ابن الحريري وابن سباط ، ان في هذه السنة توقف المطر للربيع. ثم وقع ثلج وبَرَد اباد الفواكي ودود القز.
وفي سنة ١٣١٢ م ، يذكر احمد ابن سباط ، انه صار سيل عظيم في مدينة حمص ، اهلك بها خلق كثير . ومات في «حمام ملك الامرا» نحو مايتين امرأة . ودخلوا رجال لكي يخلصوا النسا. فهلكوا . وهلك في الخان عدة دواب . ومات من الناس شي كثير.
وفي سنة ١٣١٧ ، عند طلوع الشمس ، صار سيل عظيم في دمشق كثير العكر . وكانت المياه شبه الطحينة .
وفي سنة ١٣١٨ ، حصل في دمشق ريح شديد. وبإثره غبار عظيم ، اصفر

الجو منه ، ثم احمر ، ثم اسود حتى اظلمت الدنيا نحو ساعة . ووقع مطر عظيم . وجرت الميازيب .

وفي سنة ١٥٠٣ (الف وخمسمائة وثلاث) ، جاء سيل عظيم ومطر ، عم الارض . ودام نحو سبعة وعشرين يوماً ، منها خمسة ايام بلياليها ، لم يرى لا شمس ، ولا قمر . وزادت الانهر ، واخذت دور وبساتين، وخربت جملة نواعير . وهلكت مواشي عدة . وجسور عدة .

وفي سنة ١٥٠٧م (الف وخمسمائة وسبع) ، هاج في مملكة فرانسا ريحاً عاصفة بهذا المقدار ، حتى انه زعزع البيوت وابعد بين السطح والسطح، واخبرنا مؤرخ آخر ، انه شاهد بعينه اخشاباً ضخمة جداً طايرة في الجو نحو ميل ، من شدة الريح . ويذكر انه في بلاد فلسطين ، وقع برد ثقيل قتل من الناس شيء لا يحصى عدده .

وفي سنة ١٥٠٨ (الف وخمسمائة وثمان) ، صار ثلج عظيم كان بدوه من ٧ (سبعة) شباط . واستمرت ترمي (ثلجاً) نصف شهر . وانقطعت الطرق في السواحل والمطارح، التي ليس لها عادة تثلج . وارتفع في الساحل سبعة اشبار .

[١٣٧] وفي سنة ١٥٢٤م ، وقع في بلاد ايطاليا برد قدر بيضة الدجاج .

وفي سنة ١٥٣٧ ، امطر الله على مدينة برلوتينا حجارة ، تثقل كل واحد يزوف عن اربعة ارطال ونصف . وفي بلد اليمن (لعله اليمن) ، وقع برد بقدر جمجمة الانسان .

وفي سنة ١٥٥٧م ، جاء سيل عظيم ، حتى ان نهر قاديشا ، النازل في نصف طرابلس ، ما ابقى جسراً عامراً، من الجرد الى البحر ، وفي ١٨ اذار (منها) ، جاء ريح عاصف ، وثلج بكثرة . وفي الوادي بلغ (الثلج) علو قامة . واعدم ورق القز والكرم ، مع ساير الفواكه .

وفي سنة ١٦٣٦ ، في اول تشرين الاول ، نزل برد في الزاوية والضنية ، حتى زانو تثقل كل بردة وقية . وسنتها صار المطر قليل . حتى ان في الكوانين، اكلت الناس الفواكه عن امها (عن الاشجار) .

في سنة ١٦٧٤ ، في ٣ ت١ (تشرين الاول) دام المطر نحو عشرين يوم . وحمل (جرف) السيل اماكن كثيرة ، وطواحين وعماير . ووصل الثلج الى

البحر . وفي رشيد (بمصر) جرفوه عن المراكب ، ودنقوا اثنين من البحرية. وفي قرية كفرسلوان (لبنان) بيع طبق الزبل بربع قرش .

وفي سنة ١٦٧٧ م ، في ٧ (سبعة) ايار ، جاء ريح شلوق (حار) استقام سبعة ايام . وانضربت تز السواحل على الشيخ .

وفي سنة ١٦٨١ ، دخلت التشارين والكوانين قليلين المطر. وظهر شهب في الفضاء بين قبلي وشمال ، ثبت نحو شهر وغاب . ثم دخل الربيع -بارد . وانضربت الشجرية (الاثمار) من البرد . وقيل ان بلغت البردة الى ثقل وقية وثلث . وفي حوران وقيتين . وقشرت الشجر . وابادت الزرع . واهلكت كثير من البهايم .

وفي سنة ١٧٧٢ م ، صارت صقعة ، وضربت ورق القز والزرع، والفواكه، ساحل جرد .

وسنة ١٧٧٥ ، كانت الشتوية باردة . وصارت في شباط ثلجة كبيرة طمت السهل ، ووصلت للجزاير التي في البحر ، قبال مينا طرابلس ، مقدار دراع . وصار ضيق عظيم على سكان الجرد . وقيل انهم [١٣٨] قبروا موتى بعضهم على وجه الارض . فلما فك الثلج ، وجدوهم في عباب التوت . ومن ثقل الثلج ، انهدم جملة بيوت من العاقورا وغيرها . وانقطعت الطرق ، حتى آيسوا (يئسوا) الناس من حياتهم .

وفي ١٧٧٦ ، في ت١ (تشرين الاول) ، صارت سيلة من قرية بقرقاشا (لبنان الشمالي) لنهر بشري . وهدمت طواحين النهر ، والجوز والقلاعي . واخذت جملة جسورة في الساحل .

وفي ١٨٠١ (الف وثمانمائة وواحدة) ، في ٢٧ ادار ، صارت ضربة قوية من قرية صليا في المتن ، ووسط بلاد كسروان لنهر ابرهيم ،نزل برد بكثرة في الليل استقام مقدار ساعتين . وكانت ساعة مهولة . خشي على كثيرين ان الله سمح في انهدام العالم ، لكونه اعدم الزروع، ونثرت اوراق الاشجار الجوي والبري . واذاب العشب . وقتل جملة طيور برية كبار وصغار . واصبح البَرَد في بعض محلات ، مقدار ذراعين . وقيل من اناس صادقين ، ان في وقت

نزواله ، شاهدوا البرد قريب لبيض النعام . وهذه الضربة ما حكمت (اصابت) ، لا ساحل البحر ، ولا الجرد ، سوى الوسوط .

وفي سنة ١٨١٨ م ، صارت سيلة في مدينة حماه روحت منها مقدار سبعماية وخمسين بيت . ومات فيها ما ينوف على الفين نفس. وكان ذلك في ١٥ نيسان.

يذكر ابن الطيب الكفرصغابي في تاريخه ، انه ظهر كوكب في بر الشام فوق سوريا الصغيرة . ومنع الثلج عن الجبال الشامخة مايتين وعشرين سنة. وفي تلك الايام عمرت الناس عماير في الجبال العالية، التي تبان رممها الان في محلاتها. وتعجب الناس كيف يقدروا يسكنوها بالقديم ، من زود الثلج : ومع ان هذا كان صفتها (كذا) . واما الشتي بقي على حاله . ولم ينضر شي. من عدم وجود الثلج ، في هذه المدة . بل اخصبت الارض زود عن عادتها . لان ليس عند الله امر عسير .

[١٣٦] تواريخ الجراد

يذكر في تواريخ البطرك اسطفان الدويهي ، وغيره ، انه في سنة ١٣٠١م (الف وثلاثمائة وواحدة) ، جا. جراد الى دمشق لم يسمع مثله. وترك اكثر النوطة عصي (جردا.) . ويبست بها اشجار لا تحصى .

وفي سنة ١٤٠٠ م (الف واربعمائة) ، جا. جراد ايضاً الى ارض الشام ، وغطى السما والارض . وكان ظهوره في ٢٩ ادار . واكل جميع النبات . وصارت الارض عريانة مثل الكوانين . في ٢٢ ايار (منها) طلع الزحاف في السواحل ، ورعي الكروم والشجر ، وحرش الغاب .

وفي تاريخ الياس من معاد ، في سنة ١٤٥٦م ، ثار جراد من مصر الى بر الشام ، الى الفرات . ورعي كل شي. اخضر .

وفي سنة ١٥١٩م ، جا. جراد زحاف الى ارض الشام ، وما يليها . ورعي الفواكه والبذور .

وفي سنة ١٥٢٤ ، جا. زحاف الى الاماكن المذكورة .

وفي سنة ١٥٢٦م ، جا. جراد من جهة القبلي ، فغطى هذه البلدان ، ما عدا بلاد بعلبك والجون . ورعي البذور والفواكه . وعندما طلع في وادي

حيرونا الى جبة بشري ، امر البار قرياقوس مطران اهدن ، بان الكهنة تزيح عظام الشهدا . وكل يوم يخرج الشعب يمسك عليه معابير. فقتلوا منه شي. لا يحصى . ثم انه غلبهم ، فردوا الساقية (المـا.) على مكانه . وانصفت (اصطفّت) ازايه (ازاءه) الناس ، وهي تنوف عن مايتين وخمسين. فغرقت الذي غرق . والباقي اخذوه في السلال . وخلصت الجبة من اذيته .

وفي سنة ١٦٧٧ م ، من زود الصحو (القيظ) في الشتوية ، تحرّك الجراد في اول ادار . وعم الطاير (منه) جميع المقاطعات ، من الساحل الى الجرد ، الى دمشق . ولم يزل طاير ١٢ يوماً . فرعى كل شي. اخضر . ثم انه غرّز (حط) في السواحل . وفي نصف تموز طار . فـاتاه الـبـرمر (طائر) من البقاع واهلكه بالمرة (اسم جبـل حول الارز) . وتجمّع فوق الثلج ، حتى الوحوش وكّرت (اتخذت اوكارا) فيه ، من كثرتها .

[١٤٠] وفي ١٦٩٦ م ، صار جراد في بر الشام وما يليها . وذهب (تلف) شي لا يوصف .

و١٨٠٥ (الف وثمانمائة وخمس) جاء جراد الى بر طرابلس ، ورعى الزرع والفواكه . وصار منه ضيم عظيم .

. وسنة ١٨١٤ ، جاء ايضاً جراد الى المحلات المذكورين وارسل سعادة الامير بشير (شهاب الكبير) المفخم ، الحاكم يوميذ ، اناس من قبله ، وجمعوا اهل المقاطعات . وشرعوا يقتلوا ويحرقوا به ، ويلاشوه. وما صار منه ضرر. وجاء ايضاً في سنة ١٨١٥ ، وحصل له مداركة مثل الاول .

وفي سنة ١٨١٦ ، و١٨١٧ ، رجع (الجراد) ايضاً. وبعناية سعادة المشار اليه (الامير بشير) ، ما حصل منه ضرر . ولو ما (ولولا) عناية سعادته ، كان خرب هذه الاماكن (البلاد) وعدمها بالكلية .

ويذكر ايضاً في تواريخ تمرلنك ، انه حضر جراد لاراضي الشام ، كما مشروح عن افعاله في التاريخ المذكور . فلا حاجة الى شرحه هنا[1]

---

١) وفي عهدنا نحن نكب الجراد لبنان وسورية ، سنة ١٩١٥ ، ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) . فظهرت جيوشه في سورية اولاً ، في اوائل نيسان منها . وفي ١٢ منه هاجم لبنان طياراً . فغطت ارجاله الارض ، وحجبت وجه السماء . وقابله الناس

تواريخ مفرقة ، وحوادث اشفية

يذكر في تاريخ ١١٦٤م ، انها ولدت امرأة في بغداد اربع بنات ، في بطن واحد .

وفي سنة ١٢٦١ م ، الملك الظاهر تسلم البرية والكرك . وقدموا بين يديه مولود من العجايب . وهو مائت . له راسين ، واربعة اعين ، واربعة ايادي ، واربعة ارجل . وبعد ان رآه ، امر بدفنه .

وفي سنة ١٣٠٠ م (الف وثلاثمائة) ، صار حتم (امر جازم) في ديوان مصر (دار الحكم) ، أن النصارى واليهود لا يُستخدمون في الجهات السلطانية ، ولا عند الامراء . وان يغيروا عمايهم . ويلبسوا النصارى عمايم زرق ، واليهود عمايم صفر ، والسَّمَرة عمايم حمر . وانطلق هـذا الامر على المذكورين ، في الاقطار المصرية والشامية والحلبية .

ويذكر صاحب التاريخ (الدويهي) ، انه في سنة ١٥٣٠م (الف وخمسمائة

بالضجيج والفرقعة ، نقرعوا الاجراس والتنك ، واطلقوا البارود ، تخويفاً له ، واضرموا النيران ، واثاروا الدخان لطرده وتقليصه ، مما خلق جوًا مرعباً للغاية ، ساد فيه الاعتقاد ان القيامة قامت . واصدر البطريرك الياس الحويك العظيم (١٨٩٩ – ١٩٣١) اوامره باقامة الصلوات والتداديس ، لازالة هذه الآفة الضارية . ثم صدرت اوامر الحكومة العثمانية بمكافحته ، وكان الاهلون قد سبقوا وعملوا جهدهم في ذلك . وقد غرَّز ذلك الجراد في الارض ، يتلف كل اخضر . فبذَّر وباض ثم تلف . – وفي ٢٦ ايار من تلك السنة (١٩١٥) ، اي بعد اربعين يوماً من هجوم الطيار ، تفقت بيوضه ، فظهر زحافاً لجباً يغطي وجه الارض ، ويجهز على ما ترك ابوه الطيار من حياة واخضرار . فجرّد الارض من خضارها ، والاشجار من ورقها وقشورها – ولا سيا التين . وحوَّل الربيع الزاهي خريفاً قاحلاً يابساً ، ابان الارض عارية جرداء من اية علامة حياة . وأذهب جهدَ الناس النصي في مكافحته ، ادراج الرياح . وفي اوائل تموز منها ، بدأ يطير ويتقلَّص حتى ٢٣ منه ، هارباً من طير السمرمر – آفة الجراد – وقد فتك به الى النهاية . فخلَّف وراءه الجدب والقحط ، والغلاء الفاحش ، والحميات الفتاكة ، والموت الزؤام جوعاً بمئات الالوف . وقد شاهدنا نحن كل ذلك ، وساهمنا كثيراً بمكافحة ذلك الجراد ، ودفن الاموات بالمئات ، في جوار دير كفيفان (البترون) ، حيث كنا نقضي عهد « التجربة الرهبانية » (الابتداء)(١٩١٤-١٩١٦) . وقد وصف تاريخ تلك الحرب العظيمة وويلاتها في لبنان ، واضرار جرادها ذاك ، بالتفصيل الوافي ، حضرة صديقنا المؤرخ العلامة ، الخوري اسطفان البشعلاني ، في سفر خاص نفيس ، هو تحفة في احداث جيلنا . وفقه الله وامد بعمره ليشاء بالطبع ، مع سائر اسفاره النيسة المديدة ، تعميماً للنفع ، انه تعالى الكريم القدير .

وثلاثين) ، يذكر ابن سباط انه قدم الى دمشق رجل في وجهه فم وانف ، وله عين واحدة [١٤١] ، وذقن عليها شعر . ونازل على وجهه لحم مثل شختورة (الية) الغنم ، من اعلى راسه الى صدره . واذا راد ان ياكل ، ام ينظر ، يرفع اللحم النازل ، بيده .

وقدم ايضاً رجل من ناحية شمال ، في يده ثمانية اصابع كاملة . منها اربعة في مكان الباهم (الابهام) .

يخبر المؤرخون ، انه كان رجل في مرض البرص الذي لا شفا له . فمر على اناس يحصدون ، ويعرفون علته . فاعطوه خمرًا كانت وقعت فيه افعى ، ليشربه ، ويموت . فلما شربه ، تنقى من برصه ، وشفي بالكلية .

يذكر مؤرخ آخر ، انه يعرف صبي اعرج لا يقدر يمشي . فاتفق انه في زمن الطاعون ، انطعن (اصيب به) ، وشفي .

وجاء ايضاً عن رجل اعمى ، ضرب في راسه ضربة قوية ، فصار يبصر جيداً

ويذكر ايضاً ان امرأة فاقدة العقل ، حين ضربت في راسها صح عقلها .

ويذكر ايضاً ، انه كان رجل في صدره دملة مهلكة ، عجزت الاطباء عن شفائها . فاتفق ان عدوًا ضربه ضربة عظيمة على الدملة . فصارت تلك الضربة علة شفائه .

يقول الناشر : ويكمل المؤلف هذه الصفحة (١٤١) بسرد بعض خواص وفؤاد لحجر « الكركهان » (كذا) استقاها من كتاب « ميزان الزمان » الآنف الذكر ، وهي نوع من الخرافات لا يقبلها العقل . فاضربنا عنها ، الى ان يقول :

قال بعض العلماء : ان حرير الابريسم[١] هو من تفل الدود . والزباد (كذا) من عرق النصير (كذا) . والعنبر من فضلات تخرج على جلد حوت بحري . والمسك دم حيوان مفسد .

[١٤٢] ويذكر ايضاً في ميزان الزمان ، ان ساغرر ابن اغر هو الذي صنع سكة العملة (النقد) من فضة وذهب . وسياريس ملك الكلدانيين ، ابدع المكيال والميزان ، ونسج الحرير ، في العالم .

١) الابريسم هو الحرير قبل ان يخرقه الدود (معرّب دخيل على العربية) .

الاحرف الزائدة في الالف العربي

وما يساوي كل منها من الارقام

ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

(بالاحمر) عام مختصر تواريخ اموات وحوادث

قصدنا بتحريرهم لاجل ان يسهل مطالعتهم . البعض من هذا التاريخ ، والبعض من غيره

عدة سنين مسيحية

٧٤٩ عمارة كنيسة مار مارون اهدن .

١٢٨٧ اخذ طرابلس ، وتسلمها للاسلام .

١٤٥٣ اخذ القسطنطينية من ملوك الروم للاسلام .

١٦١٨ نهبة طرابلس ، من الامير فخر الدين ابن معن .

١٦٦٠ حصار الامير فخر الدين ، من احمد باشا الحافظ .

١٦٧٨ وفاة الامير فارس في بلاد بعلبك .

١٧٠٤ انتقال (وفاة) البطرك اسطفان الدويهي . وقتل مخلوس(١ في سير .

١٧٠٨ هوشة (موقعة) عين دارا بين القيسية واليمنية(٢ .

١٧١١ نأمُر بيت ابلَّمع . ونهبة غزير .

١٧١٤ قتل (مقتل) ابو محمد عيسى (حمادي) في دير حماطورة ، في ٢٢ ادار .

١٧٤٠ (الف وسبعمائة واربعين) قتلة (مصرع) كنعان الضاهر ، في ٢ شباط (٣ .

١٧٤١ هوشة نصار . وقتلة الشيخ ضاهر الملحم (حمادي) من عمه الشيخ حسين العيسى .

١٧٥٤ حريق كفرفو . وهوشة عقبة (عين) السنديانة (فوق طورزا في شمالي لبنان) في ٥ ايلول .

١٧٥٨ الطاعون . — سنة ١٧٥٧ غلا الرها - ١٧٥٩ الهزة ، وخروج بيت حماده من جبة بشري .

---

١) هو الشيخ مخايل مخلوس الكرمي الاهدني ، ابن اخت ابي كرم ، وحاكم جبة بشري (١٦٩٢-١٧٠١) . وفي السنة اعلاه ، اوفده الى الضنية وزير طرابلس علي باشا اللقيس ، ليجبي المال . فنزل في برج سير . وذات ليلة كمن له هناك ابن الشعراني المتوالي ، واغتاله ليلاً . وكان صديقاً حميماً للوزير المذكور . (راجع صفحة ٩٣ الاصلية من هذا المخطوط) .

٢) خطأ . والصواب هو سنة ١٧١١

٣) هو الشهيد الفارس البطل المغوار الشهير في عصره وبعده . قتله عبد الرحمن باشا والي طرابلس سنة ١٧٤١ ، على ما يحقق العلامة الدبس مطران بيروت الشهير (١٨٧٢-١٩٠٧) في كتابه « الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل » ص ٤١٧ . فمات شهيد الايمان .

عدة سنين مسيحية

١٧٦١ هوشة بشري الاولى (مع المتاولة) ، ٢١ نوار . — هوشة الثانية التي انكسر بها المتاولة ، ١٦ تموز .

١٧٦٢ خطرة (حملة) عسكر جبة المنيطرة التي قتل بها بشاره كرم (الاهدني) .

١٧٦٣ حكم الامير يوسف الشهابي في بلاد جبيل والبترون والجبة .

١٧٦٤ قتل (مقتل) يوسف الشمّر .

١٧٦٦ ديوس (مساحة) جبة بشري الاول، من الامير يوسف الشهابي، في التشارين .

١٧٧٠ خطرة عسكر بعلبك . وجورة حمص ، مع الامير حيدر الشهابي (الف وسبعمائة وسبعين) .

١٧٧٢ حصار بيروت من المسكب (لطرد احمد الجزار منها) . وحضور حسن باشا .

١٧٧٣ قتلة ضاهر العمر (الزيداني حاكم نابلوس) . وهوشة اهدن مع اهل الضنية في ١٦ آب .

١٧٧٤ خطرة بعلبك الثانية ، مع الامير حيدر .

[١٦٣] ١٧٧٥ حصار جبيل في ١٩ ت١ (تشرين الاول) .

١٧٧٩ ثلجة القوية وصلت الى البحر — دراع .

١٧٨٣ توفي الامير سيبيل (الشهابي) حاصيا .

١٧٨٦ توفي الشيخ سعد الخوري في جبيل . ودفن بها في ١١ اذار .

١٧٨٧ خطرة (حملة عسكرية) وادي خالد (بين لبنان وبلاد الملوية) من جناب الامير حسن (شهاب شقيق الامير بشير) قاسم في ١٥ ت١ (تشرين الاول) .

١٧٨٩ طلوع محمد الاسعد لاهدن . ونهبة قزحيا ، وعينطورين . في ٤ ك١ (كانون الاول) .

١٧٩٥ خطرة عسكر على عكار من موسى باشا . في ٥ ايلول .

١٧٩٣ خطرة عسكر الهرمل ، مع الامير حسين (شهاب) حاصيا في ١٠ آب (عشرة آب) . وخطرة جبة المنيطرة .

١٧٩٨ تولي محمد علي على مصر . — ١٧٩٩ فتح الحجاز . — ١٨٠٩ تمشي الحج بعد بطلانه سبع سنين .

١٨٠٢ (الف وثمانمائة واثنين) حصار عبدالله باشا (العظم) لطرابلس .

١٨٠٤ خطرة عسكر من اولاد الامير يوسف (شهاب) على الضنية والمنية في ٤ ك١ (كانون الاول) .

١٨٠٦ (الف وثمانمائة وست) خطرة عسكر مصطفى بربر (حاكم طرابلس) على صافيتا .

١٨٠٨ (الف وثمانمائة وثمان) حصار يوسف باشا (العظم) لطرابلس ونهبها .

١٨١٠ طلوع يوسف (العظم) من الشام . ورجوع مصطفى اغا بربر لطرابلس (سنة الف وثمانمائة وعشر) .

١٨١١ ديوس (مساحة) جبة بشري الثاني .

علم توفي (وفيات) مطارين وكهنة ومشايخ
من جبة بشري والزاوية

عدة سنين مسيحية

١٧٨١ توفي المطران يوياكيم يمين .

١٧٩٥ توفي ولده المطران جرجس ، في ٥ نيسان .

١٨١٢ (توفي) الخوري يوياكيم يمين (ابن المطران يوياكيم) في ١٧ ايلول .

١٧٦٦ توفي جرجس بولس (الدويهي شيخ اهدن) في ٣ ك٢ (كانون الثاني) .

١٧٨٨ توفي ولده يوسف (الشهير) في (حرج) المبحال (في صرود جبيل) في ١٢ ت٢ (تشرين الثاني) .

١٧٨١ توفي الشيخ ضاهر (؟) في ١٩ اذار (من المشايخ آل الضاهر في الزاوية).

١٧٩٦ توفي ولده لطوف في ٨ ك٢ . — وسركيس في ٣ نيسان ١٨٠٩ . — وبركات في ٣ ك٢ ١٨١٣

١٧٨٥ توفي ابو يوسف الياس (شيخ كفرصغاب) في ١٢ ك١ . — ابنه حنا في ٢٢ حزيران ١٨١٢ — ابنه اسطفان في ١١ تموز ١٨١٣

١٧٨٥ توفي حنا ضاهر كيروز (شيخ بشري) في ٥ كانون الاول .

١٧٨٦ توفي ابو سليمان عواد (شيخ حصرون) في اول شباط . — ولده ابو كنعان في ١٨ آب ١٨٠٥ (ألف وثمانمئة وخمس) .

١٧٩١ توفي عيسى الخوري (شيخ بشري) في حوارة (قرية بالضنية) ودفن في قرية مزيارة في ٢ نوار .

١٧٩٩ توفي ابو خطار الشدياق (شيخ عينطورين) في اول شباط نهار الجمعة ، في المرفع (وهو والد المؤلف) .

١٨٠٨ توفي موسى الخوري في ٧ ت١ (تشرين الاول) .

١٨١٧ توفي الخواجا يوسف كرم (جد بطل لبنان لابيه) في زغرتا في ١٧ تموز .

يقول الناشر : الى هنا ينتهي الجدول الذي هو من وضع المؤلف . وبعد وفاته — على ما قدمنا قبلًا في ترجمة حياته — جاء من واصل الجدول، فدوّن الوفيات التالية ، مبتدئًا بوفاة المؤلف نفسه ، كما يلي :

١٨٣٢ توفي الشيخ انطونيوس الشدياق في ١٣ ك١ (كانون الاول) نهار الاربعة ، في مدينة جبيل ، بانطوش الرهبان اللبنانيين من بعد ما طلع من الحبس .

١٨٣٣ توفي ولد ولده (حفيده) اي توما الشدياق ، في ٢٢ ك٢ (كانون الثاني)، نهار الثلاثا بعد جده باربعين يومًا .

عدة سنين مسيحية

١٨٢٢ توفي اخوه زعيتر الشدياق (اخو المؤلف) في ١٦ ت١ (تشرين الاول) بمار الاربعا .

١٨٢٧ توفي الشيخ اطانيوس حنا ضاهر ، في ٦ كانون الاول (والد راجي بك حنا ضاهر الشهير) .

١٨٤٤ توفي الشيخ انطونيوس اسطفان ابو الياس من قرية كفرصناب في ٩ ك٢ (كانون الثاني) .

[١٤٤] نقل بعض تواريخ يخصوا عين طورين (من وضع المؤلف) من جملة كتب مفرقة

١٧٠٦ (سنة الف وسبعمائة وست) ، لبس الاسكيم الرهباني الحاج عبد النور من عين طورين ، في مار اليشع بشري ، في ١٥ آب .

١٧١١ توفي ولده ابو يوسف جرجس عبد النور .

١٧٣٧ توفي الخوري مخايل عبدالله التلميذ (اي انه كان دارساً مثقفاً) .

١٧٤٩ توفي الخوري اطانيوس جبير ، في ٤ تشرين الثاني .

١٧٥٠ (الف وسبعمائة وخمسين) رسامة الخوري موسى ابن ابو حنا جبير .

١٧٥١ رسامة الخوري جرجس عبدالله .

١٧٥٢ رسامة الخوري انطون جبير ، في ١٤ ايلول .

١٧٥٧ ولد اطانيوس ابن الشيخ بو خطار ، في ١٢ حزيران (هو المؤلف) (١

١٧٦٥ رسامة القس جبرايل عبدالله في ٢ ك١ (كانون الاول) .

١٧٧١ توفي الشدياق توما عبد النور في ١٣ ت١ (تشرين الاول) .

١٧٨٥ توفي القس جبرايل عبدالله ، في ١٥ حزيران . وفي تلك السنة صار الطاعون في عين طورين .

١٧٨٧ رسامة القس عبد الاحد جبير ، في ١١ ادار .

١٧٩٢ توفي الخوري انطون جبير ، في ٤ ت١ (تشرين الاول) .

١٨٠٤ توفي جبور حنا جبير في هوشة الضبية ، في الجرد في ٣ ك١ (كانون الاول) .

١٨٠٦ توفي اندراوس الشدياق توما عبد النور ، في ٥ شباط .

١٨٠٩ توفي رفول الشدياق توما عبد النور ، في ١٠ (عشرة) شباط .

١٨١١ رسامة الخوري جبرايل عبدالله ، والخوري انطون جبير ، في ١٠ (عشرة) اذار .

---

١) حبذا لو لم يفتنا الاطلاع على هذا التاريخ لمولد المؤلف !!! . . . اذن لكنا اثبتناه في موطنه من ترجمته التي وضعناها في مطلع هذا الكتاب . فرجاؤنا الى القراء الكرام عذراً على هذا القصور والاغفال غير المقصود ، والانسان شيمته الضعف والنقص . وجل من هو كامل ومعصوم . . .

عدة سنين مسيحية

١٨١٩ توفي فرحات عبد النور .

١٨٢٠ (الف وثمانمائة وعشرين) توفي بنتنا الخوري حنا عبدالله عين طورين ، في ١٧ آب .

١٨٢٠ توفي بركات عبد النور ، في ٤ كا (كانون الاول) . وتكليل الشمّاس الشدياق توما وولد الشيخ انطونيوس (المؤلف) في ١٠ كا (كانون الاول) . وقد ولد الولد المبارك ابنه يوسف في نيسان .

الى هنا من وضع المؤلف . ومن بعد وفاته بخط آخر ، ما يلي :

١٨٢٥ توفي لطوف عبد النور ، في ٢١ ايلول .

١٨٣١ توفي المرحوم انطانيوس رفول الشدياق ، في ٢٣ نيسان . ولطوف ابن مخايل رفول الشدياق ، في ٤ ت ا (تشرين الاول) .

١٨٣٤ توفي لحود رفول الشدياق ، في اذار .

١٨٣٥ توفي يوسف ابن الياس ، ابن ابو يوسف الياس ، في ٨ حزيران .

١٨٥٧ توفي المرحوم الشمّاس الشدياق ، في ١٠ ايلول ، صباح الخميس مسلحاً بكامل الاسرار المقدسة . وكان عمره وقتئذٍ ٥٩ سنة(١ .

[١٤٥] يقول الناشر : هنا في هذه الصفحة يبدأ المؤلف باثبات رؤيا القس اسطفان ورد ، المذكورة في فهرست هذا الكتاب صفحة ١٩ منه ، كما رأى القارئ اللبيب . وتنتهي هذه الرؤيا في صفحة ١٨٥ من هذا المخطوط . واذ نحن عازمون على نشر هذه الرؤيا النفيسة ، قريباً جداً ، في هذه المجلة الغراء ، انشاء الله تعالى ، متبعينها بما لواضعها العلامة من آثار اخرى خطيرة ، ومقدمين على ذلك بترجمة حياته الجليلة ، اضربنا عن اثباتها هنا ، مجتزئين بذكرها فقط . والله من وراء كل عمل مجاز ومثيب .

ويلي ما تقدم ، في هذه الصفحة ايضاً ، « نبوة القديس برزدوس » (١٠٩١ —١١٥٣) . وانها « وجدت مكتوبة بعد موته » . وهي سبع نبوات من سنة ١٧٥٥ م ، الى الف وتسعمائة . ولما لم يتحقق منها شيء ، اضربنا عن اثباتها ايضاً . ثم يليها نبوة البابا اينوشنس الحادي عشر (١٦٧٦—١٦٨٩) . ولانها

١) لا ينسَ القارئ اللبيب ، ان الشمّاس الشدياق هذا هو الشماس المعهود ، احد نساخ هذا المخطوط الثلاثة ، وقد دون اسمه مبهم في الصفحة الاخيرة منه ، كما رأى القارئ ذلك في الرسم الثاني في مقدمة هذا الكتاب .

معقبة بتفسير لمعمياتها على قسط من الطرافة ، نثبتها في ما يلي :

تكلة الصفحة [١٨٥] نبوة البابا اينوشنسيوس الحادي عشر

في السنة التي فيها مار مرقس يعطي عيد الفصح ، ومار انطونيوس (البادواني) يعطي عيد العنصرة ، ومار يوحنا يسجد للرب ، فالدنيا كلها تصرخ الى الله تعالى . وزهرة الزنبق تتحرك ضد السبع . ويجي السبع ويلك ، اي يحوط بها من كل ناحية . وفي تلك السنة عينها ، ابن البشر الذي علامة السبع والوحش في ذراعه ، يحرك الدنيا كلها بقوته ، [٦ ١] ويعمل الحرب الخصوصي . واناس كثيرين يفوتون المياه ، ويدخلون ارض السبع الذي يطلب معونته . لان الوحش طايفته تملك جاده باسنانها .

في تلك السنة يأتي من ناحية الشرق، ويرفع جناحيه فوق الشمس ، ويأتي بعسكر عظيم الى معونة ابن الانسان. ويكون في الدنيا خوف عظيم وحروب كثيرة ، في الربع السابع بين الملوك ، حتى ان الناس لم تنظر مثلها كليًّا . والزنبق في ذلك يضيع اكليله. والاكليل يأخذه النسر. ويتكلل ابن الانسان.

ومدة اربع سنين تكون حروب كثيرة ، وضرب عظيم في كل العالم . واعظم ناحية الدنيا تتلف . وراس الدنيا يصير تلفان . وبعد هذا ابن السبع يفوت البحر ، ويجيب علامة عظيمة . وابن البشر والنسر يغلبون . وتصير سلامة في الدنيا كلها . وتخصب كل الارض .

تفسير هذه النبوءة والغازها

ان حكم (وقع) عيد مار مرقس ثاني عيد الفصح ، وعيد مار انطونيوس (البادوي) ثاني عيد العنصرة ، وعيد مار يوحنا (المعمدان) قبل عيد الجسد (خميس القربان) ، بيوم ، الدنيا كلها تصرخ . .

ان زهرة الزنبق هي فرنسة .

وابن السبع هو البندقية .

وابن البشر ، وابن الانسان ، هو المسكوب (روسية) .

والنسر هو ملك النمسة .

والوحش هو طائفة ، اي الصغار (كذا) ، ويتصلون في المسكوب .

والربع السابع ، هو بلاد الافرنج .

واعظم ناحية الدنيا هي بلاد فلسطين – بر الشام – (لانها بلاد المسيح واثاره ومزاراته المقدسة) .

وراس الدنيا هو القسطنطينية .

وبعد هذا ابن السبع (البندقية) يفوت البحر ، ويجيب علامة عظيمة ، اي الصليب .

يقول الناشر : وتحوي هذه الصفحة (١٨٦) ايضاً ، الى صفحة ١٩٤ ، تفسير حلم او رؤيا المائة رجل في رومية العظمى ، الذين رأوا تسعة شموس ، هي رمز لتسعة اجيال . وقد سردت احدى السيبيلات (النبيات) الحكيمة ماجريات تلك الاجيال التسعة ، وما فيها من احوال سيئة او سعيدة ، مما هو معروف ، ويجيء . نشره هنا على غير جدوى . فاكتفينا بالاشارة اليه ، وحسبُ . وعلى ذكر السيبِلّات ، نخصص لهن الفصل التالي ، زيادة للتنوير والاطلاع .

فصل خاص في السيبيلات

لناشر هذا الكتاب

لعل خبر « السيبيلات » هؤلاء اصبح مجهولاً عند بعضهم . ولعل في اطلاق شعاعة منه هنا – وهو من نقاط التاريخ الخطيرة – خدمة مجدية ، وتفكهة لا بأس بلذتها ، مما هو رائدنا – بعد مجد الله تعالى – من خدمة العلم وكل عمل فنقول :

تشتق لفظة « سيبيلا » من كلمتين (Sibylle) معناهما مستشار الالهة . وفي اليونانية معناها النبية او الحكيمة . وكان السيبيلات نساء يقمن في الدياميس والمغاور ، او في الهياكل . ويأتين حِكَماً وآياتٍ بالاشارات او بالكلام ، او بالكتابة . ويثرن احياناً ، فيتألهن وينطقن بكلام لا نهاية له ، منتقلات من موضوع الى آخر ، ومازجات الحقائق بالباطل ، حتى انهن لا يفهمن ما يتنبأن به ... ولا يقلن الحِكَم والنبوات ، الا وهن في عُجب وكبرياء ، يكتنفهن بخار وروائح تنبعث من الارض ...

وجُمعت نبوات السيبيلات في كتب كانت على شهرة في العهد القديم ،

واهتم بحفظها امبراطرة رومية ، وبخاصةٍ اغوسطوس قيصر (٦٨ ق م – ١٤ بعد المسيح) ، فوضعوها في صناديق حجرية في اساسات الكابيتول ... ثم أمرَ القيصر بنسخها ووضعها في هيكل ابوللون ، حتى جعلهـا تحت شخص الاله نفسه ...

ويختلف المؤرخون في عدد السيبلات ، فيجعلونه من واحدة الى عشر ، واكثر . وفي تاريخ الكنيسة وغيره ، اثنتا عشرة سيبلا . وكن وثنيات متبتلات ، وفي ازمنة وعصور مختلفة . وللعلماء آراء جُلى في هؤلاء النبيات الوثنيات ، امثال ڤِلِر وغيره ... ومنهُن : ديبورا (Debora) امرأة لابيدوت ، وماري امرأة هارون ، واولدا امرأة سالم ، وهؤلاء كنَّ نبيات حقاً .

وتنبأ السيبيلات عن مجيء المسيح ، من قبلُ بقرون كثيرة . واشهرهن الكلدانيات ، ولاسيما امالتي (Amalthée) نبية إريتري (Erythrée)، وكانت في كوم . وتنبأت مدة سبعمائة سنة عن المسيح وعجائبه وآلامه وموته وقيامته ، ومجيئه الثاني للدينونة العامة ، في آخر الزمان ، وذلك بتأكيدات وتحديدات تُخال انها مأخوذة عن الانجيل المقدس عينه ... ونبوءاتها منظومة اشعارًا يونانية ولاتينية . وتحوي اشعار امالتي نبوءاتٍ عديدة عن الدينونة الاخيرة ، وقيامة الاموات ، وعقاب الاشرار ، وثواب الابرار ، والمطهر ، وابادة العالم بالنار . وقال ڤِلِر في معرض كلامه عنها : ان معظم نبوات السيبلات ينبغي ألّا يهدم الصادق من نبوات سائر السيبيلات .

والسيبلات نبيات ، حتى في نظر جمهرة من الآباء القديسين ، يعتبرونهن نبيات اقامهن الله تعالى ليهيئ الالباب لقبول دعوة المسيح الموعود به . واقر هؤلاء الآباء – وهم الذين هدوا الوثنيين الى الحق، في اجيال الكنيسة الاولى ، ان كتب السيبلات تحوي حقائق موحاةً لا يوحيها غير الله تعالى ...

وروى فيرجيل، وغيره عن علماء الوثنية، فِقرًا تنطبق كلها على السيد المسيح ولا يمكن صرفها عنه الى غيره . واهتم لها ايضاً زملاؤه : شيشرون وتاسيت وسواتون ، وغيرهم ...

وفي كتاب « مدينة الله » للقديس اغوسطينوس ، نبوءة واحدة منهن ، مؤداها « يسوع المسيح ابن الله المخلص ». وقال قسطنطين الكبير ، الامبراطور

القديس ، لآباء مجمع نيقية المسكوني الاول (الملتئم سنة ٣٢٥ م) — وقد اذكرهم هذه النبوءة — : ان كثيرين لا يؤمنون بهذه النبوات ... وكفى باستشهاد الكنيسة تأييدًا لها ، اذ تقول في احدى اناشيدها على الموتى : « في ذلك اليوم ، السخط يفني العالم بالنار ، كما قال داود والسيبيلا ».

وقد كتب العلامة المنسنيور ميسلن[1] فصلًا ضافيًا عن السيبيلات ، في المجلد الاول من كتابه الشهير الاراضي المقدسة (Les Saints Lieux) ، صفحة ١٨٦— ١٩٤ ، طبعة باريس سنة ١٨٥٨ . وعنه قد انتطفنا ما تقدم ...

واهم من كتب عن «السيبيلات» ايضًا العلامة المطران جرمانوس فرحات ، سليل رهبانيتنا اللبنانية ، في ديوانه الشهير حيث يعددهن ويذكر اسماء بعضهن وبعض بلدانهن . ووصف نبوءة كل منهن في ابيات خاصة ، هي غاية في الروعة والعبقرية الشعرية . وترى القراء لا يعفوننا من ايراد تلك الابيات النبوية ، الاولى من نوعها في الادب العربي ، قال فرحات ، وهو اذ ذاك راهب في دير مار اليشع النبي في وادي ناديشا ، في سنة ١٧١٢ م :

قالت النبية الاولى ، وكانت فارسية :

يأتي اخيرًا باجلالٍ وتكرمةٍ ... ملكٌ عظيم له في الكون مقدارُ
بكر الخلائق والاعصار يولدُ من ... بكرٍ لها في سماء العز انوارُ
يأتي مدينته النراء وهو على الـ ... أتانِ لكن لهذا النصِ اسرار
ذو قوةٍ تقهر الاعداء سطوتُها ... وينقذ الضالَ والشيطانُ يحتار

وقالت الثانية ، وكانت من بلاد ليبيا :

الحيُّ قبلًا هو القدوس ثم هو الـ ... ملكُ العظيم فلا يدنوه إنكار
سيستقرُّ بكرٍ ما مقدسةٍ ... سلطانهٍ ولها الاملاك انصارُ
تمود حبلى به من غير ما رجلٍ ... فهو القديرُ بما يأتيهُ جبارُ

1) هو الرحالة الشهير ، محب لبنان والموارنة الحميم ، مرشد البيت المالك في فيانة عاصمة النمسة ، احد رؤساء بلاط البابا بيوس التاسع ، كاتب البراءات الرسولية ، ابناتي عذراء دي ديج في هنتارية ، رئيس كاتدرائية كروسودين ، رئيس شمامسة كروسنا ، الملفان في اللاهوت والفلسفة ، عضو مجامع علمية عديدة ، وجمعيات جغرافية ، وحامل وسام القبر المقدس و ... زار لبنان ايضًا في ما زار من قارات العالم ، في صيف سنة ١٨٤٨ . فكتب رحلته في ثلاثة مجلدات ضخمة . وقد خص لبنان والموارنة — ولاسيما بيت كرم في اهدن — بمجلد كامل منها اودعه البدائع والطرائف . مكننا الله من اخراج هذا السفر النفيس الى العربية ...

ذو قوةٍ تقهر الاكوان ظافرةً   حتى تَـدينَ له نـارٌ وانوارُ(١

قالت الثالثة ، وكانت من مدينة دلفوس :

ان الاله قـدير في تصرفـهِ   وضابطُ الكل لا يحويه مقدارُ
له جمـالٌ يفوق العالمـين بهِ   من حبهِ كل قلبٍ فيه سهارُ
تراه يرضع من بكرٍ مقـدسةٍ   مَلْكٌ له موكب الاملاك انصارُ

قالت الرابعة ، وكانت من ايطالية :

يضيء في الشرق نجم كله عجبٌ   يَهدي مجوساً فتدعوهم به الدارُ
معهم هدايـا ليأتوا ساجدين بها   ويشهدوا مَلِكَ الاحياء ان ساروا

قالت الخامسة ، واسمها سيمانا :

ذاك الذي يختفي في حضن جاريةٍ   مَلْكُ الدهور فـلا تَـصيه امصارُ
مولىً تبشرنا فيه السماء وقـد   تُبديـه انجمها تَلقـاهُ اقمـارُ

قالت السادسة ، واسمها كومانا :

مولىً سيختار بكراً ان تكون له   امًا تفوق النسـا حسنًا وتختارُ
بها وفيها يكون الكون منحصرًا   امٌ هي الكون في الدنيا هي الدارُ

قالت السابعة ، وهي من مدينة طرويا :

وسوف تأتيك بكرٌ ذا معظَّـمةٌ   عند الاله وفيها يكشف العارُ
تكون اهلاً لإبنٍ جاء مولِدُهُ   منها وآثـاره في الكون انوارُ

قالت الثامنة ، وكانت من بلاد فريجيا :

اراد ربُك ارسالَ ابنـه فأتى   من السما وله خبرٌ واخبـارُ
يحل في بطن بكرٍ وهي طاهرةٌ   وثديها بحليب البرِّ مِـدرارُ
هذا هو السر جبريل البشيرُ به   مبشِّر امـه والسرُّ اسرارُ
بكر مقدسـة بـالإبن مُنفَسَةٌ   طهرٌ تنزّي نفوساً شانَها العارُ
عار الخطيئةِ من جدٍ ومن عملٍ   والجارُ بالطخه من إثمِ الجـارُ

قالت التاسعة ، وكانت من اوربة :

الكلمة السرمدي يأتي لذاك الى ال   دنيا ونُبصِرُه في الخَلقِ ابصارُ
يحوز مستودَع البكر التي طَهُرتْ   نفساً وجسـماً وهو بالملك قهـارُ
يعلو الروابي مع الاكام سؤددُهُ   يبدو وديعـاً فقيرًا ما له دارُ

قالت العاشرة ، وكانت من مدينة طيبورتينا :

الله الله حقٌ صـادق ابـدًا   الهامه جاءني والوحي اشعارُ

---

١) يريد بالنار سكانها من شياطين وبشر ؛ وبالانوار اهلها من ملائكة وقديسين . –

حتى بذلك انبأنا على أمرٍ بكرٍ مقدسةٍ ما شانها عارُ
حبلى يكرٍ سيثري بناصرةٍ ميلاده بيتُ لحمٍ فهي آثارُ

قالت الحادية عشرة ، واسمها اغربينا :
ربٌّ عظيمٌ عزيزٌ في الانام يجي في حلةِ الجسمِ من بكرٍ وهو نارُ
بقوةِ الروح يأتي من طهارتها فانّهُ في دارها اللحميّ ديّارُ

قالت الثانية عشرة ، وكانت من بابل :
عذراءُ عبريةٌ قد زانها شرفٌ من والديها وصارت حيثما صاروا
تأتي اخيرًا بإبنٍ جلَّ قدرتُهُ لوفده رُفِعت رؤوسٌ وابصارُ
بعنفوانِ صبا ايامِ سيرتهِ يبود ذا الهمِ والسر ايسارُ(١)

ويعقب ما تقدم ، الفصل التالي :

[١٩٠] فصل من بعض اقوال الجفر(٢)

يعطي هذا الفصل صورة صريحة طريفة، عن تقاليد لبنان ، وسائر جواره، وطريقة شعوبنا—قديماً ،وحتى اليوم، في بعض المناطق. . .—في عاداتهم وخرافاتهم، واحاديثهم العائلية . . . ولان ذلك سائر تدماً ودراكاً في طريق النسيان فالاندثار ، نؤثر ايراده هنا ، كما اورده المؤلف صورة لعهده . فيكون طرفة تذكارية من الاجيال الغابرة للاجيال المقبلة ، وهو في ما يلي :

. . . وفي سنة الغراب (ولعلها الخراب) ، يظهر الخراب، ويكثر الضباب، ويرفع الحجاب ، ويمزق الكتاب . وهذه العلامات الشافية، والعبارات الوافية، هي على طيّ البساط ، ورفع السياط ، وتبديل الارض بالطول والعرض . وتحكم العجوز ، وينكسر الكوز ، وتنحل الرموز ، وتنفتح الكنوز .

١) اطلب ديوان المطران فرحات ، طبعة المعلم سعيد الشرتوني الشهير ، بالمطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٤ ، ص ٢١٦-٢١٩ ، مع الحواشي .

٢) اما الجفر فهو مجموعة نبوات وحكم، ورموز وعبر، متعارفة عند طوائف لبنان، مسيحية ومحمدية ، ولاسيا الدروز . وهؤلاء يدعون ان « الجفر » من كتبهم . . . وكانوا في الحربين العالميتين الكبريين الاخيرتين ، يقولون ان احداثها وماجرياتها منطوق بها في كتبهم احاديث ونبوءات . ومن عبارات ذلك عن مقدمات الحروب وعلاماتها: «. . . في تلك الايام تذهب الشِّنة من روس الرجال . ويقل الحيا من وجوه النسا . وتتباهى النصارى بالرتب والوظايف . . .» وما شاكل ذلك . . . (من معلومات المؤرخ العليم الجليل الخوري اسطفان البشعلاني ، صديق الدروز وعشيرهم في قريته صليا) .

ويظهر الغـلام الغريب بامره العجيب عن قريب ، في جيش عيساوي ، وسري موساوي ، وزيرة ياسين ، وكاتبه طين . وتنفتح الجزاير ، ويهتك الحراير (النساء المصونات) . ويقتل الظالما ، ويسبى الصلحا . وينصر الصليب من شقاق العلما ، وخلاف الامرا ، ونفاق الوكلا . سر صليب يظهر ، ملك يقهر ، قوي يقبر .

إفهَم الرموز ، يا داخل الكنوز . وترفل الرايات السود ، بالعساكر والجنود . وتخرب خراسان ، وترفع الصلبان ، وتُعبد الاوثان . غابت شمس الزمان ، وقمر الاوان .

افهم يا ياسين ، ضاق الوقت اضيق من بياض الميم . ارى الخيام كأنها خيامهم ، ولكن نسا الحي غير نسايهم . ثم ان القران يرتفع مرتين . المرة الاولى يرتفع وتبقى بركته على الارض . والمرة الثانية يرتفع خطه من الارض باذن الملك الخلاق . وسبحان من يرد الولاية الى اهلها . ويتزلون بني اصفر الى حلب ، في ثمانمائة صليب ، ثم الملحمة الكبرى بين النصارى والمسلمين . ويكون القتال [١٩٥] ثلاثة عشر مرة ، وفي البر تسعة عشر مرة .

وبين جماد ورجب ، ترى العجب . وفي شعبان يقع الافتتان . وفي شوال ، الاهوال . وفي محرم ، ترى الامر الميوَّم ، وتفنى دولة الاتراك جميعاً بشوال ، وتنصر الليالي . حرِّك الحارس ، يا فارس . ورقة النوس يا نواس . وقدم السيوف يا سياف . وسبب المهدي يا مهدي . اذا نزل القضا ، بطل الحذر . ونوح على عكا ، يا جندي البكا ...

ملك خليفة عدها يا قاري . قد اوضحنا البيـان ، واظهرنا الخفيات . ورمزت ولحظت ، وقدمت واخرت ، ولوَّحت وصرَّحت ، وقربت وبعدت ، لكيما لا تنكشف هذه الاسرار على الجاهلين ولا يدركوها الغافلين . بل الملوك والاكابر ، لما فيه من الاسرار والجواهر ... صليب قادر ، عزيز خالق ، محي موافق ، عند مالك مجيد ، سلطان موحد سليم . ذوي الاسرار عدة ما مضى ، معناه غرة المختار . الملك خليفة ، عدها يا قاري .

يظهر النبل عن قريب . ويكون في الشمال قبح حال . فيا اسفاه على حلب وحمص ، ماذا يلقيان من الخيَّال ... ويظهر في السما نجم عظيم له ذنب ،

وشعب طويل. فتلك الدلايل للافراج حقًا . ويستغيدوا في السواحل والجبال.

وعكا سوف تملوها جيوش كما تملو النيوم على الجبال
ونلطخ دورها في دم قوم اتوها هاربين من القتـال

ثم احذر من نزول الراس الحمل ، اياك تعبر مصر ، والشام عنها ارتحل . في ذلك الوقت يكون المريخ ، وفوقه تدخل الشمس في الجوزة . ويكون القوس والمريخ منزلة . هذا دليل الواضح السبيل . اذا رأيت هذا صار اولًا ، ارحل ، ولا تنغر بالامل . قد جربت اناساً قبلنا زماناً ، وتقتلوا عليهم بالقول والعمل. ويدخلوا الى حلب الاحد سحرًا، في زمرة [١٩٦] من بني خاقـان . محتفل العلم يخبرني والله يا ولدي ، اذ يأخذونها وتبقى مضرب المثل.ويدخلونها ويقتلون كل القاطنين بها . ولم يسلم منهم الّا ذو الاجل . ويسبوا حريمها من ساداتها ومن عاقرها .

مصر والشام اتركهن وارتحل . بعد هذا يا صاح اندبها وزد نحيب. منها يهدم جيش المسلمين ضحىً . وينكسر ناسهم من شدة الوجـل . وفي محرَّم تندب كل ناحية في ارض جلاق ، من انثى الى ذكـر . ومن شدة الخوف تسقط كل حامل . وترى الناس في شغل من شغل .

يا حمص ، يا حمص ، قـد ضاقت مسالكك رحب الفضا ، ووسع الربع والطلل . لا حولَ ولا قوة الا لخالقنا . تخرب القدس يوم السبت بالعجل ، الله اكبر ، اذ يلقونهم سحرًا بقتال الطفل والشاب والكهل ... ولا بد من زلال وكسوف ورجفات وخسوف . ويكون قيام السيف ، بالشتي والصيف. وتأتي بنوا الاصفر ، ومعهم الغـلام الاشقر ، على المرج الاخضر . يخرج من حلب في ثمانية رايات ، تحت كل راي اثني عشر الف صليب . وينزلون بلاد الروم قاطبة.

وفيها قد دخلوا الديار ، وتواترت الاخبـار ، اتت من الشرق العساكر ، ومن البحر الدساكر . وفي بلاد الروم يصيح البوم ، الويل لاهـل الارض ، بالطول والعرض . اما شاه البحر فيغلب ريس الغنم . واما النصراني فيقتـل العثماني . والمراكب البحرية تفتح البلاد المصرية . ثم تفتح الجزاير ، في ايام قلايل . لان الولد متلف والبيت مدلف ، والسري يخلف ، والعبد مصرف .

والزنا فاشي . والربا ماشي . والامام واشي . والقاضي راشي .

والحكام فجار . والوزرا تجار . والرعايا دياب . والرعية كلاب.[١٩٧] والوزرا جلاس قلاشي . العالم مجادل ، والعالم مخاتل . والضو كدر ، والصافي عكر . والملك لاهي . والوزير ساهي .

احذر يا محمد من الديك الصايح ، والكلب النابح . احذر من الاخ ، فانه فخ . والاقارب كالعقارب. في بعلبك الامان. وتحيط المخاوف في نواحي جبل لبنان . ويهدّون الحصون الشامية . وتحيط في بلادها الآفات . اذا نزل القضا اعمى البصر حلب ، دمشق ، انطاكية ، قونية ، قسطنطينية ، بغداد ، نابلوس ، صعيد عكا ، مصر ، دمياط ، طرسوس ، الدنيا لاش (لا شيء.)، من تركيا عاش . اعتبر بما سلف ، يا خلف . جميعنا نموت . سبحان ربأ لا يموت.

عدة التاريخ للملك خليفة . عدها يا قاري

٣٠، ٤٠، ٣٠، ٣٠، ٦٠، ٣٠، ٦٠، ٨٠، ٥٠، ٧٠، ٤٠، ٥٠، ١٠،

١٠، ٢٠، ١٠٠، ٢٠٠١، ١٠

انتهى الكتاب ، بمنة الملك الوهاب

الى هنا ينتهي هذا المخطوط الاصيل. بيد انه بعد زمان مديد ، من موت المؤلف الشهيد جاء من كتب بالعربية حادثتين هامتين، تتعلق اولاهما بضيوف البيت الكرمي في اهـدن ، وعلاقته بفرنسة ، والثانية بتاريخ صاحبه يوسف بك كرم ، زجل لبنان وبطله الاعظم . وذلك في الصفحة الاخيرة من هذا المخطوط ، تحت كتابة الختام « الكرشونية » المصورة في اول هذا الكتاب .

واكّد لنا حضرة صديقنا البحاثة المفضال ، الخوري اسطفان البشعلاني ، ان خط هذه الكتابة الجديدة، شبيه كل الشبه بخط الخوري مخايل الشدياق ، ابن المؤلف ، وخال يوسف بك كرم ، وقد اقام معه في نابولي زماناً. ولدى الخوري اسطفان امثلة كثيرة من خط الخوري مخايل ، يحفظها في خزانته بين اوراق كرم البطل ...

وهذا نص الكتابة بالحرف :

الحدث الاول : انه في تاريخ سنة ١٨٦٠ (الف وثمانمائة وستين) نهار

الاحد الواقع في ١٠ حزيران ، قبل المغرب بساعتين ، كان تشريف جلالة اولاد ملك فرنسة سابقاً، قرية اهدن، عند جناب البكوات مخايل واخيه يوسف (بك كرم البطل) اولاد المرحوم (الشيخ) بطرس كرم . وتعشوا عند مخايل بك المرقوم ، في بيته .

ونهار الاثنين ، في ١١ شهره (حزيران المذكور) ، الساعة واحدة بعد الاثني عشر ، ركبوا وتوجهوا للارز . وتوجه بخدامتهم مخايل بك المذكور ، وصحبته كم خيال وكم نفر زلام (مشاة) ، لحد الارز . ورجعوا من هناك .

وجلالتهم توجهوا من هناك على بشري ، على حصرون ، على طريق الماقورا، لحد ريفون وعينطورا . ومن هناك الى بيروت . ورجعوا الى وطنهم متوجهون في البحر .

وقولنا « سابقاً »، من كون (لان) قبل تاريخه بنحو ثلاث سنوات، ولحد تاريخه ايضاً ، مأخوذ منهم الملك، ومسلم بيد جلالة الامبراطور نابوليون (الثالث) الذي هو من اقارب بونابارتو. والان لم يزالوا المذكورون جاعلين سكناهم خارج حكم فرنسة . وفارغة يدهم من الحكم . صح .

الحدث الثاني : توجه رفعتلو يوسف بك كرم ، من بيروت للاستانة في ١٤ ك ١ (كانون الاول)، نهار السبت سنة ١٨٦١م. وكان رجوعه من الاستانة، ووصوله للاسكندريه في اقليم مصر ، في ٢٤ حزيران سنة ١٨٦٢ . وبقي في الاقليم المصري ما ينيف عن سنتين زمان .

وتوجه من اسكندرية لازمير ، في ١٨ تموز ، نهار الثلاثاء سنة ١٨٦٤ وبقي في ازمير نحو اربعة اشهر . ورجع من ازمير الى لبنان . وكان وصوله الى زغرتا في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٧٦٤ . صح .

ويظهر ان هذا المخطوط قد احتازه زماناً ما ، ملحم المقدسي من بلدة بزعون ، في جوار بشري ، وذلك من هذه الكتابة الاخرى التالية ، على هذه الصفحة عينها ، وهذا نصها : « هذا التاريخ برسم ملحم المقدسي بزعون. كل من يأخذه ، تكون خصمه(خصمه) سيدة بزعون، ومار يوسف ، وملاك الحارس ، وجميع القديسين . صح سنة ١٨٩٦ » .

— انتهى —

رسالة من الشيخ فؤاد حبيش

الى الاب اغناطيوس طنوس الخوري ناشر الكتاب

حضرة الصديق الاب اغناطيوس طنوس الخوري الجزيل الاحترام

وبعد، فاني اتابع باهتمام قراءة الفصول التي تنشرها في « المشرق » الاغر من مخطوطة الشماس انطونيوس ابي خطار المعروف بالعينطوريني :

حقاً انها فصول طيبة في مختصر تاريخ جبل لبنان . إلا انهـا تحمل في طياتها معلومات يعوزها التحقيق ، منها ما تنبهتَ اليه فعلقتَ عليه ، ومنها ما فاتتك ملاحظته فمررتَ به مرّ الكرام . . .

انك تعلم ، ولا شك ، ان تاريخ لبنان ، في عصوره المتعاقبة ، لم ينشر منه سوى النزر اليسير لافتقار المؤرخين الى اسانيد ووثائق ، منها ما عبثت به يدُ الاهمال ، ومنها ما برح مدفوناً في الخزائن . فـلا بدع ان رأيتك تهمل التعليق على عبارة « صاروا (الحبيشيون) من مجاويز بيت الخازن[1] . »

فاسمح لي ، اذاً ، ان اغتنمها فرصة لأصحح رواية تنوقلت عبر السنين حتى وصلت الينا وكأنها حقيقة ثابتة .

الواقع ان الاسرة الحبيشية من اقدم عيال الموارنة في لبنان . ولها ماض مجيد في الدفاع عنه ، والمحافظة عليه ، والنهوض به ديناً ودنيا . وقد أدهشك اذا قلتُ لك ان في جملة الدوافع التي حملتْ البطاركة الموارنة على اتخاذ قرية ينوح مقرّاً لهم طوال قرون ، حاجةُ هؤلاء البطاركة الملحة الى حماية فعّالة لم تتوافر لهم كاملةً الا في كنف الحبيشيين الذين كانوا يقطنون ينوح يومئذ ، وكانوا اصحاب كلمة مسموعة في لبنان ولدى جيرانهم المتاولة .

ومعلوم ان ينوح كانت مقر البطريركية المارونية في القرون : الثامن، والتاسع، والعاشر ، والحادي عشر الخ . . .

قد تسألني : ومن اين لك هذه المعلومات ؟

فاجيب : ان الآباتي برندوس القبيرة العزيري، الذي كان رئيساً عاماً على

1) المشرق ، ٤٦–١٩٥٢ ، الجزء ٤ ، تموز – آب .

الرهبانية الانطونية اللبنانية في وقت ما ، والمتوفى منذ سنوات ، قد وقف على قبر خالٍ لي ، ورثاه سنة ١٩٢٦ ، فذكر ، في ما ذكره عن الحبيشيين ، ما تقدم الكلام عليه .

واعترف لك ، يا صديقي ، اني لم اكن ، يومئذ ، أعنى بشؤون لبنان التاريخية ، فلم اسأل الاب برزدوس عن مصادره على اهمية إشارته تلك بالنسبة الي . ولكني اعلم ، كما يعلم سواي ، ان الاب الرئيس كان باحثاً محققاً ، وعالماً رصيناً ، لا يرمي الكلام على عواهنه ، وخصوصاً في حضرة مطارنة ملافنة وجمهور مثقف . ولعل المسؤولين في الرهبانية الانطونية يستطيعون ان يفيدونا عن مصير اوراق رئيسهم العام ومكتبته وكانت حافلة بالمخطوطات والكتب القديمة . فقد نعثر فيها على مسوّدة التأبين او ما يكشف عن مصادره .

فكيف يُعقل ان يصير الحبيشيون ، وهم حماة البطاركة في ينوح ، وسادة نافذون بين جيرانهم حكام المنطقة ، وليس للمارونية عصرتئذٍ حول او طول — اجل — كيف يعقل ان يصيروا من « مجاويز بيت الخازن » ، وجدُّ هؤلاء الاعلى هو الشدياق سركيس الذي تأخر ظهوره الى اواسط القرن السادس عشر ؟

اما انا فيرجح لدي ان العكس هو اقربُ الى المنطق والواقع التاريخي .

واذا اهملنا كلام الاباتي برزدوس الشهيرة ولم نشأ ان نأخذ به لتعذر الوقوف على المراجع التي استند اليها ، فما رأيك في وثيقة احفظُ عنها صورة فوتوغرافية هذا نصها :

« جناب حضرة ولدنا الشيخ طربيه بدر حبيش حفظكم الله .

« غب اهدا جنابكم البركة والسؤال عن غالي سلامتكم انشالله تكونوا جنابكم بكل صحة انتم ومن حوى داركم العامرة . وبعده ، نعرض لجنابكم انه من مدة حضر الى عندنا ولدنا الشيخ طانوس ابو النصر الخازن من قرية عجلتون واخبرنا بانه حضر الى عندكم في غزير وطلب ان يأخذ اختكم وجنابكم عارضتم بذلك . واخبرنا ولدنا الخوري مندر كي يعرض لجنابكم ما به كفاية . وحتى الآن ما تكرمتم في الجواب للخوري المذكور ، والشيخ طانوس راجعنا في خصوص ذلك . ونحن نعرف سطوتكم الشهيرة لدى العموم انو كان في القديم لم يحق الى بيت الخازن يتروجو من عايلتكم الحبيشية ، ولكن صاروا من امثالكم .

والشيخ طانوس هو من الاغنياء الكبار . فنرجو الجواب طبق المرغوب . وربنا يحفظ لنا وجودكم .

« تحريراً في ١٠ شباط ١٦٤٩

الامضاء والختم	الامضاء والختم
الداعي لجنابكم	الداعي لجنابكم
المطران حنا	الحقير المطران انطون محاسب »

فهل من شك ، بعد هذه الرسالة البليغة ، في ان الشماس انطونيوس ابي خطار ، الذي تنشر مخطوطته ، قد عكس الآية ؟

ثق ، يا صديقي ، اني لم اقصد ، من كل ما تقدم ، الى المفاخرة باجدادي ، فقد تعودتُ شخصياً ان اردد قول الشاعر : لا تقلْ اصلي وفصلي ... مع ان الاصل والفصل راسمال كبير في هذه الحياة الدنيا ، وانما قصدتُ الى اضافة وثيقة جديدة الى ملف تاريخ لبنان الذي ما برحتُ اساهم ، منذ سنوات ، في نشر وثائق تتعلق به .

ويغلب على ظني ان الشيخ طانوس الخازن لم يظفر بيد شقيقة الشيخ طربيه حبيش بالرغم من ثروته الكبيرة ووساطة اثنين من احبار الطائفة المارونية..

وتفضل ، يا صديقي ، بقبول اخلص تحياتي .

بيروت ، ٢٧ تموز ١٩٥٢

فؤاد حبيش

تاريخ الاسر المارونية[1]

تأليف الخوري اسطفان البشعلاني

٣ ـ مؤرخو الاسر المارونية

ولما فيما سبق ان قد شاع وذاع وجود مجموعات تاريخية مخطوطة في اصل الاسر المارونية لستة من المورخين . فيجدر بنا ان نذكر ما عرفناه بعد البحث والتنقيب عن كل واحد منهم لكي يقف القراء على حقيقة امرهم وصحة ما ينسب اليهم مما لا يزال مجهولاً . ثم نذكر بالايجاز لمحة من اخبار المشتغلين بتاريخ الاسر اللبنانية وما اتصل بنا من اعمالهم التاريخية،ولا سيما الذين حاولوا ان يؤلفوا قاموساً عاماً في تاريخ الاسر اللبنانية .

١ـ القس جرجس مارون الاهدني

ورد ذكر هذا الكاهن في كتاب نشره ابرهيم ابو سمرا غانم تحت اسم مستعار « خليل همام فايز » يتضمن ترجمة حياة والده ابي سمرا البطل اللبناني ، وذلك في الصفحة ٣١٥ من كتابه هذا عند ذكر نسب بيت غانم قال « ورد نسب هذه العائلة في كتاب خط مجموعة فيه انساب بعض العيال في لبنان ، يعزى الى القس جرجس مارون الاهدني اللبناني ، وضعه في القرن السابع عشر نقلاً عن مجموعات خطية ولسانية ومحلية . وقد عُرضت هذه النسبة على العلّامة بولس مسعد البطريرك الانطاكي الماروني سنة ١٨٧٥ فقال انها راجحة الاسناد، وكان رحمه الله حجة المحققين في تواريخ وانساب العائلات اللبنانية . ومما افاده القس جرجس المذكور في نسب عائلة غانم ان جدها الاكبر كان موسى غانم ابن المقدّم سعاده الحفدي ، وقد لُقب بغانم نظراً لفوزه وغنمه في موقعة جبيل التي جرت بين المقدّمين الموارنة والمقدمين المسلمين في اول القرن الرابع عشر سنة ١٣٠٣م وكان النصر فيها لمقدمي الموارنة كما رواه المطران تادرس الساقوري

---

(١) راجع المشرق ٤٥: ١:٤٠١) .

والمطران جبرايل القلاعي اللحفدي الذي قيل عنه انه كان ابن غوريه من بيت غانم في لحفد المولود سنة ١٤٤٩ والمتوفى سنة ١٥١٦ م » انتهى بحروفه .

فالقس جرجس مارون الذي تنسب اليه هذه المجموعة قد ذكره البطريرك اسطفان الدويهي في حوادث سنة ١٦١٤ وانه ارتقى فيها الى اسقفية قبرس. وقد اوفده الامير فخر الدين المعني الثاني غير مرة سفيرًا لدى الكرسي الرسولي وملوك اوربا بشأن احتلال جزيرة قبرس وحماية الشواطئ اللبنانية من الاسطول العثماني . ونشر صديقنا المورخ المحقق الخور اسقف بولس قرالي في كتابه «الامير فخر الدين المعني ودولة توسكانا» تقارير في غاية الاهمية قدمها المطران جرجس المذكور لملوك اوربا والبابا بهذا الخصوص . على ان المؤرخين قديمًا وحديثًا لم يذكروا لهذا الاسقف تاريخًا ، ولا نعلم ان احدًا نقل عنه شيئًا مما عزي اليه من تاريخ الامير. والذي نقله عنه ابرهيم ابو سمرا لا يستدل منه على محل وجود المرجع ليمكن مراجعته ومعرفة صحة ما ورد فيه .

هذا وان المخطوطة المذكورة الوارد فيها ذكر اسماء جدود الموارنة الابطال ووقائعهم وانساب اسرهم هي على جانب عظيم من الاهمية . فكيف اتصلت هذه الاخبار بعلم القس جرجس مارون دون غيره ، وقد حدثت قبل عصره بثلاثمائة سنة . وكيف فات ذكرها العلّامة الدويهي والسماعنة وغيرهم من علماء الموارنة الذين رايناهم يجوبون البلاد ويتجشمون الاسفار البعيدة في طلب المخطوطات ، ويبحثون عن الاثار والاخبار التي هي اقل اهمية مما ورد في المخطوطة المشار اليها . وكيف غابت عن علم المؤرخ النسابة البطريرك بولس مسعد الذي عرضت عليه هذه النسبة فافتى بصحتها . وانما راجعة الاسناد . ولم يأتِ على ذكرها في تآليفه ، وليس في مذكراته واثاره الباقية ما يشير الى المخطوطة وما فيها ، مع انه كان يعنى كل العناية بمثل هذه الامور . والذي نظنه ان هذا من الاخبار التي تروى عن لسان البطريرك بولس مسعد دون تحقيق ، ولذلك فلا يصح ان يكون دليلًا على وجود هذه المخطوطة .

ومن غريب ما يذكر في هذه المناسبة ان احدهم وضع كراسًا عن جامعة « اسرة ضو » التي يقول ان اسرته تنتمي اليها ، ومن جملة المراجع التي لجأ اليها لاثبات كون موسى غانم هو جد اسرة غانم احد فروع بيت ضو ، رواية

ابرهيم ابي سمرا التي ذكرناها . لكنه بدلاً من ان يذكرها كما هي ويذكر مرجعها فقد استبدل القس جرجس مارون الاهدني المعروف بشخص وهمي وغير وارد ولا معروف هو « القس مارون الشراوي » وزاد على الاصل كلمة غسّاني مفاخرًا « بانه يمت بنسبه الى موسى غانم الغسّاني المنشأ ..

واغرب من هذا ان واضع كتاب «اصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من اخبار السريان» الذي يزعم فيه ان اهم الاسر المارونية متحدرة من السريان اليعاقبة ، قد تبنى رواية صاحب الكراس المذكور دون تحقيق زاعمًا انه لما كان موسى غانم جد بيت ضو ولحود وغانم من بني غسّان ، والغساسنة كانوا قاطبةً يعاقبة ، فبنو ضو الموارنة وفروعهم اصلهم اذًا يعاقبة . فانظر كيف يتصرفون بالتاريخ كلٌّ على هواه فيزيدون وينقصون ويحرّفون الشواهد ، ولا يذكرون المراجع الموثوق بصحتها لاثبات اصل الأسر فتضيع الحقائق وتكثر الاوهام ، وما آفة الاخبار الّا رواتها (راجع كتاب « الموارنة في لبنـــان » للمرحوم الخورسقف يولس قرالي ص ١٢١).

٣ - القس يوسف اسكندر القرطباوي

نشر الاب غسطين سالم السخن القرطبـاوي الراهب اللبناني سنة ١٩٣٩ كتاباً يتضمن ديوان اشعاره ، والحقه بنبذة تاريخية في اصل اسر بلدته قرطبا نقلها على قوله سنة ١٩١٢ عن كتاب مخطوط يدعى « رفيق الواعظ » لواضعه القس يوسف اسكندر القرطباوي الاصل . ويقول ان هـــذا المخطوط من جملة المخطوطـات التي كانت في مكتبة دير مار اشعيا قرب برمانا وهي التي عني بجمعها وتنظيمها الاباتي عمنوئيل البعداتي رئيس الرهبانية الانطونية . فاحب القس غسطين ان ينشر نبذة وطنيه القس يوسف اسكندر في اخر ديوانـــه المطبوع ، لما فيها من الفوائد التاريخية عن كثير من اسر بلدته وغيرها . وهذه النبذة طويلة خلاصتها ان معظم اسر قرطبا والعاقورة المـارونية ومئات الاسر المتفرعة منها في القرى اللبنانية كلها عربية الاصل .

على ان القس غسطين لم ينشر النبذة المنقولة طبقاً لاصلها كما يفعل علمـاء التاريخ المدققون ، بل تصرَّف بها تصرفاً لا يقره عليه اهل التحقيق كما يظهر

للباحث البصير . والغريب ان انساب الاسر الواردة في هـذه النبذة قد اثبتها بصورة جـازمة اكيدة ليس في حلقات سلاسلها حلقة ناقصة او مشكوك في صحتها . فكأنه اخذ سلاسل انساب العرب من ايام جاهليتهم كما هي واردة في كتب الانساب العربية وسردها الى ايامنا هذه ناسباً كل اسرة من الاسر المارونية التي ذكرها الى القبيلة العربية التي اختارها ، وربما نسب عشر اسر مارونية او اكثر الى جد عربي واحد ، مع ما هنالك من مئات السنين التي تفصل زماننا عن زمان الجاهلية مما لا يبلغ اليـه تحقيق نسب العشائر والاسر الدرينة العريقة نفسها .

وقد عدّد القس غسطين كثيراً من المراجع الوارد فيها ذكر واضع النبذة، ومنها ما كتبه عنه المطران بطرس شبلي والخوري ابرهيم حرفوش وهما من كبار المحققين وايمة المورخين . ولكن لم نرَ احداً ذكر ان القس يوسف اسكندر وضع تاريخاً في اصل الاسر اللبنانية . هذا وان القس مبارك صقر الذي يقول القس غسطين انه هو الذي استنسخ النبذة عن اصلها قد كان من اصدقائنا ، وبين مخطوطاتنا وثائق دوّن فيها بخط يده مختلف الاخبار المروية عن اصل اسرته « بيت صقر » ودفعها الينا قبل وفاته لترى رأينا فيها وبقيت عندنا . فراجعنا هذه المعلومات ولم نجد فيها ذكراً للاب اسكندر ونبذته ، وليس فيها شيء ينطبق على ما ورد في النبذة المزعومـة عن اصل اسرة بيت صقر . وكيف الوصول الى معرفة حقيقة الامر والمخطوطة على قول القس غسطين ضاعت او غير موجودة ، والاباتي عمنوئيل البعبداتي والقس مبارك وغيرهما ممن كانوا يعرفون محتويات مكتبة دير مار اشعيا قبل تشتت مخطوطاتها في الحرب الكبرى الاولى قد توفوا ؟ وهـذا لعمري يكفي لمعرفة قيمة هذه النبذة التي استند صاحب كتاب « اصدق ما كان... » الى رواياته عن بعض الاسر المارونية ، بحجة ان ناشرها كما قال لنا «من علماء الموارنة مهما كان الامر» (انظر النبذة المطبوعة صفحة ١٠٢ — ١٥٦) .

اما القس يوسف اسكندر الذي تنسب اليه النبذة فقد ولد في قرطبا وأُرسل الى رومة العظمى سنة ١٦٧٠م وعمره وقتئذٍ ١٢ سنة مع يعقوب عواد (الذي صار فيما بعد بطريركاً) وعاد الى بلاده بعد ان اتم دروسه العالية سنة

١٦٨٣ ورقاه البطريرك الدويهي في ٢٩ حزيران ١٦٨٧ الى درجة الكهنوت على مذبح كنيسة سيدة قنوبين ، وجعله كاتباً لاسراره لما تحلى به من لين العريكة وانه كما وصفه مثال الطاعة . وفي ٢٠ ايار ١٦٩٣ اصيب بمرض الطاعون وتوفي بدير قنوبين الكرسي البطريركي. ومن اثاره الباقية بين المحفوظات في خزائن بكركي يستدل على مبلغ علمه وتضلعه من اللغات . لكن ليس هناك اثر البتة للنبذة التاريخية التي نشرها له القس غسطين في ديوانه ، ولا ذكر لمخطوطة او وثيقة بموضوع تاريخي كهذا (انظر مجلة المنارة السنة ٣ : ٥٨٤ و ٦ : ٨٠٨) .

٣ – البطريرك مخايل فاضل

ولد مخايل فاضل في بيروت حوالى ١٧١٠م على الاصح، وارسل الى رومة العظمى ، حيث تلقى العلوم والمعارف وعاد الى الشرق في ٢٤ حزيران ١٧٤٠، وفي ٢١ تموز من هذه السنة رسمه البطريرك يوسف ضرغام الخازن كاهناً وارسله الى عكا . فأنشأ في هذه المدينة كنيسة ومركزاً لائقاً لطائفته التي سعى بجمع شتاتها بعد التعب والجهد . وقد رقاه المطران جبرايل عواد (١٧٥٣م) الى رتبة برديوط ، ولكن السلطة اعادته الى بيروت حيث شرع بتجديد كنيستها المؤسسة على اسم القديس جرجس وذلك سنة ١٧٥٥ . ثم اقيم رئيساً على دير حراش سنة ١٧٥٩ فتولى تدبير رهبانه وراهباته بكل غيرة وحكمة مدة طويلة . وفي ١١ حزيران ١٧٦٢ رقاه البطريرك طوبيا الخازن الى المقام الاسقفي، وقد صادف كثيراً من المتاعب لما وقع من الخلاف بينه وبين الاساقفة بشأن الولاية على ابرشية بيروت مما لا محل لذكره . واخيراً انتخب بطريركاً على الموارنة في ١٠ ايلول ١٧٩٣ ولم يمض عليه زمن طويل حتى نزل به القضاء المحتوم في ١٧ ايار ١٧٩٥ ودفن في دير حراش بكسروان (انظر مجلة المنارة السنة ٧ : ٢٥٨) .

وكان البطريرك فاضل من اكابر العلماء، وتنسب اليه مجموعة تاريخية تعرف باسم « كمال الاشتمال في تاريخ الاماكن والعيال » وقد جرى على الالسنة ذكر هذه المخطوطة وتساءل اهل البحث عما اذا كان وجودها حقيقة او رواية وهمية.

قالوا ان هذا التاريخ كان في خزائن المحفوظات في بكركي وان قد كانت نسخة منه في دير مار اشعيا للرهبان الانطونيين . وذكر تلميذنا القديم الاستاذ اميل حبشي تاريخ فاضل في كتابه « جهاد لبنان » ص٣٤٨ قال انه اعتمد في روايته عن اصل اسرته « بيت الاشقر » على اوراق دير مار اشعيا وعلى تاريخ فاضل المذكور . وسألناه عن هذا التاريخ فاخبرنا ان والده انشأ نبذة عن اسرته نقلًا عن « كتاب الاشتمال » صفحة ١١٨ واراد الاستاذ حبشي التثبت من صحة الرواية فبحث عن الكتاب في دير حراش حيث كان مؤلفه ، وفي خزائن البطريركية حيث نقلت مخطوطات هذا الدير فلم يجد له اثرًا ، حتى قال لنا زميلنا الاستاذ عيسى المعلوف «ان هذا الكتاب : كالغول والعنقاء والخل الوفي» .

وفيما نحن نبحث وننقب للوقوف على حقيقة هذا الكتاب ، اذا بالقس غسطين يطلع علينا بنبذته التي ذكرنا امرها ، وفيها يحقق لنا بصورة لا تقبل الرد « ان كتاب الاشتمال الذي وضعه البطريرك مخايل فاضل هو نسخة طبق الاصل نقلها عن نبذة القس يوسف اسكندر ، وان هذا البطريرك المشهور انما هو نفسه الخوري مخايل القرطباوي خادم بيروت » على ان الذي ذكره الثقات « ان هذا الكاهن من قرطبا اصلًا ، وقد ارسل الى رومية ١٦٩١ مع بطرس مبارك الشهير . وبعد ان درس الفلسفة واللاهوت رجع الى بلاده سنة ١٧٠٤ وصار كاهنًا على رعية بيروت ، وحضر المجمع اللبناني ١٧٣٦ » وهذا كل ما عُرف عنه . اما البطريرك فاضل الذي ذكرنا ترجمته نقلًا عن اصدق المراجع الخطية والمطبوعة فهو اشهر من ان يعرّف ، ولدينا ايضًا سلاسل انساب اسر بيروت المارونية القديمة وبينها اسرة البطريرك فاضل ، نقلها في اواخر القرن الماضي عن الشيوخ العارفين الخوري يوحنا دياب العينبلي خادم بيروت بخط يده . ونقلنا ايضًا وثيقة مهمة عن محفوظات بكركي لم تنشر وهي لواضعها الخوري جرجس فاضل ابن شقيق البطريرك الذي كان كما قال كاتبًا لاسرار عمه وشاهد عيان لكل ما جرياته ، ولا سيما مدة وجوده بدير حراش الى حين وفاته ، مما يحقق ان الخوري مخايل فاضل البيروتي العاقوري الاصل غير الخوري مخايل القرطباوي خادم بيروت .

لكن القس غسطين لغاية في النفس خلط الاثنين معًا فغيّر وحرّف ووصل

بينها بسلسلة انسابه العربية المزعومة ، وخلق منها شخصاً عجيباً بلغ من العمر اكثر من ١١٥ سنة « على حسابه » وجعل يوسف اسكندر ومخايل فاضل ومخايل القرطباوي من بيت السخني اسرته التي انشأ لها فروعاً كثيرة منسقة الانساب ، وكلها « عربية تنتسب الى السخنة في بادية الشام وطن جدوده وبلدة نسيبه البدوي احمد عبد العزيز جاد الله الخ . . . من بني مقابل الذي شرَّف قرطبا سنة ١٩٣٦ للتعرف على انسبائه في لبنان بيت السخن الذين اصلح القس سالم نسبهم وصحح عمادهم باسم السخني » وعلى الجملة فانه فتح فتحاً مبيناً يقلب اوضاعنا ويغير وجه تاريخنا ويهدم كل ما بناه علماؤنا هو وصاحب كتاب « اصدق ما كان . . . » فكلاهما يتنازعان مارونيتنا : الاول بالاصل العربي والثاني بالاصل اليعقوبي ، كأن الموارنة بلا اصل !!!

٤ – البطريرك بولس مسعد

كان النسَّابة البطريرك بولس مسعد اقدر اهل عصره في التاريخ وخاصة تاريخ الاسر ، وله مؤلفات مشهورة في تاريخ طائفته المارونية والدفاع عن صحة معتقدها الديني ، اهمها كتاب « الدرّ المنظوم » وكان خبيراً بالاصول والانساب ، ويروي الناس عنه اقوالاً مأثورة بنى عليها كثيرون تواريخ اسرهم . وذكروا انه وضع تاريخاً للاسر لاعتقادهم بسعة اطلاعه وغزارة علمه ، وشاع ذلك عنه وذاع حتى أكّد بعضهم وجود هذا التاريخ عند اقاربه الا انه لم يظهر شيء منه حتى الآن ، وقد مضى على وفاته اكثر من ستين سنة . قيل ان السبب في عدم نشر تاريخه انما كان اضطراره الى قول الحقيقة في اصل الاسر التي حازت نباهة الذكر واصلها خامل . والذي نظنه ان السبب الذي منعه عن نشر معلوماته التاريخية عن اصل الاسر انما هو ما عُرف به هذا البطريرك من التحفظ والحذر لما في تحقيق اصول الاسر اللبنانية من الصعوبات التي اشرنا اليها في تاريخنا ، فخاف ان ينشر معلوماته ويعرّض نفسه للنقد الذي كان يتحاشاه ويحاذره .

ويا ليته نشر هذه المعلومات على علاتها وذكر مصادرها المروية ، اذن لكان له من ذلك عذر كافٍ ولكان ادّى للتاريخ والوطن والطائفة اكبر خدمة . لانه كان في عصره اكبر علمائنا بهذا الفن ، ضمّ صدره مجموعة واسعة من اخبار

الموارنة واسرهم وقد كان اقرب منا عهدًا الى جدودنا الماضين من النقلة الثقات، واوسع اطلاعاً على تقاليد القوم ورواياتهم التي تكيفت وتطورت مع الايام حتى كادت تبعد عن اصلها،واصبح الحصول عليها والبحث في تحقيقها ومصادرها امرًا صعب المنال . ويظهر انه كان كما يتبين من كتاباته شديد الحذر، ولعله اراد الاحتفاظ بما جمعه من اخبار الاسر فضاع وتشتت بعد وفاته .

وروى لنا احدهم : ان البطريرك كان عنده في بكركي راهب (لعله القس اسبيريدون العرموني الانطوني) فلما توفي البطريرك، وكانت الاوراق التاريخية تحت يده مجموعة كراريس . فكان الناس يتهافتون عليه ، وكان كل من يطلب اليه شيئاً عن تاريخ اسرته فيمزق الاوراق التي فيها المعلومات المطلوبة ويدفعها اليه . وقيل ان المعلم رشيد الشرتوني عثر على اوراق البطرك بولس ولم يتهيأ له نشرها فاخذهـا ولده الذي ابتاعها منه سلوم المكرزل في اميركا . ويا ليت هذه الرواية صحيحة اذًا لكانت نشرت الاوراق حالًا في جريدة الهدى.

وبحثت بنفسي في خزائن بكركي وامين المحفوظات فيها اليوم صديقنا العالم المحقق الخورسقف ميخائيل الرجي ، فرأيت اوراقاً منثورة بخط البطريرك وفيها نتف عن الانساب واصل الاسر . وقـد جمع هذه الاوراق نسيبنا الخوري ابرهيم حرفوش الذي كان امين المحفوظات زماناً ، وقـد طالعتها فوجدت فيها فوائد لا بأس بها . وهناك مذكرات او يوميات البطريرك التي كان يدون فيها يوميًا ، حوادثه الجـارية وتنقلاته عند ذهابه الى مصيفه او رجوعه الى مشتاه مؤرخاً اليوم بل السـاعة ، وذكر رحلته الى اوربا والاستانة . وكل هـذه المذكرات موجزة دقيقة كأنه كان يريد التبسط بها . وهناك شذرات كثيرة معظمها مسودات كتابه « الدر المنظوم » الذي قيل انه كان يريد تجديد طبعه بعد تجريده من المطاعن والتهكم، فمات ولم يخرج هذا الفكر الى حيز العمل . وبين هذه الاوراق معلومات تاريخية مرسلة من بعضهم اليه والارجح انها أرسلت بناء على طلبه . ولا ندري اذا كان قد نقل هذه الرسائل والوريقات المنثورة وبيّض مسوّداتها بدفاتر ، او انها بقيت على ما هي متفرقة فضاع اكثرها .

واهم ما بقي من هذه الاوراق مجموعة مكتوب عليها عنوانها « ترونيئون البطريرك بولس مسعد » بخط المطران بطرس شبلي ، وهو عنوان لكتاب كان

قد بدأ به البطريرك ليجعله تكملة لتاريخ الدويهي ، يذكر فيه موجز تاريخ القرن الثامن عشر . وقد جمع له شتات الاخبار والمعلومات ودوّن معظمها على اوراق متفرقة بين محفوظاته التي سلمت بعدما اصاب القسم المتعلق منها بتاريخ الاسر من نكبة الضياع والتمزيق مما هو آفة التاريخ ونكبة المؤرخين . ولم يسلم من مجموعها الّا كراس يحتوي اخبار الثلث الاول من القرن ١٨ وهو يتضمن تاريخ الحوادث من سنة ١٧٠٠ التي انتهى فيها تقريباً تاريخ الدويهي الى غاية سنة ١٧٣٧ اي بعد نهاية المجمع اللبناني . وقد حافظ المطران شبلي فقيد العلم على النسخة الاصلية المكتوبة بخط مسعد في ٤٦ صفحة وعمل لها العنوان المشار اليه ، وهي محفوظة في جارور آثار هذا البطريرك التاريخية عن الاسر وغيرها . ولم يقيض له اتمام عمله هذا او تبييض مسوداته التي بقي منها الشذرات التي نسخناها نحن عن اصلها بكل ضبط وتدقيق ، وهي اشبه ببدرر منثورة يجب ان تجمع في سلك . وقد نقلناها كما كتبها البطريرك بخطه الذي هو اشبه بالمعميات ، وفيها الكثير من المفاخر والعبَر التاريخية التي لم يرَ بعضها النور حتى اليوم .

بقي علينا ان نقول كلمة موجزة في ترجمة هذا البطريرك : فهو من اسرة مارونية عريقة ولد في عشقوت كسروان في اوائل شباط سنة ١٨٠٦ وتلقى علومه الاولى في مدارس لبنان المارونية : الرومية وعينطورة وعين ورقة حيث ظهرت نجابته وتفوقه ، فارسله البطريرك يوسف حبيش سنة ١٨٢٦ الى رومية حيث تلقى في المدرسة المارونية العلوم العالية ونال منها القسط الوافر . وعاد سنة ١٨٣٠ الى وطنه مكتفياً بما حصله لسبب انحراف طرأ على صحته ، فتلقاه البطريرك بالترحاب ورقاه في ١٣ حزيران من هذه السنة الى درجة الكهنوت وعينه كاتباً لاسراره . وفي ٢٨ آذار ١٨٤١ رفعه الى درجة الاسقفية وجعله مطران شرف على طرسوس ونائباً روحياً له ، فاحسن القيام بالمهام التي عُهد بها اليه في عهد البطريركين الحبيشي والخازني . وتوفي البطريرك يوسف الخازن فانتخبه الاساقفة خلفاً له في ١٢ ت٢ ١٨٥٤ وتولى البطريرك بولس مسعد تدبير شؤون طائفته بحكمة وغيرة . وعقد مجمع اللويزة (١٨٥٦) فافرغ فيه كنوز معارفه طبقاً لمبادئ المجمع اللبناني . ورقى الى الاسقفية ١٥ مطراناً وانشأ للبطريركية

مكتبة عامرة بالكتب النفيسة، وجمع شتات البراءات الرسولية ورسائل الملوك والحكام الى غير ذلك من الانشاءات والاصلاحات محافظاً على عزة المقام البطريركي وكرامته. وزار رومة العظمى وباريس والاستانة سنة ١٨٦٧، وقابل البابا بيوس التاسع ونابليون الثالث امبراطور فرنسة والسلطان عبد العزيز، ولقي كل اكرام واعتبار. وكانت وفاته في ١٨ نيسان ١٨٩٠ في بكركي وبعد حفلة الجناز نقل الى عشقوت مسقط رأسه ودفن في الضريح المعد له في كنيسة مار بطرس.

والآن لا يسعنا الا ان نشيد بفضله على التاريخ وعنايته في جمع مخطوطات الكرسي البطريركي وصيانتها، فقد دوّن الكثير منها بخط يده، وامر بجمعها وضمها الى ما جمعه البطريرك الدويهي والبطريرك يوسف اسطفان من السجلات والوثائق والآثار التاريخية التي تخلد لهم الذكر الحميد، وقد اصبحت مراجع صحيحة لاهل البحث وطلاب الحقيقة. ولا بد لنا ان نذكر: ان الخوري منصور الحدثوني الذي نشر تاريخاً مطبوعاً باسم «المقاطعة الكسروانية» وفيه فوائد كثيرة تتعلق بتاريخ لبنان ولاسيما كسروان، قد صرح في كتابه هذا انه اخذ عن البطريرك مسعد اكثر معلوماته عن اصل الاسر وغير ذلك من الحوادث والاخبار. وهكذا قال في النبذة التي وضعها عن «دلبتا وتاريخها» وهي التي نشرها صديقنا الخوري بطرس روفائيل في تاريخه الذي وضعه عن هذه البلدة ونشره في «المشرق» لكي يكون مثالاً لمن يريد ان ينشئ تاريخاً. وعلى الجملة فان هذا البطريرك كان في ايامه اكبر مرجع في تحقيق الامور التاريخية وحل مشاكلها الصعبة ولاسيما مشكلة اصل الاسر وانسابها.

٥ً الخوري يوسف سعاده الحصاراتي

وبينما كنا نبحث عن المخطوطات بلغنا ان في حصارات من بلاد جبيل مخطوطة تاريخية عند كاهن ماروني يدعى الخوري يوسف سعاده الملقب بالزناتي، وان في هذه المخطوطة تواريخ مختلفة منها تاريخ الاسر التي خرجت من بشعله (وطن جدودنا القدماء.) فكلفنا صديقاً لنا يدعى مارون صغير كان يتردد الى تلك الجهات لبيع بزر القز بان ينقل لنا عن المخطوطة والاصح عن صاحب

المخطوطة تاريخ اسر بشعله فقعل . وعلى سبيل المثال نذكر روايته عن جدنا ابي رزق البشعلاني قال ما ملخصه :« ان الجد هو صهيون من قبيلة بني غسّان ملوك الشام .. اتى الى بشعله من كفرطابو من بلاد عكار سنة ١٣٠٠م فولد له في بشعله رزق الذي ولد له يونس ومبارك . ويونس اولد خمسة اولاد اكبرهم رزق جد عائلة رزق ، ويونس قتل في طرابلس شهيدًا . ومبارك هو جد بيت مبارك والخوري والسعد .. »

لا ندري ما هي المصادر التي اخذ عنها صاحب المخطوطة هذه الرواية التي تناقلها بعض المؤرخين دون بحث . وقد عرفنا انه توفي منذ سنوات واتصلت المخطوطة بانسبائه ، وانه كان يروي روايات كثيرة عن الاسر وتاريخها . وكان يأتيه طالب المعلومات عن تاريخ اسرته ، فيدخل غرفته ثم يخرج اليه ويعطيه مطلوبه دون ان يدعه يرى المخطوطة ، وهكذا كان يفعل ورثته من بعده . ولذلك فان العارفين لم يطلعوا عليها لتعرف قيمتها التاريخية ، والذي ظهر لنا ان صاحبها خلط الصحيح بالباطل . وتبين لنا من الروايات المنقولة عنه انه غير ثقة ، ولا سند لاخباره حتى ان بعضها لا يمكن تصديقه لبعد العهد وغرابة الحوادث ، وقد رأيناه يخطئ في ايراد الاخبار المعروفة التي ذكرها الدويهي . فاذا كان هذا شأنه في ذكر الاحداث القريبة العهد فكيف يصح الاعتماد عليه في الامور القديمة دون وثيقة ولا مرجع سوى الاقاويل التي لا طائل تحتها .

٦ً الخوري يوسف توما المنداري

هو المعروف بخوري بلّا وهي قرية غير بعيدة عن حدث الجبة ، يدعي ان عنده مخطوطة لا تبعد حكايتها عن حكاية زميله الزناتي . فانه لم يدع احدًا يطلع عليها بل كان يجيب السائل عن تاريخ اسرته بعد ان يدخل غرفته ويأتيه بمطلوبه كما كان يفعل الزناتي . وللخوري يوسف هذا ولدان كاهنان مثله تعرفنا اليهما وسمعنا ما يرويان من اخبار الاسر المارونية التي يقولون انها مأخوذة عن مخطوطة والدهما . واعتقد ان روايات هذا التاريخ كروايات تاريخ الزناتي ، وقيمتها التاريخية لا تختلف عن قيمة تلك . وقد نقل عن هذه المخطوطة صديقنا البحّاثة الاب اغناطيوس طنوس الراهب اللبناني كثيرًا من محتوياتها ، فرأينا

فيها الغث والسمين، مما يدعو الى الحيرة لغرابة الروايات والى الشك بصحتها وقلة الثقة بها لعدم ذكر المراجع . وقد توفي الخوري يوسف العنداري في اواسط ك ١ ١٩٥١

ه

انتهينا الآن من المخطوطات الست المنسوبة لستة من المؤرخين، وقد كتبنا ما عرفناه من امرهم بعد البحث والتحقيق ، ولا غاية لنا الا قول الحق وتجنب الباطل . ولقائل ان يقول : « انك شديد في احكامك التاريخية » فنجيب ان الحقيقة يجب ان تقال حتى ولو جرحت. وبعد ان راينا الفوضى التي يتخبط بها القوم واستسلامهم الى الاساطير والاوهام من جهة تاريخ اسرهم ، لا يمكننا ان نقبل ما يقدمونه من المعاذير اذ يقولون :« ان ليس عندنا غير هذه الاخبار فنتمسك بها على علاتها الى ان نجد اصح منها » فالحلي بنا ان نكتفي بالقليل الصادق الثابت من تواريخنا ولو كانت قصيرة المدى ، فذلك خير لنا من انتحال الاخبار المختلقة والروايات المصنوعة او المشكوك بصحتها ولو كانت طويلة . ويكفينا ان يكون لنا تاريخ حقيقي منذ مائة سنة من ان يكون تاريخنا منذ مئات وآلاف السنين وهو باطل من اساسه ومبني على حكايات مزورة وتقاليد يذيعها كثيرون .

وحري بنا وقد بلغت الحالة الى ما لا يطاق من الفوضى ، ان نعمل على ازالة الاوهام لا المعاونة على تقريرها ونشرها وتدوينها بصورة مبهرجة طلية تغر السذج ، وربما اضلت العلماء بظاهرها الجذاب وطريقتها العلمية . فيسود الوهم وتكثر الاقاصيص ويصبح تاريخنا مجموعة خرافات واساطير ترسخ في الاذهان ويصعب نزعها شأن كل بدعة وضلال . وكيف تغرنا هذه الروايات السخيفة التي يتناقلها بعض مدعي المعرفة عن مؤرخين ليسوا من اهل التحقيق بحيث لا يليق ان تتخذ اقوالهم حجة لتقرير حقائق عويصة عجز عن تحقيقها اكابر العلماء . لان علم التاريخ لا تكفيه المعرفة والمنزلة بل يلزمه الخبرة وسعة الاطلاع ورسوخ القدم في هذا الفن والتنزه عن الغايات والتجرد عن الاغراض والمفاخرة بالحسب والنسب (راجع كتابنا « تاريخ بشعله وصليما » صفحة ٤٤٤).

والآن نذكر الذين شرعوا في وضع قاموس للاسر اللبنانية ولم يتهيأ لهم اتمامه والذين اتموه ولم ينشروه وهم الآتي ذكرهم :

١ - الاباتي عمنوئيل عبيد البعبداتي

انشأ تاريخاً يبتدئ من السنة ١٨٦٠ الى ما قبل وفاته ١٩٣٢ يقع في نحو عشر مجلدات كل مجلد الف صفحة ، ضمنه كل ما جرى في زمانه من الحوادث والاخبار ولا سيما المتعلقة بطائفته المارونية ورهبانيته الانطونية ، وكان يكتبه بخط يده كمذكرات يومية . ثم وضع قاموساً جعل قسماً منه للاسر المارونية اللبنانية وقسماً للقرى التي يسكنها الموارنة . وحدثني واحد من رهبانيته انه استعان على تأليف هذا القاموس بمعلومات البطريرك بولس مسعد المنقولة بواسطة القس اسبيريدون العزموني الانطوني الذي كان في الكرسي البطريركي . وقد ارسل البعبداتي هذه المذكرات التاريخية وقاموس الاسر والقرى الى الاباتي لويس عبيد رئيس دير الرهبان الانطونيين في رومية ليتولى نشرها هناك فلم يتمكن من ذلك ، فأعادها الى مؤلفها الذي عهد الى المدبر يوسف الشدياق لينشرها بعد ان اصبح هو عاجزاً عن ذلك بسبب مرض في عينيه افقده البصر . وسوف ترى فيما يأتي ما كان من امر هذين الكتابين .

اما الاب عمنوئيل فقد ولد في بعبدات سنة ١٨٤٧ وانتخب مدبراً ١٨٨٣ ورئيساً عاماً للرهبانية الانطونية ١٩٠١ وتزل به القضاء المحتوم في ١٤ ك٢ ١٩٣٢ وقد كان في ادوار حياته الرهبانية كلها مثالاً للنسك والتجرد وحفظ القانون حتى اصبح المثل الاعلى للغيرة والاخلاص والنزاهة ، وعد من اكبر المصلحين في الرهبانية مع ما قام في سبيله من العقبات. واشتهر بالفضل والعلم والزهد بحيث انه كان قدوة للمرؤوسين والرؤساء بالطاعة والحكمة وحسن التدبير، فازهرت الرهبانية في عهده بالنهضة والتهذيب الرهباني . وكان مجلسه مهيباً وقوراً لا يمل جليسه من احاديثه الطلية ، لما تبطنته من فوائد تاريخية وطنية وما حوته من درر الاقوال وانجع العبر . ونشر كتابه « تاريخ الرهبانية الانطونية » فكان اسبق المؤرخين في الرهبانية المارونية ، فضلاً عن مذكراته التي ذكرناها. وفوق ذلك فان هذا الشيخ الجليل قد كان تاريخاً حياً وشاهد عيان لما ذكره في تآليفه من الحوادث .

٢ً – المدبر يوسف الشدياق

هو من اسرة الشدياق المشهورة ، ولد في حدث بيروت ، ودرس بمدرسة المزار في غزير وفي مدرسة قرنة شهوان ومدرسة الحكمة . وفي ١٨٨٣ دخل الرهبانية الانطونية فدرس الفلسفة واللاهوت في الدير وسيم كاهناً ١٨٨٩ ودرس الفقه على الاستاذين انطون صالح بعبدا وشاكر افرام البستاني . وتولى ادارة مدرسة مار اشعيا وكتابة اسرار الرئاسة العامة ، وانتخب مدبراً وعُين وكيلا عاماً . ثم اسس مدرسة مار يوسف قرب دير مار انطونيوس بعبدا ، وانشأ في هذا الدير مجلة « كوكب البرية » والمطبعة (١٩١١ – ١٩١٦) وكانت وفاته في ٢٨ نيسان ١٩٤١ وكان كاتباً ضليعاً له بعض آثار ادبية ، وقد عهد اليه الاباتي عمنوئيل البعبداتي نشر اثاره التي ذكرناها بعد عجزه وفقد بصره . فاختصر المذكرات التي تقع في عشر مجلدات اذ اهمل ذكر المناشير الحبرية والفرمانات السلطانية وغير ذلك مما هو منشور ثم كلف الاستاذ الياس سلهب فنقل هذا المختصر بخطه الجميل ليكون معداً للطبع .

ثم عمد الشدياق الى الكتاب الذي ذكرنا ان البعبداتي وضعه لتاريخ الاسر والقرى المارونية بلبنان ، وتبسط فيه وزاد عليه ، آخذاً معلوماته عن بعض المصادر وأهمها روايات عن اصل الاسر المارونية كما نقلها له راهب انطوني اسمه الاخ ميخايل التنوري، فكلفه جمع هذه الروايات التي تلقاها من اهالي القرى التي كان يزورها لاشغال تتعلق بالرهبانية . وبينما الشدياق مكب على الجمع والتلخيص نزل به مرض شديد الزمه الانقطاع عن العمل ثم لم يلبث ان وافاه الاجل ، ولم يتمكن من نشر هذين المؤلفين . وبعد وفاته نقلت هذه المخطوطات المجموعة الى دير مار روكز مركز الرئاسة العامة . ثم عني صديقنا المفضال الاب اشعيا الاسمر الذي هو اليوم رئيس الرهبانية العام بنقلها الى دير مار اشعيا برمانا حيث تحفظ مع المخطوطات في المكتبة . وقد زرنا الدير (١٩٤٥) ومعنا زميلنا ورفيقنا في جهادنا التاريخي الاب اغناطيوس طنوس اللبناني ، واطلعنا على المجموعات المشار اليها كلها ، غير ان النسخة التي استنسخها العرموني عن البطرك يولس مسعد غير موجودة بين هذه الآثار الثمينة التي اوصينا بصيانتها وقد وقفنا

على كثير من محتويات مخطوطات مكتبة الدير ، رحم الله من انشأها وساعد في جمعها وصونها من الضياع . هذا واننا قد راجعنا المصادر التي اخذ عنها الشدياق معلوماته ونقلنا عنها ما يهمنا منها بعد تحقيقها .

٣ – الخوراسقف مخائيل الحويس

كان المونسنيور الحويس شديد الميل الى التاريخ مولعاً بالآثار ، وقد جمع كثيراً منها بين مخطوطاته ، فألف مجموعة تاريخية للاسر المارونية مرتبة على حروف المعجم . وقد عثرنا على دفاتره المكتوبة بخط يده عند صديقنا الاديب ابن شقيقه الاستاذ جورج الحويس ، فنقلنا عنها بعض ما ينقصنا من المعلومات عن أصل الاسر . ويظهر ان المونسنيور عني بجمع اخبار الاسر بنفسه ونقلها بخط يده عن تقاليد القوم ومحفوظاتهم ، وهي مجموعة «رؤوس اقلام» مما يدل على انه كان ينوي ان يخرج للناس تاريخاً لاسر ابرشية بيروت المارونية بما عرف به من بلاغة في الكلام وتحقيق في الاخبار . لكن الداء نزل به فاوقف ذلك القلب الكبير عن الفكر ، والقلم عن الجري في مضمار الكتابة ، وقد كان من فرسانها المجلين ، فقضى مأسوفاً على فضله وعلمه .

واسرة الحويس من الاسر المارونية العريقة ، نشأت في قرية حاقل من بلاد جبيل منشأ كثير من البيوتات اللبنانية الوجيهة ، وقد رحلت منذ ثلاثة قرون الى المتن لائذة بالامراء اللمعيين حكام البلاد ، ثم انتقلت بعد زمان الى بلدة برج البراجنة . وقد نشأ منها رجال زعامة وفكر توارثوا المجد كابراً عن كابر بما اتوه من جلائل الاعمال ، ومن هذه الاسرة نبغ المونسنيور الحويس الذي ذكرنا اثره التاريخي فضلاً عما له من الآثار الادبية . ولد في برج البراجنة ١٨٧٢ وتربى على الفضيلة والاخلاق العالية ، وتلقى العلوم بمدرسة الحكمة التي انشأها (١٨٧٥) فقيد العلم والوطن المطران يوسف الدبس ، وقد اعجب بذكائه واهليته فرقاه الى درجة الكهنوت المقدسة . وتولى الحويس وظائف عديدة ومهمات خطيرة ، فوفاها حقها وقام بها خير قيام بما دلّ على حصافة عقله واصالة رأيه وعلو همته وحسن تدبيره ، وقد ادى للوطن وللطائفة خدمات جليلة تذكر فتشكر كما قال في رثائه البطريرك الحويك ، وكان اعرف الناس باقدار الرجال

والقيم الانسانية . وكانت وفاته في ١١ كانون الاول سنة ١٩٣١ رحمه الله .

٤ً – الاستاذ عيسى المعلوف

من اشهر المورخين المحدثين صديقنا المورخ الكبير الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف . ولد في قرية كفرعقاب من قضاء المتن في ١١ نيسان سنة ١٨٦٩ م وهو عالم عامل خدم الوطن والثقافة خدماً جليلة بتعليم النشء ووضع التآليف العلمية المفيدة والمبتكرة . واشتغل بتاريخ الاسر فنشر بالطبع سنة ١٩٠٨ كتابه « دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف » ذكر في حواشيه ، فضلاً عن تاريخ اسرته ، موجز ما اتصل به من المعلومات عن تاريخ كثير من الاسر اللبنانية والشرقية . وصرف عمره في جمع وتأليف موسوعة تاريخية في الاسر تقع في نحو ١٤ مجلداً باسم « الاخبار المدونة والمروية في تاريخ الاسر الشرقية » لا يزال حتى الان مخطوطاً ، ولم نطلع عليه لكنا نعرف انه يتضمن كل ما اتصل به من تواريخ الاسر المارونية بحيث ان كتابه يعد اكبر موسوعة لتاريخ الاسر كما يظهر مما نشره في المجلات المهمة. هذا وله من الاثار التاريخية كتاب « تاريخ زحلة » وكتاب « تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني » وهو مصور و « تاريخ بني اليازجي » ومجلته « الآثار » في عدة سنوات . وله مقالات تاريخية وعلمية شعراً ونثراً نشرت في المجلات . وله كتب ومجموعات مختلفة في فنون العلم والادب والتاريخ لا تزال مخطوطة ، وكلها تدل على ما بذله هذا العالم الجبار من المجهود والبحث والتنقيب خصوصاً بجمعه طائفة كبيرة من المخطوطات النادرة التي اكتشفها واحرزها . وحسبه هذه الاثار القيمة التي وضعها او جمعها ولم يتيسر له ان ينشرها لكساد بضاعة العلم ولا سيما التاريخ ، ونثني على انجاله النجباء الذين هم اشبال ذلك الاسد ، وقد اتحفوا العلم بنتائج افكارهم وثمار نبوغهم في الشعر والادب ، ان يخرجوا للناس بالطبع اثار والدهم ، ولاسيما موسوعته في تاريخ الاسر تعزيزاً لهذا الفن الذي نحن بحاجة ماسة اليه . ويا حبذا لو تنشر في حياته للاشراف عليها والاستعانة به على تصحيحها ، اطال الله عزيز بقائه .

الصوم

وجوبهُ وفوائدهُ

خطاب لحضرة الاب مبارك ثابت اللبناني رئيس دير المخلص في البرامية

ألقاه في نادي جمعيَّة القديس يوسف في بيروت ، في ١٥ اذار سنة ١٩٣٩

عرف الأدبُ العربي الاب مبارك ثابت أحد افراد الرهبانيَّة اللبنانيَّة المارونيَّة المعدودين، كاتباً بارعاً موهوباً من الطبقة الاولى ، ما جال قلمهُ السيَّال في موضوعٍ ديني أو أدبي أو وطني أو تاريخي أو جَدَلي إلّا وأشبعهُ درساً وتمحيصاً واشراقاً وتوضيحاً غير تارك زيادة لمستزيد ، فضلًا عن انهُ يكسو المعاني حلَّةً جميلةً من المباني فتبرز عبارتهُ من شقّ قلمهِ بيَّاهةً برشاقتها وفصاحتها ونعومتها وظرافتها مما يدلُّ على مقدرتهِ وواسع خبرتهِ . وان قارئه لا ينالهُ ملل أو سأمٌ من مرافقتهِ ومتابعتهِ سواء أطال في حديثهِ او قصر بحيث لا يفارقهُ إلّا منتشياً محبورًا. رأينا لهُ هذا الخطاب الممتّع في الصوم وفوائده وقد ألمَّ بهِ من جميع وجوههِ ومناحيه فأحببنا ان نخصّ بهِ مجلّة «المشرق» الراقية بمناسبة إقبال صوم عام ١٩٥٣ ، لعلمنا بانَّ قرَّاءها الألبّاء يتلقّونهُ بالرضى والاستحسان ، ونعدهم باننا سنتحفهم من حينٍ الى حينٍ بنفثات قلم الاب ثابت الساحرة .

(الاب انطونيوس شبلي اللبناني)

سادتي !

اقترح عليَّ حضرة الدكتور الفاضل الشيخ امين الجميّل رئيس اخويتكم المباركة خطاباً في الصوم وفوائدهِ. فتلبيةً لرغبتهِ هيَّأتُ ما تيسَّر لي إحضارهُ وعزَّزتُهُ بالحجج من أقوال الحكماء والعلماء وأولي الشهرة من أطبّاء الأرواح والأبدان. واذ كان لحكيمنا الفاضل مزيَّة ورئاسة في المعالجة المزدوجة تبالكاً في مصالح الصحّة والدين والأخلاق ، وقد أنشأ لوطننا ولغتنا العربيَّة أثرًا نفيساً وخالدًا من تآليفهِ الرائع «علم الصحّة» الفريد باسلوبهِ وقرب منالهِ وإناقة عبارتهِ ووضوح طريقتهِ وظرافة لطائفهِ ووفرة فوائده ، ما جعلهُ حقيقاً بان يُلقَّب شيخ الاسفار الباحثة في الصحّة وهناء الحياة ، لذًّني الغوصُ في لجّة هذا السِفر النفيس التقاطاً لشيءٍ من دُررهِ أزينُ بها جيدَ هذا الخطاب فيبرز لكم في حلَّةٍ من الجمال . ولا إخال شيخنا العزيز إلّا متسامحاً في مدّ يدي

الى خزانة معارفهِ بعد ما بَعَثهُ السخاء على فتحهـا لجميع المبتغين ، ففعلتُ غير خائف ان يُسعني المثل : « أركبناك وراءنا فمددتَ يدك الى الخرج » يحسن بنا وان كان قد ذهب شطرٌ من الصوم الكبير ، ان نُلقي على الصوم نظرًا متثبتًا ونشمّنهُ بمعرفة أصلهِ وبواعثهِ ومنافعهِ ومضارّهِ ، ونعارضهُ بضدّهِ إبانـةً لفضلهِ لأنّهُ قد قيل : وبضدّها تتبيّنُ الأشياء .

وبما ان كلمة صومٍ قد تروع البعض توهّمَ أنْ يكون مـدارُ البحث على محورٍ روحيّ بحتٍ يُنسي الخطابُ عظةً روحيّةً وهم يؤثرون سماع المواعظ في الكنائس فقط ، رأيتُ قبل الخوض في البحث أنْ أبشّرهم بأني لن آتيـهُ من الجهة الروحيّة بل من الجهة الزمنيّة ، إلّا حيث تقفُ لنا المنفعةُ الروحيّةُ فنجاملها بكلمة لئلا تعتب على حامل عَلَمِها بايجاب الحال ، اذا اجتاز من أمامهـا ولم يتوقف ويقل : « السلام على المعرفة ! » فنقول :

١ ــ ما هو الصوم؟

الصوم في اللغة الإمساكُ عن الطعام والشراب والكلام والسير . وعنـد المسيحيين وغيرهم هو الامتناعُ عن المأكل والمشرب في أيامٍ وساعاتٍ محدودة ، وساعاتهُ عند جميع الطوائف المسيحيّة اثنتا عشرة ساعة من منتصف الليل الى منتصف النهار . إلّا ان الشرقيّين يطوون هذا الشطر من يوم الصوم ممتنعين عن كلّ مأكلٍ ومشرب .

أمّا في الشطر الآخر فلهم ان يأكلوا ويشربوا في أيّة ساعةٍ من منتصف النهار الى منتصف الليل بخلاف الغربيّين ، فإنّ صومهم الطبيعي وهو المعروف عندنا (بالصوم على ريق النفس) يكون من نصف الليل الى الصباح . فاذا كان الصباح حلّ لهم تناولَ شيءٍ خفيفٍ من الغذاء مُعظمهُ من السوائل يطوون عليه الى الظهر وحينئذٍ يُصيبون شبَعهم طعـامًا وشرابًا ويُمسكون الى المساء حتّى عن الماء ، فيتناولون قدرًا من الطعام محدودًا بالكمّ والوزن ، ويلزمهم بعده الامتناع مطلقًا الى الصباح . ولكلّ كنيسةٍ عادتُها تتقيّدُ بها بالنظر الى الصوم المفروض .

وايضًا يُطلقُ الصوم على ترك اللحم والألبان وما شاكلها مع استباحة باقي

الاطعمة ويسمّونهُ قطاعةً للتمييز بينه وبين الصوم المطلق ، أو انقطاعاً [١].
ويسمّون الاطعمة الممنوعة في ازمنة الصوم وفي يومَي الاربعاء والجمعة من كلّ اسبوع ذَفَرًا بالذال، وهو النتنُ او ريحُهُ سُمّيت به المآكل المأخوذة من الحيوان لكراهة رائحتها . او زَفَرًا بالزاي ، وهو ما يُدعمُ به الشجرُ . استُعير لتلك المآكل لأنّها تدعمُ القوى .

وايضاً فإنّهم يقولون : الطعام المزَفّر والطعام القاطع ويبنون من ذلك فعلًا فيقولون : تزَفّر ، اي أكل لحمًا وألبانًا . وقَطَعَ ، اي أكل ما عدا ذلك من طعامٍ كالحبوب والخُضَر والفواكه . فالمزفّر من الزفر وقد ذُكر مأخذُهُ ، والقاطع بمعنى الحاجز . لأنّ المأكل الذي ليس من الحيوان بمثابة حاجزٍ لآكله عن المأكل الذي من الحيوان .

ووصيّةُ الصوم تُحرّمُ في ساعاتهِ كلَّ مأكلٍ ومشربٍ ، وفي ساعات الإفطار ، المآكل المزفّرة فقط .

٢ – في اصل الصوم

اذا تصفحنا أسفار العهد القديم ، وعليه المعوّل في تاريخ العالم والوجود ، وجدنا الصومَ أليفَ الانسان منذ القرون المغرقة في القِدَم ، ورأينا مهدَهُ معلّقًا باغصان الدَّوح تحت ظلّ الورَق ، فوق الانهار الجارية في الفردوس الأرضي . وُلدَ لأبوينا الأولين بوصيّة الخالق قبلَ ان يُولَد لهما قاينُ وهابيلُ « فانَّ الربَّ الالهَ أمر الانسانَ قائلًا : من جميع شجر الجنّة تأكلُ وأمّا شجرة معرفة الخير والشرّ فلا تأكلْ منها فانك يومَ تأكلُ منها تموتُ موتًا » (تكوين ٢ : ١٦) .

ولمّا كان الصومُ حرمانًا كان جزءًا من التوبة التي قوامُها حرمانُ الانسان نفسهُ من اللذّات المحرّمة ومن بعض اللذّات المباحة إماتةً للشهوات وتكفيرًا عن المعاصي بقصد إرضاء الله واستعطافه . ولزمَ ان يتّلِدَ معها على أثر اول خطوةٍ خطاها الانسان في سبيل الإثم . وذلك يرتقي الى عهد الانسان الأول في الفردوس الارضي على ما رأيتَ .

١) يجوز ان يكون مأخذ هذا اللفظ من قَطَعَ الرجلُ ، اذا لم يقدر على الكلام . استُعير لعدم القدرة بقوّة الشريعة على أكل الاطعمة المتخذة من الحيوان .

ثم خرج الصومُ من الفردوس بخروج آدم وحوَّاء ، ورافق الذراري المتتالية جيلًا فجيلًا الى اليوم . واتّصل بالكنيسة وهو في مبتدإ عهدها فأحلّتهُ محلًّا كريمًا ، وعانقهُ الرسلُ الأطهار وفرضوهُ اربعين يومًا عدد الايام التي صامها السيّد المسيح . وبعثت التقوى المؤمنين على تقديس أيام أُخر بالصوم وسائر أفعال التوبة ، فكانوا يمارسونهُ في الايام السابقة لعيد الميلاد وعيد انتقال السيّدة والدة الله وغيرهما .

ثم ان الكنيسة تلبية لرغبة المسيحيين ومراعاة لأحوالهم الروحيَّة والصحيَّة والنظام ، عيَّنت الأصوام والإمساكَ عن اللحم وما هو من فصيلته ، فكانت وصيَّتها الواردة في كتاب التعليم المسيحي بهذا النصّ : « صُمِ الصومَ الكبيرَ وسائرَ الأصوام المفروضة ، وانقطع عن الزَفَر يومَي الأربعاء والجمعة » والمراد بالصوم الكبير ، الصوم الأربعيني ، أخذت به الكنيسة منذ عهد الرسل أو عهد خلفائهم المتّصلين بهم . وأدلّةُ ذلك كثيرة نجتزئ منها بذكر ما يأتي :

روى اوسابيوس والقديس ايرونيموس وفيلون في كتابهِ على السيرة المتأملة : ان فريقًا من الناس دُعوا ثيرابوتين أي خدَّام الله والمتأملين ، كانوا تلاميذ للقديس مرقس بمصر ، وكان عددهم كثيرًا في الزمن المتّصل بزمن الرسل حتى وفي حياة بعضهم ، وكانوا يصومون سبعة اسابيع قبل عيد الفصح ، ولا يغتذون طيلة ايامها إلَّا بالخبز والملح والزُوفى .

وقال تاوفيلوس الاسكندري في رسائله الثلاث الفصحيَّة : إنَّ الصومَ فرضٌ أومأ اليه الانجيلُ وأخذناهُ عن الرسل . وتابعهُ على ذلك القديس كيرلُّس الاسكندري . وسمَّاهُ القديس لاون في مواعظه : فريضة رسوليَّة . وصرَّح القديس بطرس الذهبيُّ النطق في الموعظة الثانية : بانهُ ليس من وضع الناس لكنَّهُ فريضةٌ مقرَّرة بقوَّة الهيَّة . على ان في القوانين الرسوليَّة تصريحًا بوجوب الصوم الأربعيني .

وكما اعتُبر الصوم في الكنيسة فريضة الهيَّة الاصل ، كذلك اعتُبرَ من قبلها عند الشعب الاسرائيلي وعند الآباء الأقدمين من أبلغ افعال التوبة . فتذرَّع به لاسترضاء الله وتسكين سخطه واستمطار نعمه والتطهُّر والتكفير واستكمال الفضائل وبلوغ الاماني ، أناسٌ من أكابر اهل زمانهم فضلًا وبرًّا

ومن أبعدهم شهرةً وأعلاهم منزلةً ، كنوح نذير الطوفان ، وابراهيم الخليل ، وموسى الكليم ، وايليا النبيّ . وهذان صاما اربعين يوماً متتاليةً لا يذوقان القوت البتّة ، وكذلك السيّد المسيح .

ه

ومن مشاهير الصائمين في العهد القديم اهلُ نينوى المدينة العظيمة ، كانوا قد خرجوا على الرب وتفاقمت آثامهم وصعد شرُّهم الى أمامهِ فاحتدم سخطهُ عليهم فأرسل اليهم- يونانَ النبيَّ ينذرهم بانقلاب مدينتهم بعد اربعين يوماً ، فأمرَ ملكهم ان يُنادى في الناس بالصوم والالتفاف بالمسوح والتوبة وان يُصَوَّم البهائمُ ايضاً . فرؤف الربُّ بهم وعفا عنهم من اجل صومهم تائبين .

ومنهم اليهود الذين انهزموا من وجوه الفلسطينيين لارتكابهم الاثم ، فصاموا بأمر صموئيل لتسكين رجز الرب على ما جاء في سفر الملوك الاول ٧ : ٥

ومنهم داود الملك النبيّ ، لم تكن عِزَّة عرشٍ ووفرةُ الثروةِ وانفساحُ مجال الرغدِ والاسراف في الملكِ ، لتصرفهُ عن الصوم الواجب والمفيد ، فقال في المزمور الرابع والثلاثين : « أذلُّ بالصوم نفسي » وفي المزمور الثامن والستين : « أبكيتُ بالصوم نفسي وجعلتُ لباسي مسحاً » .

ومنهم الملكُ يوشافاطُ اذ خرج عليه جمهورٌ كثيرٌ من بني مؤاب وبني عمّون والادوميّين واشتدَّ الخطرُ عليهِ وعلى شعبه ، « أقبل بوجههِ يلتمس الربَّ ونادى بصومٍ في جميع يهوذا » ، على ما ورد في سفر اخبار الايام الثاني ٢٠ : ٣

ومنهم عَزرا الكاهنُ اللاويُّ حين شخص من بابل الى اورشليم ، ومعهُ رؤساءُ الآباء بأمر الملك ارتحشستا ، لتكريم هيكل اورشليم ، اذ أذِن الملكُ لليهود بالعودِ من الجلاء ، فانهُ نادى بصومٍ عند نهر أهوى وصام هو ومَن معهُ مبتغين من الربِّ طريقاً مستقيماً لهم ولصغارهم ولجميع أموالهم فاستجابهم الربُّ (عزرا ٨ : ٢١)

ومنهم أحآبُ ملكُ السامرة الكافر ، لمّا اتاهُ ايليّا النبيُّ التِشبيُّ فقال لهُ من قِبَل الربِّ : « هكذا يقول الربُّ في الموضع الذي لحسَت فيه الكلابُ دمَ نابوتَ تلحسُ الكلابُ دمك انت ايضاً » لأنَّ أحآب كان قد قتلَ نابوتَ اليزرعيليَّ ليرث كرماً لهُ في جانب قصر الملكِ أبى نابوتُ ان يبيعهُ اياهُ . فلمّا

سمع أحآب كلام الربّ من فم ايليا مزّق ثيابهُ وجعل على بدنهِ مسحاً وصام فاستبقاهُ الربُّ لذلك ، وقال : «لا اجلبُ الشرّ في أيامهِ ولكن في أيام ابنهِ أجلبُ الشرَّ على بيتهِ» (٣ ملوك ٢١ : ٢٧ و٢٨ و٢٩).

ومنهم نحميا بنُ حكليا النبيُّ ، صام أياماً وهو يلتمس من الرب ان يُسهِّل لليهود العودَ من جلاء بابل الى اورشليم فأصاب حظوةً لدى الملك ونال مُلتمسهُ (نحميا ١ : ٤).

ومنهم الشهيرةُ يهوديتُ قاتلة اليفانا قائد جيش نبوكدنصَّر ملك اشور الذي كانت قاعدة مُلكه نينوى المدينة العظيمة . هذه الفتاةُ الأرملةُ القديسة الرائعة الجمال ، كانت تصوم كلَّ الأيام ما عدا السبوتَ ورؤوس الشهور وأعيادَ اسرائيل . فلمَّا زحف اليفانا بجيشهِ اللجب على بيتَ فلوى مسقط رأسها وضيَّق الحصارَ على المدينة حتى وقع الناسُ في ضنكٍ شديدٍ وأخذ يفتك بهم الجوعُ والعطشُ ، ولم يكن لهم قِبلٌ بصادمة العدوّ لكثرتهِ وقد آثروا الموت على ذلّةِ التسليم ومهانتهِ ، بالغت يهوديتُ في الصوم والصلاة ثلاثة أيامٍ ، وبعد ذلك توكّلت على الربّ فاحتالت على اليفانا واحتزّت عنقهُ بخنجرهِ واخذت رأسه في مزود وصيفتها فعُلّق على أسوار بيتَ فلوى ، وخرج المحاصَرون لقتال العدوّ . ولمّا سمع جيشُ اليفانا بأنّ رأسهُ قد قُطع طارت عقولهم وأمسوا لا يبالون إلّا بالخوف والرعب فاستنجدوا بالهزيمة وهربوا في طرقِ الصحراء وشعابِ التلال . وتعقّبهم بنو اسرائيل صُبّةً واحدة يضربون في أقفيتهم فأهلكوا كلّاً من أدركوهُ (يهوديت ٤ : ٨).

ومنهم استيرُ اليهوديّة بنتُ أبيحائيلَ عمّ مردكاي ، كانت معهُ في ارض الجلاء في شوشَنَ العاصمة في عهد الملك احشورش الذي ملك من الهند الى كُوش على مئةٍ وسبعةٍ وعشرين اقليماً ، وكان مَردكايُ حاضناً لها اذ لم يكن لها أبٌ ولا أمٌّ وهي جميلةُ الشكل حسنةُ المنظر نقيّةُ القلب بهيّةُ الفضائل ، تحصّنُ فضائلَها بالصوم إذلالاً لجسدها . تزوّجها احشورشُ وحَسُنت في عينيهِ ونالت حظوةً بين يديهِ ، وقُرِّب من باب الملك عمّها مَردكاي . وكان للملك وزيرٌ يدعى هامان عظّمهُ الملكُ وأمرَ ان يجثو لهُ في دخولهِ وخروجهِ كلُّ مَن في باب الملك . فكانوا يسجدون لهُ إلّا مَردكاي ، فغضب هامانُ وأغرى

الملكَ باهلاكهِ وكلَّ شعب اليهود الذين في مملكة احشورش ، فبُعثت الرسائلُ الى جميع الاقاليم في اهلاكِ وقتلِ واستئصال جميع اليهود من الصبيّ الى الشيخ مع الاطفال والنساء في يومٍ واحد في الثالث عشر من الشهر الثاني الذي هو شهر اذار وسلبِ غنائمهم. ومضمون الكتابة إعلامٌ لجميع الشعوب حتى يكونوا متأهبين لذلك اليوم . فحزن اليهودُ وتضرَّعوا الى الربّ بالصوم ولبس المسوح ، واغتمَّت استيرُ الملكةُ وأمرت جميع اليهود الذين في شوشنَ ان يصوموا ولا يأكلوا ولا يشربوا ثلاثة أيامٍ ليلًا ونهارًا ، وصامت هي وجواريها كذلك وتضرَّعت الى الربّ . ثم دخلت على احشورش والتمست منهُ الصفح عن شعبها فصفح عنهم وأطلق أيديَهم للانتقام من كلّ مَن يضطهدهم من شعوب مملكتهِ قتلًا واستئصالًا وسلبًا حتى النساء والاطفال ، وعُلّق هامانُ على خشبةٍ ودُمّر بيته تدميرًا .

٥

فلهذه الحوادث وأمثالها كان للصوم شأنٌ عظيمٌ عند الملوك والرعايا في جميع الأعصار ولاسيَّما الشعوب العارفون الله . ولهذا تمسَّكت بهِ الكنيسةُ منذ عهد الرسل على ما مرَّ اعتبارًا لفوائدهِ الجليلة وتيمُّنًا بهِ واقتداءً بمؤسّسها الالهي الذي قدَّسهُ بصومهِ .

قلتُ : ولعلَّهُ كان في اول أمرهِ غير محدود المدَّة . إلَّا انَّهُ من الثابت أنَّهم كانوا يصومون الأيام السابقةَ لعيد الفصح ، فما لبث ان سيطر على الاسابيع السبعة التي يليها العيدُ على حسب وصيَّة الكنيسة المعروفة اليومَ . وهي تستثني من أيام هذه الاسابيع السبوتَ والآحادَ والاعيادَ إلَّا السبتَ الأخيرَ الذي يليهِ أحدُ القيامة .

٣ ـــ الصوم في المجمع اللبناني

ولمَّا كانت الاصوامُ تختلفُ وقتًا ومادَّةً باختلاف الكنائس من غربيَّةٍ وشرقيَّةٍ ، وكان لكلّ كنيسةٍ قوانينها وترتيبها حسنَ بنا ان نخصَّ بالكلام الأصوام المفروضةَ في كنيستنا الانطاكيَّة المارونيَّة لترتُّبها علينا دون سواها . وليس من العبث ان نوردها بشيءٍ من التفصيل وان كانت لا تفوت علمكم ،

هَدَفًا الى ترسيخها في الأذهان . واذ كان المجمعُ اللبنانيُّ هو دستورُ الطائفة المارونيَّة الكريمة ، وهو يحدُّ الاصوامَ المفروضةَ عليها وقتاً ومادةً ونوعاً ، فإيَّاهُ أعتمدُ في ما أُلقيهِ اليكم في هذا الصدَد .

جاء في القانون الـ ٥٣٧ ان الأصوامَ التي رسمتها كنيستنا الانطاكيَّة هي :

اولًا : الصوم الاربعيني ما عدا أيَّامَ الاحادِ والاعياد والسبوت إلّا السبتَ المقدس . ولكن لا يجوز فيها على الاطلاق تناول اللحم والبيض واللبن .

ثانياً : صوم ميلاد سيِّدنا يسوع المسيح ، أوَّلهُ خامس كانون الاول وآخره الرابع والعشرين منهُ . أُوجِزَ فصارَ أوَّلهُ خامس عشر كانون الاول .

ثالثاً : صوم والدة الله . بدؤهُ اول آب ونهايتهُ اليوم الرابع عشر منهُ أُوجِزَ فصار بدؤهُ سابع آب .

رابعاً : صوم الرسل . أوَّلهُ خامس عشر حزيران وآخرهُ الثامن والعشرون منهُ . أُوجِزَ فصار بدؤهُ اليوم الخامس والعشرين من حزيران .

خامساً : يصير الامتناع يومَي الاربعاء والجمعة طول السنة عن اللحم والبيض والألبان ، خلا ما كان من هذين اليومين موافقاً لميلاد الربِّ والغطاس وعيد التجلّي وعيد انتقال السيِّدة وعيد مولد القديس يوحنا المعمدان وعيد الرسولين بطرس وبولس ، وما خلا ما يقع من الأربعاء والجمعة بين عيدَي الميلاد والغطاس وبين أحد القيامة والعنصرة وفي سبَّة المرفع .

أمَّا الصومُ الاربعيني فيجب فيهِ الامساك عن كلِّ ادام لحماً وبيضاً ولبناً وعن كلِّ مفطر طعاماً وشراباً من نصف الليل الى نصف النهار .

وأمَّا سائرُ الأصوام فيُستحسنُ فيها الصوم جرياً على العادة القديمة لكنهُ غير مفروض ، وانَّما يجب فيهِ الانقطاع عن الذَّفَر .

وللسيِّد البطريرك ان يرخِّص تفسيحاً في الأصوام ما عدا الصوم الاربعيني ؛ ولذلك بُتِرَتْ على ما رأيتَ .

على أنَّ السلطة الروحيَّة في الكنيسة المارونيَّة لضرورات عامَّة ومراعاةً لضعف المؤمنين أخذتْ تفسحُ لهم من وصيَّة القطاعة في الأصوام الأربعة وفي يوم الاربعاء دون الجمعة مبيحةً لهم بعض المآكل الممنوعة من لحمٍ وألبانٍ إلّا في بعض أيامٍ على شريطة التعويض بشيءٍ من أعمال البرِّ بروح التوبة كالصلاة

والتصدّق على البائسين الى غير ذلك على حسب ما يُستفاد من نصّ التفسيح السنويّ . ولا بُدَّ من التنويه الى ان التفسيح من وصيّة القطاعة لا يتناول وصيّة الصوم فليس يجوز الإفطارُ في الصوم الاربعيني بحجّة التفسيح من القطاعة في بعض أيّامهِ .

على ان التفسيح من الانقطاع لا يزيد على ان يكون إنعاماً يجوز التمتّع به ولا يُحسب مفروضاً . فمن لم يجد من صحّتهِ حاجةً الى ما رُخّص فيهِ من المأكل ووجد من نفسهِ إقبالًا الى إيفاء وصيّة الانقطاع قمعاً لجماح الجسد وإرضاءً لله فلهُ ان يغتذي بما سوى اللحم والألبان ، لأنَّ التفسيح انّما يُمنح مراعاةً للضعفاء فيستمتع بهِ معهم الأقوياء . ولكن ليس لمن رفض الإنعامَ ان يدينَ مَن قبِلَهُ ولا الرئيسَ مانحَهُ ، لأنَّ الاول لم يتجاوز الوصيّة والثاني لم يتعدَّ حدود سلطتهِ .

ولمّا كانت القوانين لم تحدّ السنَّ التي تتناولها وصيّة الصوم عند الموارنة ، وكانت العادةُ القديمةُ عندنا ان يُصوِّم الولدُ منذ السنّ السابعة أو الثامنة حتى اذا صام يُثاب في الفصح بالبيضة الحمراء وإلّا فحظُّهُ البيضةُ البيضاء . استُفتيت البطريركيّة المارونيّة في ذلك مرّات ، وآخر ما كان من إفتائها ، وهو المعوَّل عليهِ اليوم ، انهُ لا يوافق الإلزامُ بالصوم قبل الخامسة عشرة .

٤ — في فوائد الصوم

للصوم والانقطاع فوائد روحيّة وزمنيّة . فمن فوائدهِ الروحيّة انهُ جزءٌ من التوبة ، واذا اقترن بصوم الحواس كان أبلغَ ذريعةً للكفّ عن المحارم والتكفير عن المآثم ، ونوال الزُلفى عند الله ، لانَّ الجسد اذا دُلّلَ ورُفّهَ استعصى وصبا الى البَطَر والجماح فلا نأمن منهُ على أنفسنا السقوطَ والتمرّغ في المعاصي . وقد شبّهَ علماء الروح الجسدَ الممتلئَ من الطعام بالسفينة المشحونة التي يصعبُ تحريكها ويبطؤُ سيرُها . وبالاناء الزجاجي المملوء تراباً تقع عليهِ أشعّةُ الشمس فلا تنفذ الى داخلهِ . وكلّما بالغ أحدٌ في تدليل جسدهِ بافراط الغذاء قصّر في تغذية روحهِ فقعدت عمّا يجبُ لخالقها وأبديّتها وقصّرت وهناً واستهتاراً عن تحصيل المكارم والمحامد ، حتى تخشن عندها العواطف وتخسّ ، ويموت عندها القلبُ

بفقد الحياة الروحيّة وضعف العقليّة ، ولذلك قالت الحكماء : لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فانّ القلب كالزرع اذا كثُر عليهِ الماء مات. وقالت الحكمةُ الالهيّة بفم المسيح ربّنا : « احذروا ان تثقل قلوبكم بكثرة الطعام والشراب » .

ولذلك عَلَت منزلةُ الصوم في العهدَين القديم والجديد ، وكثيرون تذرَّعوا بهِ للتكفير والاستغفار واستعطاف الخالق واستمداد أيدهِ والإفلاتِ من ربقةِ الشدائد والنجاة من الكوارث والأخطار .

وشهد العقلاء ، اعتمادًا على العقـل والتجربة ، بأنّ الصومَ مدرسةُ العفّة ولجامُ الأهواء وحصنُ الفضائل وزينةُ الشيوخ وجُنّةُ الشباب من أذى الشهوات .

فباعتبار هذه الفوائد رأينا الكتاب الكريم يعظِّم الصومَ ويخلعُ أجملَ حلل التقريظ على مَن قام بهِ من الابرار، كاليعازرَ الذي آثر ان يموت على ان يدنّس نفسهُ ويُشكّك الشبّان بأكل لحم حرَّمتهُ شريعةُ موسى على اليهود ، وكالاخوة السبعة وأُمّهم الأُلى وَرَدَ ذكرُ بطولتهم في سفر المكابيّين ، من لم تقلك الأعذبة المبرِّحة ان تلوي عزمهم وتُكرههم على طعامٍ حُرِّم على آل اسرائيل ، وكالفتيانِ العبرانيين الثلاثة الذين كانوا في بلاط بابل وأُريد قهرهم على أكل ما لا يحلّ أكلهُ فاختاروا ان يصيروا مطعماً للنار في أتّونٍ تصاعد لهيبُهُ في الجوّ أربعين ذراعاً على ان يأكلوا المحرَّم وتكون لهم الحظوة لدى ملك بابل العظيم . الى غير هؤلاء من أنبياء ومشترعين وملوكٍ وقوّادٍ وقديسين .

ﻫ

وأمّا فوائدُ الصوم الزمنيّة فرجعها الى أربع : تجميـل السمعة ، وصيانة المال من الإسراف ، وحفظ صحّة البدَن وإطالة العمر .

أمّا تجميل السمعة ، فلأنّ السمعة الحسنة لا تُكتسب إلّا بالفضائـل ، والفضائل لا تحصل إلّا بقهر الشهوات الخبيثة. وطريقة قهرها ترويض الجسد ، ولجام الجسد الصوم والقناعة ، فاذا رُفع لجامُهُ وجُعـل حبلُهُ على غاربهِ جمح وكَبا وعثر وتدهور وتحطّم في وهاد المعايب والمذلّات والفضائح .

وأمّا صيانة المال ، فلأنّ مَن ألِفَ الصوم والاعتدال يتجافى عن البذخ

والإسراف مأكلاً ومشرباً ، ولا يتورط في ما يتبع ذلك من قضاء لذاتٍ تلتهمُ المالَ التهام النار الهشيم .

فما سُمِعَ قطُّ انَّ الصومَ أفقرَ العيالَ أو الافراد ، أو عرَّض ثروة أحدٍ للنفاد ، بخلاف الشراهة فإنَّ أخفَّ جرائمها تهزيل الكيس وتكثير المفاليس .

وأمّا حفظ الصحّة ، فلأنَّ الجوفَ منبتُ العللِ والأوهان ، وقد قيل : المعدةُ بيتُ الداء والحِميةُ كلُّ الدواء . والصومُ حِميةٌ تباعد عن البَدَنِ الأسقامَ وتعصم المعدةَ من الآلام . وربّما كانت صحّة البَدَن مترتبة على صحّة الأخلاق وبالعكس .

ومن فوائد الصوم انه يكسر من شِرَّة الأهواء ويدرّع دون سهامها صدورَ الأخلاق .

وثانياً انَّ الصومَ من وسائل إطالة العمر ، فشاهدُهُ طولُ أعمار مزاوليه ، فانَّ كثيرين منهم يفوتون سنَّ المئة كغليان أحد مشاهير الأطبّاء الأقدمين ، عمَّر مئةً وعشرين سنةً ، لأنّهُ لم يتقم مرّةً عن الطعام إلّا وبه شيءٌ من الحاجة اليه .

وربّما كان تعليل ذلك بأنَّ أجهزة الهضم في الانسان والحيوان تكلُّ وتَبلى ويسرع اليها التلَفُ بكثرة ما تعانيه من تعب الأكل والشرب فلا يطول ان يأخذ منها العجزُ عن مهمّتها من تحويل الغذاء على الوجه الوافي بما تتطلّبهُ الحياة ، فيأوي الضعفُ الى البَدَن ويسهّل سبيلَ الأمراض اليه ، فيقتحمهُ الموتُ قبلَ الاوان ، فيلزم الأجهزةَ ان تأخذ نصيباً من الراحة أحياناً استبقاء لها وتمكيناً من استعادة ما فقدت من قوّتها باجهاد نفسها في العمل .

وقيل : ان الحيّة تعمّرُ زهاء الف سنةٍ وتصوم نصف عمرها أي ستة أشهرٍ كلَّ عام . ولعلَّ هذا الصومَ الطويل هو علّةٌ لما تُرزَقُ من طول الحياة .

والشجرُ البرّيُّ لقلة العناية بغذائه يجيء أبطأ نماءً من الشجر المخدوم . لكنّهُ أصبرُ على مساورة العناصر وأسلمُ من الآفات ، وأطولُ عمرًا وأبعدُ عن الفساد حتى بعد القطع واليبس .

على أنَّ الخالق سبحانهُ قد غرس الصوم في طبائع بعض الحيوان من زاحفٍ ودابٍّ كالحلزون ودودة الحرير وغيرهما . وهو تعالى لا يوجدُ في الحيِّ ما لا

ينفع لحياته ، تنزّهَ عن العَبَث ، إنهُ الخالقُ الحكيم .

ثمَّ إنَّهُ من الثابت انَّ الصائم تتدنَّى حاجتُهُ الى النوم لاستراحة الدماغ مما يُثقلُهُ من الغذاء . والنومُ ولا مِراء أشبهُ بالموت . وقد قالت العامَّةُ في أمثالها : النائم كالميت . فما يسلبهُ الصائمُ من ساعات نومهِ يضمُّهُ الى أيَّام حياتهِ .

وان كان حُسْنُ الشيء يظهر من قباحة ضدّهِ ، فحسبُ الصوم فضلًا انهُ ضدُّ الشراهة ، هادمة الصحّة والأخلاق والحياة . هاكم ما قالهُ في تشنيعها وتزيينهِ أربابُ العقول: بالاكثار العثار . الشراهة قتلت أكثر من المجاعات وأكثر من السيف . رُبَّ أكلةٍ حرمت أكلات

كم دخلتْ أكلةٌ حشى شرهٍ فأخرجتْ روحَهُ من الجسدِ

ما ملأ ابنُ آدمَ وعاءً شرًّا من بطنهِ . مَن يأكل قليلًا يعش سليماً ويعمّرْ طويلًا . الإفراط من اللحوم قتلَ الأسود في فلواتها . البطنةُ متلفةُ الفطنة . تهدمُ المدارك العالية وتفسدُ الأخلاق الكريمة . مَن أكل كثيرًا عاش قليلًا . وقال الملكُ النبيُّ : إثمُ البشر يصدُر في الغالب عن الشحم . وقال ابنُ سيراخ (٣٧ : ٣٤) : « كثيرون ماتوا من الشراهة أمَّا القناعةُ فتطيل الحياة » .

ومن أقوال الحكماء : إدخالُ طعامٍ على طعامٍ مجلبةُ السقام . اقعد للطعام وانتَ تشتهيهِ وقُم عنهُ وأنتَ تشتهيهِ . أقلِلْ طعامك تحمد منامك . وقال الرئيس ابن سينا :

إجعلْ طعامك كلَّ يومٍ مرَّةً واحذر طعامًا قبلَ هضمِ طعامِ

وقال أبقراط : استدامةُ الصحّة بتركِ الامتلاء من الطعام والشراب . وما أجملَ وأصدقَ ما قالهُ دكتورنا الشيخ العزيز : إنَّ الأمراض والرذائل تتهافت الى بَدَنِ الشرِهِ تهافتَ الجرذان الى مخازن الأقوات .

٥ — في قدوات الصوم

من أكابر الصائمين القديس بطرس هامة الرسل . كان يصوم كلَّ يومٍ ولا يأكل إلَّا ما قلَّ من البقول . والرسولان متَّى ويعقوب كذلك . والمؤمنون الأقدمون لم يكن في طعامهم لحم . وما كانوا ليأكلوا زمن الصوم إلَّا مرَّةً في يومهم . والرهبان في الأديار لا يذوقون مدَّة الصوم قوتًا مطبوخًا . والنسَّاك

في الصحراء لا يفوتُ قوتهم قرصين صغيرين من خبز الشعير . والقديس بولس السائح صام كلَّ أيام عمره وكان قوتهُ يسيرًا من الخبز والعشب ، فلا اعتراهُ داء ولا نزل بهِ وهن ، وعمَّر مئة وثلاث عشرة سنة . وكذلك القديس انطونيوس الكبير وقد عاش مئة وخمس سنين .

ورُوِيَ أنَّ أصدقاء الكردينال ستانيسلاوس أحد أحبار بيُوس الرابع في المجمع التريدنتي خافوا على صحَّتهِ من إدمانهِ الصومَ ، فقالوا لهُ : ألا ترحمُ صحَّتك ؟ فقال : انَّما أصومُ ليطولَ عمري .

وكان الامبراطور يوستنيان اذا حلَّ زمنُ الصوم الأربعيني يتلقَّاهُ بفرح ، ويُمسكُ عن القوت إلَّا أكلةً كلَّ يومين تُهيَّأ لهُ من بقل مُصلَح بالملح والخلّ ولا يتناول شراباً سوى الماء .

أمَّا الامبراطور شرلمان فكان كلَّما شعرَ بفترةٍ في جسده أو ثُقلةٍ بدرَ الى الصوم مستشفياً فقيلَ لهُ في ذلك . فأجاب : ما وجدتُ دواء شافياً وواقياً كالصوم .

ونقلَ الينا التاريخُ من سيرة ستانسلاس ملك بولنيا إنَّهُ في الصوم الأربعيني لم يكن يأكل إلَّا مرَّةً في اليوم . فاذا كان يوم الخميس من الستَّة الأخيرة أكل قليلًا ساعة الظهر وأمسك عن كلّ طعام وشرابٍ الى منتصف نهار السبت العظيم . وايضاً كان يصوم يومَي الجمعة والسبت من كلّ اسابيع السنة . واستمرَّ على ذلك الى سنّ الثمانين فما بعدها . فقال فيه ڤولتير : قد وجدتُ الحكيمَ الفردَ الذي يُجنِي لنفسه مجد القديسين وهو يُنزل مطرَ السعادة على الناس .

ومن الملوك الصيامى ، لويس السادس عشر . قيلَ انَّهُ أمرَ بصيدٍ وتأهَّب للخروج في بعض قوَّادهِ وبطانتهِ ، فتقدَّم رئيس الطهاة وقال : ان حَسُنَ في عينَيْ سيدي الملك فليأمر بشيء يشتهيه فأُصلحه له عشاء . قال ما حاجتنا بالعشاء ونحن في يوم صوم . فقال بعض من معه : ستعود من الصيد ساغباً لاغباً فلا نأمن مغبَّة ذلك على صحتك ، اذ تبيتُ وقد جدَّ بك الجوع . قال : الصيد ليس شريعة . وعدلَ عن الخروج وأمر بالغاء الصيد في أزمنة الصوم .

ومن أشهر الملوك الصيامى ، لويس التاسع القديس . كان مثالًا في الصوم لأهل بلاطه وكبراء مملكته ورعاياه . فلمَّا أُسر معه الأمير دي جوانفيل وكان

من الناسجين على منواله ، جعل اعيان السودانيين يدعون الأمير لمؤاكلتهم فيجيبهم الى ذلك . ووقع له ان قعد للطعام عند بعضهم فجيء اليه بلحم، فأكل لقمة ، وكان الى جانبه أسير آخر ، فقال له : لعلّه غاب عن خاطر سيدي اننا في يوم جمعة . فنحّى الأمير صحيفته لساعته ، وأخذ لنفسه عقاباً في سهوه بان يصوم على الخبز والماء كل يوم جمعة من الصوم الاربعيني .

ورُوي عن الشريف شابيوس السويسري ، أنّ طاهي داره أصلح له طعاماً من الباذنجان مطبوخاً بالزيت ، وكانت الساعة العاشرة من صباح يوم جمعة من عام ١٨١٤ ، فوافته رُسل ملك بروسيا وقالوا : الملك يتناول طعام الظهر في دارك وهو في الطريق اليك . فاضطرب وقال لهم : لا يحلُّ لي ان أُطعم لحماً في بيتي يوم جمعة . وكانت بينهم وبينه مجادلة في الكلام ، وانهم لكذلك اذ وقف بهم الملك في بعض بطانته . فقال له شابيوس : عذراً يا سيدي الملك فاني لا أملك ان أُصلح لجلالتك ولهؤلاء الذين معك طعاماً إلّا ما طُبخ بالزيت. أليست شريعة الديانة قبل شريعة الضيافة ؟ فتبسّم الملك وقال : بلى . وإنّ طعامك الصياميّ مع فضيلتك الباهرة لأَطيب مذاقاً من اللحم بل ألذُّ من أيّة مأدبة أنيقة . فأمر شابيوس فأُصلح للملك طعام بالزيت فأكل الملك منه حتى هَنِئَ ، وقال : ما أهنأني طعام قط كهذا الطعام . ثمَّ انصرف من تلك الدار معجباً باستيثاق أهلها بعُرى الدين.

ج

ما لي أرجع بكم الى الأعصر الخالية والبلدان القاصية والناس الذين لا نعرف غير أسمائهم في التاريخ . وفي جبالنا المباركة وفي قرانا والمدُن ، نفوس سخيَّة وشريفة ترعى وصيَّة الصوم والانقطاع وتتأثم من تعدّيها حتى لساعة اعتلال . ويُغضبها ايضاً ان يفتح منها الرؤساء للمؤمنين .

عرفنا والدينا ، ومنّا مَن عرف أجدادهم ، فرأيناهم يصومون حتى في سن الستين والسبعين والثمانين ، وينصبون أنفسهم مثالاً للأبناء والأحفاد . ولقد كانوا يوجبون علينا الصوم والانقطاع ولمّا نستوفِ الربيع السابع من العمر.

وكان السعيد الذكر المطران بطرس البستاني اذا خرج لزيارة رعاياه في الابرشيَّة لا ينزل ضيفاً على أحد حتى يواعده ان لا يُقدّم له غير لون واحد من

الطعام . فان كان يوم انقطاع اشترط ان يُطبخ طعامه بالزيت . فاذا أخلف المُضيف أبى المطران ان يأكل من طعامه .

ومَن شكَّ في منفعة الصوم للروح والجسد معاً ، فمحابسُنا غير بعيدة . في تلك المناسك شهودٌ مجرّبون أحياء يُرزقون أو موتى تنطق عنهم آثارهم الخالدة على الدهر . لا يذوقون اللحم طولَ العمر ولا الطعام المسوَّى على النار إلّا ما قلَّ . والصومُ حظُّهم كلَّ الايام ، وأكثر من مرَّة في اليوم لا يأكلون . بهذا العيش الخشِن يقمعون شهوات البدَن ويخفّفون من ثقله على الروح ، فيسهل عليهم الارتقاء في دَرَج الفضائل الى ذروة باذخة. وثوابهم على الارض صُنع المعجزات وراحة القلب وصحّة العقل والجسد وطول العمر ، فمنهم مَن يفوتُ المئة ربيعاً وأقصرهم عمرًا يفوت الثمانين .

على انَّ من حُبسائنا القدماء مَن بلغ من الصوم مبلغاً نكاد لا نصدّقه لو لا صدقُ المؤرّخين. ذكر العلامة الدويهي ومن بعده الاب يوسف غودار اليسوعي في كتابه « مريم ولبنان » عن الحبيس يونان المتريتي المتوفّى عام ١٥٤٢ ، انه قبل وفاته بأربع سنين بالغَ في الصوم فصار لا يأكل إلّا مرَّة كلَّ يومين ، ولم يكن يأكل في الصوم الكبير إلّا في يومَي السبت والأحد ، وكانت صياماته تمتدُّ من العنصرة الى عيد الميلاد ، ومن عيد الغطاس الى الفصح . ولم يكن يشرب الّا يوم السبت ، وعاش طويلاً وكان قويّاً يركع في سنة الآلام أربعاً وعشرين الف ركعة الى الارض .

والحبيس جبرائيل ابن ستيتة الاهدني الذي استحبس في الشطر الثاني من القرن السادس عشر في قزحيّا، ما كان يذوق الماء مُطلقاً من بدء الصوم الكبير الى خميس الأسرار . لا أذكرُ غيرهما لضيق المقام.

ه

ولو لم يكن رهباننا على يقين من فوائد الصوم والانقطاع لَما فرضوها على أنفسهم بِلَ الحرّية والاختيار . وظلَّ قانون الإمساك مرعيّاً عندهم ما يُربي على مئة وستّين سنة . لا يذوقون اللحم ولا يشتمّون ريحه ولا يغسلون قدورهم من شحم أو دسم. لكنّهم عاهدوا الحبوب والألبان حتى صاروا يُعيَّرون من سبيل المزاح «باللبنيّة والمخلوطة» وبهذا الغذاء الساذج الميسور جابهت أبدانُهم النصَبَ

وصبرت على الحرّ والبرد والكدّ والسهر ، فاقتلعوا صخور الارض ودكّوا الآكام وغرسوها كرمةً وتوتاً ، وذلّلوا أعناق الجبال ومهّدوا صدورها لزراعتهم وسخّروا ظهورها لبساتينهم ورياضهم ، وشهود سواعدهم الحديدية لا تزال ناطقة بألسن النضارة والخصب حول أديارهم ، ولا سيّما دير سيدة مشموشة أحد الحصون المنيعة التي شادتها أيديهم العاملة ، وما امامه على عرض الجبل من أملاك ضبطوا ترابها بزهاء خمسين حائطاً قائمةً بالصخورة الضخمة يبلغ طول الحائط منها الفين متراً ، بعلوّ مترين وزيادة . مما يُخيل الى الرائي انه من معجزات العمالقة او الجنّ . فلله درّ « اللبنيّة والخلوطة » ولله درّ عصرها الذهبي ! ما كان ادرّه على الانفس والأبدان ولبنان !

ه

ان كان كلُّ ما عرضناه من دواعي الركون الى وصيّة الصوم والانقطاع لا يرفع الأوهام من مخيّلة الموجسين في انفسهم خوفاً على الصحّة والقوّة من أذى الإمساك مع ما بهم من الركون الاحمق الى الافراط ، فنستأذن حضرة طبيبنا الرئيس بالماع الى ما اقرّه علم الصحّة من موافقة تلك الوصيّة لقواعد الصحّة العلميّة بناء على الاختبار والمراقبة .

قد اجمع حُذاق الاطباء المجرّبين على ان الانسان في العموم يأخذ من الغذاء ما يزيد عن الحاجة كمّاً وصنفاً . ومن الافراط في الغذاء والاسراف في التغذية الازوتيّة تنجم الاختمارات المتعفّنة في الامعاء ويقارنها اتلاد السموم المعويّة التي يتولّد من امتصاصها اختلالات صحيّة عديدة ، منها الاستعداد الارثيّ لتهيّجات عصبية جلديّة او مفصليّة ، ومنها النِقرس اي داء المفاصل ، ومنها الحلو في الفضلة الرقيقة ، ومنها التهاب المصران الدقيق .

متى أُصيبَ المفرطون باحدى تلك العلل فانّ نطس الاطباء يوجبون عليهم حِميةً أشقّ من الحمية التي تفرضها الكنيسة على الأصحّاء .

ومن الاطباء أولي الشهرة والجدارة بالتصديق مَن يرى انّ اكثر ما يقع من حوادث التهاب الزائدة علّته في الغالب إفراط التغذّي باللحوم . أثبت ذلك لوكاس شامبيونير (Lucas Championnière) الجرّاح الكبير في تقاويم سنويّة وضعها لاوساط مختلفة ، فأسفرت مراقبته عن ندور التهاب الزائدة في السجون

وفي الأديار الرهبانيّة على نسبة حذف اللحم من الغذاء او تقليله فيه.

وعن مثل هذه النتيجة اسفرت مراقبة الدكتور كومب من لوزان لحوادث التهاب المصران الدقيق وهو من اكابر الاطباء. وختصّ بمعالجة هذا الداء .

وقد حُللت اصناف الاغذية تحليلًا كيماويًا لمعرفة ما فيها من مواد التغذية، ووُضعت لذلك جداول منظَّمة تُعرف منها مقادير الاجزاء المركّبة لكل صنف من ماء وأزوت ودهن ونشاء الى غير ذلك مع مقدار ما تؤتي البدن من القوّة. يستخلص المطالع منها ان من يغتذي بالحبوب والخُضر فقد أخذ حظًا وافيًا من الغذاء المشتمل على الازوت، وانّ بالخبز والبقول كفاية لتغذية جسم الانسان، وان القائلين بضرورة اللحم للعامل الذي يكبّد عضله الجهد والنصب هم في مفاوز الوهم هائمون .

وقد قام بعضهم «الدكتور يال» باختبارات تهدف الى معرفة مقدار التفاوت في القوّة العضليّة تلقاء التعب عند مغتذين بآكل متغايرة، مدار الاختبارات على مدّ الذراع في الهواء حتى يأخذ المسابق ألمٌ في عَضَل الكتف والذراع لا يبقى له معه قِبَل ببسط ذراعه، او على ركعات تتالى بها الركبتان الارض يقوم بها المسابقون على نظر واحد محدود، فأكثرُ عدد ركعاتٍ هو المجلّي. ففي هذين الضربين من السباق كان التفوّق للمغتذين بغير اللحم على المغتذين باللحم ولا سيّما بالركوع، فان المسكين عن اللحم حتى المؤمنين منهم على حياة القعود احرزوا السبق حتى على المصارعين من أكلة اللحوم.

فاذا تدبّرنا ما قلناه الى هنا لم نجد بدًا من التسليم بأنّ الصوم والانقطاع عن اللحم اذا أُخذ فيها بجانب الاعتدال، بالقَدَر الذي تفرضه وصيّة الكنيسة الأمّ الحكيمة طبيبة الارواح والابدان، لا يجرّان على الجسم أيّ اذى بل يعودان بجمّ من المنافع عليه وعلى النفس والاخلاق .

ه

فمَن لم تروه هذه القطرة فالى الينبوع الرائق الغزير، الى كتاب « علم الصحّة » لحضرة الدكتور الجليل الحكيم النزيه .

على اننا لا نحبُّ ان نختم هذا الخطاب قبل ان نحلّي جيدَه بشيء من لآلي

فضله على علم الصحّة ، بما يترتّب على العمل به من طهارة الآداب وعلوّ الاخلاق وسعادة الفرد والعائلة والوطن .

قال في تجرّي الجناء على إيفاء الوصيّة الكنسيّة : أجمع الاطباء المحدثون على ان الإكثار من اللحوم وتناولها المتواتر تسمّم مطرد لا تغذية . ومثّل لافضليّة الصوم والانقطاع بالنسّاك والمتزهّدين . قال : رهبان السكوت لاقتياتهم بالأغذية المتخذة من النبات أقلّ أمراضاً وأطول حياة . وحبساؤنا يأكلون وجبة في اليوم ولا يذوقون اللحم وينامون غراراً ويكدّون ابدانهم بالعمل وهم على ذلك أصحّ أبداناً وأطول اعماراً . وعاملنا اللبناني يقتلع الصخور ويفتّتها ويحملها على ظهره ويبني السياج والبيوت، وقوتُه الخبز والعدس والبرغل والزيتون والبندورة ... وأحياناً البصل .

والعَمَلة اللبنانيّون أرقى جدًّا من مثلهم وطبقتهم حتى في أرقى الشعوب ، ولهم في البسالة والوغى موقف يشهد له التاريخ موقف الابطال الصناديد ، فلولم تكن سواعدهم من حديد لكان جبلُهم بغاباته التاريخيّة مقرًّا للضواري ومسرحاً للاعداء .

وقد صار مقرَّرًا في علم الصحة ، ان الاكتفاء بما هو من النبات والألبان كافٍ للتغذية وحفظ الصحة ، وتحقّق انه يفيد العَمَلة حاسة شبع وامتلاء بما يتركه في الغائط من فضلة بقياس ١٥ في ١٠٠ من المآكل ، مع ان ما يتركه اللحم بقياس ٣ في ١٠٠ فقط .

ثم عزّز رأيه برأي حكيم من رصفائه وهو القائل : لو لم تضع الكنيسة القطاعة والصوم لوجب على علم الصحّة ان يسنّها . وشرح كلام الرصيف بقوله : ولا يخفى ما في ايجابها من الحكمة في الصوم الكبير لوقوعه في فصل الشتاء وهو فصل الافراط والتخم . على انّ بحرمان الانسان من المآكل اللحميّة مدّة من الزمان إماتة للشهوات وإحياء للمكارم . وهذا قد اجمع عليه العلماء المسيحيّون والمسلمون واليهود . (انتهى كلام الدكتور)

ه

رأينا ان الصوم ضربٌ من التوبة ، وما التوبة إلّا العدول عن طريق الاثم والتكفير عمّا فرط من المعاصي . وكلاهما لا يُستوفيان بتصويم البطن وحده ،

لأنه لو كان هو الذي أخطأ دون سائر اعضاء البدَن لوجب ان تقع التوبة عليه وحده . أمّا والزيغ حاصل من جميعها فينبغي ان يتناول الحرمان جميعها بلا استثناء . ويلزم من ذلك ان يُصوَّم مع الجوف الفم والقلب والعينان والأذنان واليدان والرجلان : طعام القلب الافكار والشهوات ، فينبغي ان يوصَد بابه في وجه ما خَبُث منها ويُفتح في وجه ما صَلُح .

وللفم طعامان ، طعام يدخل فيه وطعام يخرج منه . فالذي يدخل فيه هو الغذاء المادي . والذي يخرج منه هو الكلام . فهل من الصواب ان نطهّره من بعض المآكل ونحن ندنّسه بالكلام الفاحش والالفاظ البذيئة والاحاديث الخبيثة والشتم واللعن والسباب ؟ او ليس مستهجناً ان تشتهي اضراسُنا لحم الطير والحيوان فنحرمها او نجلدها بالخبز (الحاف) ونحن نمزّق اخوتنا بأنيابنا ونقدّد اعراضهم بألسنتنا غير متأثمين ؟

وطعام العين المنظورات ، ومنها ما تُسمّم الجسم كلّه وتُسلّط على القلب جراثيم الفساد ، وتفتك بالفضيلة اذرعَ فتكٍ . أفما يجب علينا ان نُصوِّم العين بردّها عن المشاهد المغوية ؟

وهكذا يجب ان نصوِّم الأذنين عن المسموعات المؤذية كالثلب والنميمة وما خَبُث من أغنيةٍ وحديث .

وتصويم اليد بكفّها عن المحرَّمات . وتصويم القدَم بحبسها عن الخطو في سبيل ما لا يحلّ من اللذّات .

ان الصوم من أعظم القُربات لِما به من كسر الشهوة البهيميَّة التي ما جاءت الشرائع السماويّة إلّا لتعديلها وتزكية النفس وتنقيتها من الاخلاط الرديئة والاخلاق الرذيلة . فالمقصود من الصوم كفُّ النفس عن الاسترسال في الشهوات النفسيَّة والبدنيَّة ، فأيّة فائدة منه اذا كان الصائم لا يكفُّ عن الانهماك في الملاذ والشهوات وانتهاك الحرمات والاعتداء على الناس وإيذائهم في أعراضهم وأموالهم . إنّما الصوم توبة فينبغي ان يكون مقروناً بقمع الشهوات والاسترسال في الاعمال الصالحة ولا سيّما الاحسان الى القريب وإغاثة الفقير والضعيف .

خاتمة

اذا تقرَّر ما أُلقيَ الى أسماعكم الكريمة من فوائد الصوم للروح والجسد، ومن انَّ أصله الهيٌّ لا بشريٌّ، ومن وجوبه على الانسان منذ عهد الابوين الاوَّلين، ومن تمسُّك المسيحيين به منذ عهد الرسل الكرام، ومن تذرُّع المتقين به لاخماد السخط الالهيّ في كل عصر، ومن تقريظ الاسفار المقدسة للابرار الذين مارسوه، ومن انَّه فضيلة أصفياء الله المقرَّبين وانبيائه المظلَّين وابنه الحبيب ملك الشعوب والدهور. أفلا يبطل تذمر المتذمرين وتخرس أَلسُن المتشدِّقين، ويكون الصوم الذي يزدريه أُولو الشراهة والنَّهَم، من اجلّ نعم الله وكنيسته الممنوحة لتعزية الانسان وسعادته؟

اذا امتهن الصوم أُناس لا يعرفون قدره فعذرهم أيسر وضمانهم اقلّ. أمَّا نحن فما يقيمُ عذرنا ولسنا بجاهلين. أوما تعلمون انكم احفاد الصوَّامين المترهّدين المتقشفين، اولئك الذين ما تمدَّدت اضلاعهم من امتلاء، ولا حالفوا البطنة ولا صادقوا الكظَّة، ولا ملَّكوا عليهم النَّهَم ولا استضافهم القرَم، ولا كانوا الَّا أشباع القناعة مفاخرين.

انتم أحفاد اللبنانيين الذين كالمكابيين استمسكوا بشريعة الربّ وحموا ذمارها بصدور يزلق عنها الخطبُ وقلوب لا يدخلها الرُّعب، بذلوا في رعايتها الارواح والمُهَج.

انتم احفاد الذين كانوا اذا ضافهم زمن الصوم يهرعون للقائه بوجوه يترقرق فيها ماء البشر وثغور يتفتَّح عليها ابتسام السرور. وما ملاقاة الراهب يوم اثنين الرماد إلَّا أثر مشوَّه وصورة ممسوخة لحفلة تقويَّة كان الاجداد يقومون بها تكريمًا للرهبان الذين يأتونهم من المناسك في مبتدإ الصوم ليعظوهم بكلام الله.

انتم أحفاد جبابرة الفضيلة الذين جرَّدوا بواتر الاصوام وانقضوا على الشهوات أُسودًا وشواهين فمزَّقوها كل ممزَّق وضربوا الذلَّة عليها ظافرين، فزانت أَكلَّة المجد جباههم، وطلعت في سماء الفخر أقمارهم، ونُطقت بالقوَّة أحقاؤهم، وبهرت العيون أشعَّة مكارمهم، وملأت القلوب مهابتهم، وامتزج السلام والسعادة بعيشهم، وواجهوا المنيَّة بصدور حُشيت رجاء، ووجوه اشرق فيها صباح البشر.

ونحن احفاد اولئك المسيحيين الذين كفروا بالبطن وبشهوة الحلق ، وآمنوا بالقناعة والاعتدال وأورثونا الصوم والإماتة ممتزجين بدمهم النقيّ الجاري في عروقنا . فعارٌ علينا أن نخونهم في ذلك الدم الطاهر ، ونبيع بنجاسة الافراط ذلك الارث النفيس . عارٌ علينا ان نطّرح تقاليدهم الكريمة ، ونزدري آدابهم الحميدة ، ونخلع أخلاقهم الجميلة ، وننتكّب طريقهم القويم ، ونقصر عن شأو محامدهم البعيد .

على أُسس الصوم والقناعة أُركز ما نشاهده من صوامع ومناسك وأديار على ظهور جبالنا ورؤوس آكامنا . وحيثما وجدتم نقرةً في صخر او كهفاً في بطن وادٍ او مغارة في صدر تلٍ ، فهناك معبد للصوم ومأوى للصائمين .

ادخلوا تلك المناور المأهولة في القديم ، المقفرة اليوم ، فتأخذكم قشعريرة خوفٍ مقدّس وتملأ أنوفكم رائحة الصوم الذيذة ، التي لم تقوَ على تبديدها ريح التقلّب والإقفار على كرّ الادهار . وما للأرز نضارة الشباب على تقادم عهده ، الّا لأنّ أُصوله تمتصّ ريّاً من مذخور أدمع أجدادنا الصوّامين التائبين .

٥

حذار حذار ان نجحد الصوم فتدينا وتعيّرنا آثار عابديه . حذار ان نحتقره ونحن متنعمون بما خلّفه لنا من ثمار كدّهم واقتصادهم معظّموه . ورثنا أرضهم ومنازلهم وذخائرهم وآثارهم ودمهم الشريف النقيّ ، فأحرِ بنا ان نرث ايضاً تديّنهم وتقواهم وفضائلهم وتقاليدهم وأخلاقهم وايمانهم الفاضل والمستقيم ، فبذلك نُحييهم ونحيا ، ونفرّح عظامهم ونعتزّ ، وإلّا فنحن موضع قول الشاعر : « نعمَ الجدودُ ولكن بئسَ من خلفوا » .

عارٌ على الانسان ان يعيش ليأكل ويشرب ، وان يجعل البطن الهه . امّا ان يحرم نفسهُ احياناً من بعض الطعام تقرّباً الى الله ، فذلك مجد ومفخرة .

انتهى

مات الاتحاد اللبناني السوري الاقتصادي

ليمش الاتحاد

بقلم ارنست تلياك
استاذ في معهد الحقوق الفرنسي

لا يسعنا ان نستنتج من انفكاك الاتحاد الاقتصادي اللبناني السوري ١٣ آذار ١٩٥٠ انه بات مقضياً بالاخفاق في المستقبل على كل اتحاد اقتصادي في الشرق الادنى – بل انا ذلك على العكس – اذ إنّ هناك اتحاداً واتحاداً .

اجل ان الاتحاد الاقتصادي اللبناني السوري لم يحقق الّا احطّ طراز من الاتحاد الجمركي وذلك على قدر ما كان اتحاداً بين البلدين من ناحية على حين انه من الناحية الثانية قد اخذ يشيع بين الدول الان،الى جانب الاتحاد الجمركي بين البلدان، اتحاد جمركي في المنتجات (مشروع شومان) . وان الخطط التي ارتسمها هذا المشروع لن تكون ابعد عن التشجيع في الشرق الادنى منها في اوروبا وبقية الاقطار العالمية .

١

ما نبا الدهر بالاتحاد الاقتصادي اللبناني السوري الّا بسبب انه كان اتحاداً جمركياً خارجياً وخاصاً .

اجل انه اتحاد خارجي :لانه اتحاد اقتصادي بين دولتين ما برحت احداهما تتميّز سياسياً عن الثانية (الدولة اللبنانية والدولة السورية) كما كان الاتحاد الاقتصادي (Zollverein) الجرماني القديم، عام ١٨٣٤، بين شتّى الدول الالمانية التي لم تلحقه بوحدتها السياسية الّا في سنة ١٨٧١ .

ولَعَمْرُ ما كان التباين الذي قام بين الاتحاد اللبناني السوري الجمركي وبين الاتحاد الجمركي الداخلي الذي تمّ في فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة، بحيث سبقت وحدة تلك البلدان السياسية اتحادها الاقتصادي فتمّت وحدتها الجمركية في قلب دولة موحّدة سياسياً !

ولما انهارت في فرنسا غداة سنة ١٧٨٩ آخر الحواجز الجمركية ، كانت الحواجز السياسية قد انهارت منذ زمن طويل وتحققت في الميدان السياسي الوحدة الفرنسية السياسية .

انه لاتحاد خاص الاتحاد اللبناني السوري وأكثر من خاص « البانلوكس » (Benelux) او مشروع الاتحاد الجمركي السكندينافي بيد انـه اتحاد حقيقي رأساً لرأس ، كمشروعي الاتحاد الجمركي الفرنسي الايطالي او اليوناني التركي .

ويا لها من مناقضة للمجهود المبذول في سبيل اتحاد جمركي عام (كالمنظمة الاقتصادية للتعاون الاوروبي .O. E. C. E) المنبثقة من مشروع مرشال !

وانه لخطأ مزدوج الاعتقاد ان اتحاداً جمركياً خارجياً وخاصاً هو اسهل من اتحاد جمركي داخلي وعام .

ويسعنا القول من حيث المبدا ان كل اتحاد اقتصادي يظل معلقاً في الهواء طالما ليس هو وحدة سياسية .

ولا يكفي في سبيل تحقيق اتحاد جمركي الغاء الحواجز الداخلية بين الدول المتحدة الغاء سلبياً ، وانما ينبغي ان تُنشأ في آن واحد انشاء ايجابياً جبهة خارجية مشتركة وان تقام حدود مشتركة : اي انه اذا لم تنفذ منذ البدء تعرفة مشتركة على حدود الاتحاد الخارجية فلا بدّ من ان تنجم الامور التالية : دخول المنتجات الغريبة الى احدى دول الاتحاد على نفقة انخفاض تعرفتها ، لتنتقل منها الى بلاد الفريق الآخر عن طريق الحرية الجمركية بين هذين البلدين، فتنهار الحواجز الجمركية التي تكون قد انشأتها هذه الاخيرة في وجه البلدان الخارجية لحماية صناعاتها الوطنية .

وهذه الجبهة المشتركة في وجه الخارج في الامور الجمركية تفرض ايضاً قيام جبهة مشتركة في الشؤون النقدية والّا جرى ما يأتي : اي ان حرية المبادلات في قلب الاتحاد نفسه لا تضاعفها حرية المدفوعات ، والغاء الجمارك الداخلية لا يصحب الغاء القطع الداخلي ، وخلا ذلك فان اختلاف القيمة بين عملات مختلف اعضاء الاتحاد الجمركي الواحد حيال الخارج وتخفيض احدى هذه العملات بالنسبة الى غيرها — او بالعكس — ارتفاعها يؤدي الى بعض الامتيازات في التصدير

والاستيراد ويشلّ الاتحاد الجمركي ، مما يستفاد منه ان الاتحاد الجمركي لا يستطيع ان يكون ما لم يتوج بالاتحاد النقدي.

ولنتقدم خطوة اخرى الى الامام . فهل يُقدّر لنا يوماً ان نرى مصرف (بنك) الاتحاد المركزي يرفض تسليف احد اعضاء هـذا الاتحاد بحجة ان ميزانيته يعتريها الخلل ؟ وفي الواقع ان الاتحاد النقدي والجمركي يفرض بدوره اندماج السياسة المالية والاجتماعية... الخ.

ولا يعني انشاء اتحاد جمركي التنازل عن الاستقلال التجاري فقط بل عن الاستقلال النقدي والاستقلال في الميزانية كما انه لا يعني ايضاً التنـازل عن السياسة الاقتصادية برمّتها فحسب ، بل عن الاستقلال السياسي وهذا ما معناه وضع اسس حكومة اتحادية تبتلع حتماً جانباً من صلاحيات سيادة كل دولة لان الاتحاد الجمركي في مظاهره الفنيّة هو منهج الحكومة الاتحادية «فدرالية» وهو عمل سياسي اكثر منه اقتصادياً ، وما القطيعة في الاتحاد الاقتصادي اللبناني السوري الّا برهانٌ على ذلك .

اما هذه القطيعة فلم تكن وليدة المصادفة او عدم الانسجام بين السياستين اللبنانية والسورية النقديتين .

وهل من حاجة الى التذكير بان النقد السوري فقد قوة التبرئة في لبنـان عندما ابت سورية في شهر شباط ١٩٤٨ توقيع الاتفاق النقدي الذي اقترحته فرنسا على البلدين .

ومنذ ذلك الحين كان التلاعب بين قيمـة النقدين وان عدلت سورية بعدئذ موقفها ووقّعت الاتفاق المقترح عقده فلقد ارتفع الفرق — بدلاً من ان يزول — بين النقدين اولًا في مصلحة لبنان فكان لهـذه الثلمة النقدية تأثير سيء على العلائق التجارية بين سورية ولبنان .

ولقد وجهت الحكومة السورية في السابع من شهر اذار ١٩٥٠ مذكرة الى البلد الجار تقترح عليه : الاتحاد الاقتصادي النقدي الكامل او الانفصال، وهذا ما بيّن لنا ان الاتحاد الجمركي لم يكن مرتبطاً بالاتحاد النقدي فقط، بل كان يخفي خاصة تحت الاتحاد الاقتصادي الكامل ووراء الاتحاد النقدي ضمناً ، الاتحاد السياسي نفسه .

ويا لها من حجة عميقة في آنٍ واحد سواء أكان ذلك من حيث الاقتراح السوري ام من حيث الرفض اللبناني .

ولقد كان السوريون يستشعرون ببعد نظر الاتحاد السياسي بعد الاتحاد الاقتصادي .

وعرف اللبنانيون ولم يكن منطقهم اقلّ من غيرهم – وهم الذين لم يكونوا يريدون الاتحاد السياسي – ان يرفضوا الاتحاد الاقتصادي .

وفي مثل هذا المقام هل يعترضون متذرعين بالنجاح المشهور الذي احرزه الاتحاد الجمركي الالماني الخارجي (Zollverein) في القرن التاسع عشر ؟ فالجواب ان الاتحاد الجمركي الالماني الخارجي لم يستطع ان يؤدي الى نتيجة حسنة من جهة ألا بارادة دولة اقوى من الدول الاخرى ارادة مستمرة وهي تحرص بوسائلها على سيطرتها السياسية : الا وهي بروسية، ومن جهة اخرى فان الدول الالمانية كانت منذ سنة ١٨٣٤ قد انتظمت في اتحاد سياسي وكان عليها ان ترتقي الى نظام دولة اتحادية قبل ان تبلغ نظام دولة موحدة عن طريق اعلان الامبراطورية في ١٨ كانون الثاني سنة ١٨٧١ . وبكلمة واحدة، ان الوحدة السياسية لم تتحقق عملياً في المانيا – بعمل بروسية – وانما كانت الوحدة السياسية تسير في طريقها من الوجهة الحقوقية منذ البدء .

والواقع لقد كان الاتحاد الجمركي الالماني الخارجي (Zollverein اتحاداً جمركياً داخلياً واسعاً : ومن هنا كان سبب نجاحه ذلك النجاح الذي لا يقارن اخفاق الاتحاد اللبناني السوري ألا لكون الوحدة السياسية مفقودة في هذا الاخير وموجودة في الاول .

وهل يتذرعون بالاعتراض بالمنظمة الاقتصادية الحالية للتعاون الاوروبي مع منظمة اتحاد المدفوعات التي تحدّدها ؟

من الواجب ان نتبيّن جيداً انه ترتسم بقوة تحت طلائع الاتحاد الاقتصادي هذه الوحدة السياسية : اي المجلس الاوروبي الذي انشئ في ستراسبورغ في ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٩ وهو بدء توحيد سياسي لا مفرّ منه للتوحيد الاقتصادي بعد له اوفر حظّ على غرار حظ الاتحاد الجمركي الالماني الخارجي(Zollverein) الذي سيّر جنباً لجنب الوحدة السياسية الالمانية مع الوحدة الاقتصادية تحت التأثير

البروسي . على حين ان الفارق الوحيد الذي يقرّر اليوم في الامر هو عامل اقل منه على الطريقة البروسية مما هو عامل على مقاومة الاستعمار : اي الاستعمار الروسي.

وبينا كانت المباحثات تدور حول انشاء الاتحاد الاقتصادي في اوروبا فاذا بالاتحاد العسكري يتحقق ببضعة اشهر ضمن النطاق السياسي وهو ادقّ اتحاد : ليطغي على النطاق الاقتصادي على قدر مـا يعمل الغربيون لتوحيد مستوى تسلحهم . فتدفقت طلباتهم على خير المصانع تجهيزًا واقلها اسعارًا ولم يبقَ اي حاجز كان من الآن وصاعدًا يوقف هذه الاسلحة عند الحدود .

ولئن كان من الوهم التخيّل انـه في المستطاع السير الى الامام بواسطة الاتحاد الاقتصادى فقط من دون وحدة سياسية وان الاتحاد الجركي الخارجي اسهل من الاتحاد الجركي الداخلي فليس اقل خطأ الاعتقاد ان الاتحاد الجركي الخاص هو اسهل من الاتحاد الجركي العام . واليك السببين:

الاول — وهو انه على قدر تضاؤل المساحة الموحدة تتضاءل مزايا الاتحاد نفسها،اما الاتحاد في المقياس الاوروبي فجدير تحقيقه، اما الاتحاد الفرنسي الايطالي مثلًا فيظهر مبدئيًا انه بات مسبوقًا لانه لا يفضي الى توازن مع الكتلة الاميركية ولا مع الكتلة الروسية .

وهل اجرأ ان اقول القول نفسه عن اتحاد في مقياس الشرق الادنى وعن اتحاد لبناني سوري فقط ؟ ان الاكتفاء عن الاتحاد الجركي العام الى الاخذ باتحاد جركي خاص ليشبه من بعض الوجوه «اطراح الطفل خارجاً مع ماء الحمام» « اتباع الحبل بالدلو اذا ما انزلت الى البئر ».

الثاني — وهو انه اذا تضاءلت مزايا الاتحاد على هذه الصورة فان الصعوبات لتزداد ، اذ كل اتحاد بين فريقين هو اشد اساءة من اتحاد بين عدة فرقاء. لانه لا يفسح مجالًا لتعويضات يقوم بها فريق ثالث في سبيل إحكام اقتصادين لا يتمم احدهما شكل الاخر كل التتميم فانتاج الخمور الفرنسية لن يلاقي الّا سهولة قليلة لرواجه ضمن نطاق الاتحاد الفرنسي الايطـالي الخاص لان ايطاليا نفسها هي من البلدان المنتجة للخمور . ولكن ليتدخل فريق ثالث في اتحاد هاتين الدولتين الشقيقتين الصعب بعض الصعوبة ولتنضم اليـه المانيا والبلدان الشمالية، فعند ذاك يسهل سهولة كافية رواج الخمور الفرنسية الايطالية.

والاتحاد اللبناني السوري الذي قام رأساً لرأس قد كان كذلك اتحاداً لا يخلو من الصعوبة فلو كان انضم اليه فريق ثالث لجعله محتملاً لان الصعوبات الخاصة تتضعضع في المجموع ولكان اتساعه وسّع حرّية كل فريق من الفريقين اما ما افضى الى القطيعة فليس الاتحاد الكثير بل القليل منه.

وانه لتشخيص مناقض للتشخيص الرائج . فلو لم تكن سرعة انهصار الاتحاد اللبناني السوري الاقتصادي المزدوج غير الاتحاد الجمركي الخارجي فقط والاتحاد الخاص لكفى بها . ولنعرب عن هذا بصورة ما ولنقل انه كان اتحاداً بدون نفس سياسية ومن دون جسم اقتصادي .

٢

لم يكن الاتحاد اللبناني السوري طرازاً ادنى لاتحاد جمركي بين بلادين : اي اتحاد خارجي وخاص لكي يُقدّر له في الغد النجاح الذي يُقدّر لاتحاد جمركي بين بلادين اثنين. وفق طرازه الاعلى كاتحاد داخلي وعام . اما اليوم فثمّة نهج جديد يفرض نفسه فرضاً ، وهو الاتحاد الجمركي بالمنتجات الذي يقوم الى جانب نهج الاتحاد الجمركي التقليدي بين بلادين .

ففي اليوم الثامن عشر من نيسان ١٩٥١ قبلت ست دول اوربيّة رسمياً وهي فرنسا (مع السار) والمانيا وبلجيكا وهولانده ولكسمبورج وايطاليا مشروع شرمان واوجدت سوقاً واحدة للفحم والفولاذ لمدة خمسين سنة عن طريق الغاء الحواجز الجمركية الوطنية اي ايجاد سوق من ١٧٥ مليوناً من البشر تقيم التوازن مع السوق الاميركية .

واوعزت الـ (T. V. A.) بانشاء سلطة دولية عليا للفحم والفولاذ : اي سلطة تنفيذية حقيقية يساعدها لجنة وزراء تؤمن الاتصال بالحكومات الوطنية ولجنة استشارية تؤمن الاتصال بالاوساط الاقتصادية والاجتماعية وهي سلطة حقيقية وحكومة للفحم والفولاذ حقيقية مسؤولة امام مجلس هو برلمان اوروبي حقيقي يحق للدولة او لفريق خاص اللجوء الى طرق المراجعة بشأن مقرراته الى محكمة تحكيم اتحادية . وما ذلك الا قاعدة الانطلاق في سبيل تحقيق اتحاد اوروبي تحقيقاً تدريجياً من الدول الاوربية .

ومن الكافي ان ينشئوا شيئاً فشيئاً سلطات عليا جديدة في غير نطاقي الفحم والفولاذ : سلطات تكون مسؤولة امام المجلس نفسه وتشرف عليها محكمة التحكيم ذاتها وكذلك يصلون مرحلة فمرحلة الى ان ينشئوا في المضمار الاقتصادي حكومة اوروبية حقيقية بوزرائها الاختصاصيين .

وتفادياً عن الاصطدام وجهاً لوجه بالصلاحيات الدولية كما في الاتحاد الجمركي فقد شنُّوا هجماتهم عليها من جنباتها فكانت اوقع بها لان الامر يقوم على الغاء الحقوق الجمركية عن بعض المنتجات فقط مما لا تمس معه السلطة الجمركية عامة ، ومما يضمن لها شدّة رغبتها في السيادة ... وبذلك تظل كل دولة حرّة في تأميم مشروعاتها الفحمية والفولاذية او عدم تأميمها طالما ليس من تأثير لهذه الامور على نقابات المنتجين وجماعاتهم .

ولئن اعملوا معاول التهديم غير المباشر في هذا الحاجز الاول الذي يذكي نار الضغائن العامة بين الدول فانهم ليهدمون الاحقاد الخاصة الفرنسية الالمانية تهديماً مباشراً ويخنقون ذلك التنافس التقليدي الذي اوشكت ان تشرف معه اوروبا على الهلاك وهو في مهده .

أفلا تفتقر فرنسا الى ان تشتري ٥٠ في المئة مما تحتاج اليه من الفحم (كوك) لصناعتها الثقيلة من الخارج والمانيا ٤٥ في المئة مما يعوزها من المعدن الحديدي ؟

اجل انه لتضامن طبيعي بين استقلاليها يحملهما على تناسي عداوتها التقليدية ، فان اوروبا لتجد وحدتها حيال الخطر الروسي فلذلك لم يبقَ الرور وقفاً على خدمة الجهاز الالماني القديم ولكن على الدفاع عن اوروبا الجديدة .

وقاعدة الاقتصاد المتمازج هذه وهذا الاتحاد الجمركي بالمنتجات الذي يقوم حدًّا وسطاً بين طريقة الاتفاق الصناعي الدولي الخاصة وبين طريقة الاتحاد الجمركي بين البلدان العامة سيفضي الى ازالة اسوار الكتل الاقتصادية المصطنعة والاتفاقات الصناعية الدولية وحقوق الدول الجمركية .

وانها لقاعدة ثالثة : وهي قاعدة وسط تقوم كاسفين مغروز بين القاعدتين اللتين على طرفي نقيض السابقتين .

وعلى هذه الصورة اقترح السيد روبيشز (Robichez) مدير لجنة الصوف المركزية في الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٥٠ ايجاد اتحاد للصوف

اوروبي على صورة مشروع شومان للفحم والفولاذ .

وعلى هذه الصورة اقترحت الحكومة الفرنسية نفسها في التاسع والعشرين من اذار سنة ١٩٥١ انشاء اتحاد زراعي اوروبي وقد بدأت طبعاً ببعض المنتجات الرئيسية : كالقمح والسكر والخمر ومنتجات الحليب .

وعلى هذه الصورة نوقش في ستراسبورغ في شهر ايار ١٩٥١ مشروع ايجاد سلطة عليا اوروبية للنقليات .

ويبدو ان الاتحاد الجركي بالمنتجات لن يشمل منتجات ومصالح اخرى في اوروبا وحدها بل سيشمل ايضاً مناطق ثانية غير اوروبا في العالم فهو توسّع في الحقلين الجغرافي والاقتصادي وتوسّع خاصة في الشرق الادنى. والقاعدة الاولى من قواعد الاتحاد الاقتصادي الكبرى، التي نعرفها اي طريقة الاتفاق الصناعي الدولي الخاصة موجودة في الشرق الادنى . وحسبنا ان نذكر في هذا الصدد زيوت البترول . والثانية اي طريقة الاتحاد الجركي بين البلدان العامة ، موجودة فيه ايضاً . وكفى بنا ان نذكر الاتحاد الجركي اللبناني السوري الذي يؤكد انقطاعه اكثر مما ينبي — كما رأينا — بمستقبل اتحاد جركي بين البلدان العربية اوسع مما نصت عليه الجامعة العربية ومنظمة الامم المتحدة او مما نصّ عليه حديثاً المؤتمران المعقودان في بدء سنة ١٩٥١ في مالطة واستانبول .

واننا لنرى بخاصة القاعدة الثالثة اي طريقة الاتحاد الجركي المتازجة بالمنتجات او المصالح تذرّ قرنيها في الشرق الادنى فهي لم تكن غائبة عن مؤتمري مالطة واستانبول وانما أثيرت مع مشروع ايجاد مصلحة قطع مركزية في البلدان العربية ومشروع ايجاد نقابة للحبوب الزراعية والموارد الاولية من جميع البلدان العربية وايجاد خطط (سلطة عليا) تجتهد في تعمير واديي الشرق الادنى الكبيرين .

(١) اعمار وادي النيل الذي يقتضي له اتحاد بين خمسة بلدان هي مصر والسودان الانكليزي المصري وايتوبيا وكينيا والكونغو البلجيكي .

(٢) اعمار منبطحات الوادي السوري الاردني اي هذا الجزء المتدّ على موازاة ساحل المتوسط الشرقي من تركيا حتى العقبة وتقوم اعلى نقاطه بالقرب

من بعلبك واكثرها انخفاضاً عند البحر الميت وتجري فيه انهار ثلاثة : العاصي والليطاني والاردن .

وتقضي الضرورة هنا ايضاً باتحاد عدة دول: سورية ولبنان وشرقي الاردن واسرائيل وبايجاد سلطة دولية عليا .

فللجزء الفلسطيني قد اعدّ الاميركي لودرملك (Lowdermilk) منذ وقت طويل مشروع الـ (J. V. A.) وللجزء اللبناني كانت النقطة الرابعة من مشروع الرئيس ترومان ووجود الفنيين الاميركيين. وان استهلاك القوة اللبنانية سيزداد ثمانية اضعاف فيستطيع اللاجئون العرب ان يجدوا مكاناً لاستيعابهم .

ولقد وضعت مشروعات اخرى للفرات والدجلة بيد ان الاهتمام الذي ضوعف فهو في تقديم الريّ للزراعة والكهرباء للصناعة ، وانها لمشروعات رامية الى توحيد الشرق الادنى توحيداً اقتصادياً على شاكلة مشروعات شومان في أوروبا الرامية الى توحيدها اقتصادياً .

ه

لقد مات الاتحاد الاقتصادي اللبناني السوري ! فليعش الاتحاد ! اتحاد جمركي بين البلدان ولن يكون فقط خارجياً وخاصاً بل داخلياً عاماً تكون له نفس سياسية وجسد اقتصادي، اتحاد جمركي بين البلدان تعززه اواصر اتحاد جمركي بالمنتجات والمصالح ليقفز الشرق على هذه الصورة ويتخذ مركزه في خريطة المساحات الكبرى الاقتصادية في عالم الغد .

اخبار العالم

اخبار دينية

الهند والكنيسة الكاثوليكية : بمناسبة الاحتفال في نيودلهي (الهند) بالذكرى المئوية التاسعة عشرة لمجيء توما الرسول الى بلاد الهند والمئة الرابعة لوفاة القديس فرنسيس كسفاريوس وجه قداسة البابا الى المؤتمر المجتمع هناك خطاباً بالراديو حرّض فيه مسيحيي الهند : اولاً على الثبوت متّحدين متضامنين مهما اختلفت طقوسهم واحوالهم . واكّد لهم ثانياً بان الكنيسة لم تتطلب قط من ابنائها التخلّي عن تقاليد بلادهم وعوائد اجدادهم ثم قال : ان الكنيسة هي للشرق كما هي للغرب وليست مترابطة مع اي تمدّن كان بل انها في محيطها لدى كل الذين يحافظون على شريعة الله . . .

وكان رئيس جمهورية الهند السيد راجودرا ورئيس وزارتها السيد نهرو ممن حضروا احتفالات هذا المؤتمر وقد اكّد كلاهما مراراً عديدة بان الهند مُصمّمة على ضمانة تمام حرية الضمير لجميع سكانها . ومما جاء في كلام السيد نهرو ما يلي : ليتأكد الهنود جميعهم بان المعتقدات الدينية باسرها هي للهند كما هي لغيرها من البلاد ولكل فرد من الامة حق اتباع السبيل الذي يدلّه اليه ضميره بحرية كاملة . فالعقيدة الدينية ولو جاءت الينا من بلد آخر ليست لذلك بضاعة اجنبية لان الحقّ حقّ اينما وُجد .

ومن كلام رئيس الجمهورية : لقد ضمن دستور الهند لاعضاء كل المجتمعات الدينية لا فقط حقّ النموّ لكن ايضاً حرّية مطلقة في ممارسة دياناتهم ونشرها .

ج

حكومة يوغوسلافيا والكنيسة الكاثوليكية : حنق المارشال تيتو من تعيين السيد ستابيناك كردينالاً فقطع العلاقات الرسمية بين حكومته والكرسي الرسولي . وقد استاء العالم الكاثوليكي من هذا الحادث استياء شديداً وارسلت الى روما احتجاجات عديدة تلوم موقف المارشال ومنها احتجاج الممثلين الرسميين لدى دولة الفاتيكان يجاهرون فيه باعتصامهم ويؤكدون مجدداً لقداسته حبهم الخالص . ولاحظت الاوسرفاتوري رومانو انه في كثير من هذه الاحتجاجات عبارات ثناء واعجاب موجهة الى اليوغوسلافيين لثباتهم المتين في معتقدهم الكاثوليكي .

اما حرية الكنيسة الكاثوليكية في يوغوسلافيا فالدستور يُقرّها والواقع ينكرها . يكفي لاثبات ما نقوله ان نلاحظ بان عدد الكاثوليك في جمهورية سلوفانية يبلغ ثماني وتسعين ونصف بالمئة وقد حُرّم فيها تعليم الديانة في المدارس وفي الكنائس وقد اعتُقل في سجونها

مثلا كاهن حُكم عليهم بالاشغال الشاقة وفي السجن ايضاً مذ اربع سنوات احد مطارنتها والثاني لا يزال موضوع اضطهاد عنيف .

٥

المجمع المقدس : التأم هذا المجمع في ١٢ كانون الثاني بحضور اثنين وعشرين من الكرادلة فابتدأ الحبر الاعظم الجلسة بخطبة وجيزة فيها اعلن بنوع رسمي اسماء الكرادلة الجدد والمح الى انه رأى ان لا يزيد على عدد الكرادلة وقد حدّده سلفه البابا سكستوس الخامس سنة ١٥٨٩ واثبته الحق القانوني بسبعين كردينالاً مع انه كان يرغب ان يعيّن ايضاً غير الذين عيّنهم لاستحقاقهم لهذه الرتبة السامية . ثم قال : اننا في اختيارنا الكرادلة الجدد عُنينا بجعل مجمعكم المقدس على قدر ما يمكن صورة حيّة للكنيسة جمعاء فانه مجلس اعيانها . ثم ذكر السيد ستيناك كردينال يوغوسلافيا والسيد فيشينسكي كردينال بولونيا واظهر اسفه لتغيّبها الذي اضطرهما اليه الظروف الحاضرة .

٥

جديد في تشريع الصوم الاوخارستي : للتوفيق بين الظروف الحاليّة الصعبة وشريعة الصوم الاوخارستي ولتوحيد الامتيازات الخصوصية الممنوحة لمختلف الابرشيات رأى الاب الاقدس بحكمته وعطفه على النفوس المثقلة باعباء المعيشة ان يسهل هذه الشريعة بحيث يتمكن جميع المؤمنين دون عناء مفرط الاستفادة من سرّ الاوخارستيا المقدس بحضور الذبيحة الإلهية والاشتراك فيها بالتناول فاصدر بسلطته الرسولية في ١٠ كانون الثاني قانوناً جديداً فيه حدّد مقتضيات الصوم الاوخارستي حسب الظروف الطارئة وحالات الاشخاص المختلفة . انه من الواجب ان نلاحظ بان هذا القانون لا يلغي قط واجب الصوم الاوخارستي كما قد يتصور البعض ذلك لكنه يثبّته مبدئياً ويطبّقه عملياً حسب ما تطلبه الظروف القائمة .

٥

مصر : الزعيم نجيب والمسيحيون : يظهر الزعيم نجيب للمسيحيين في مصر من العطف والتقدير ما لم يتلقوه قط من الحكومات السابقة . فبمناسبة عيد الميلاد القى بالراديو خطاباً بخمس لغات مختلفة وجهه الى مسيحيّي مصر والعالم فيه ذكر مجيء العذراء مع ابنها الإلهي الى ارض النيل . وهذه بادرة لم تسبقه اليها قط حكومة مصرية قبله وقد اثرت في نفوس العالم المسيحي عموماً ومسيحيّي مصر خصوصاً .

ثم بأمر منه اذاع الراديو الحكومي قداس نصف الليل عن كاتدرائية القديس يوسف في القاهرة . وبفرصة اليوم الاول من السنة المسيحية ارسل بطاقات تهانٍ لاعضاء التمثيل الدبلوماسي في القاهرة ولرؤساء الطوائف المسيحية على اختلافها وللصحفيين الاجانب وعلى هذه البطاقات رسم جامع يعلوه الهلال تلاصقه كنيسة يعلوها الصليب وقد كُتب على البطاقة هذا الشعار : الدين لله والوطن للجميع . ثم في ٦ كانون الثاني عيد الميلاد لدى الاقباط حضر قداس منتصف الليل تلبية لدعوة من رئيس الطائفة الروحي .

هذه المجاملات من قبل رئيس الحكومة المصرية وغيرها من نوعها: قد اعادت الى نفوس المسيحيين في مصر الثقة والسلام والمسرة .

٥

اخبار عالمية

الولايات المتحدة : في يوم الاثنين السادس من كانون الثاني في قاعة المجلس النيابي الاميركي جرى الاحتفال التقليدي حيث اعلن الاعيان والنواب مجتمعين انتخاب الجنرال ايزنهاور الرئيس الثالث والثلاثين لجمهورية الولايات المتحدة. لهذه النهاية كانت قد أرسلت الى وشنطون اوراق المنتخبين ممثلي ولايات الشمال والجنوب الثاني والاربعين في صندوقة خشبية مرصّعة بالذهب مختومة . قُدمت هذه الصندوقة بنوع رسمي الى وكيل رئاسة المجلس وعهد هو بها الى عضوين من الاعيان وعضوين من النواب للقيام معاً باحصاء الاصوات تثبيتاً للنتائج المعروفة سابقاً ، وقد فاز الجنرال ايزنهاور والسيد ريشارد نكسون بأربعمئة واثنين واربعين صوتاً ولم يحصل مزاحماها السيدان ادلاي ستفنسون وجون سباركمن الا على تسعة وثمانين صوتاً . اما اداء القسم الرسمي فجرى في ٢٠ كانون الثاني يوم الثلاثاء .

٥

مصر : في ١٦ كانون الثاني توصل الزعيم نجيب قائد ثورة ٢٧ تموز١٩٥٢ورئيس حكومة مصر منذ ٧ ايلول الى قمع محاولة انقلاب كاد يذهب به وبحكومته فاوقف خمسة وعشرين ضابطاً احدهم الكولونل مهنى كان قد نحاه في ٧ ايلول من مجلس الوصاية ثم في ١٤ تشرين الاول من الوزارة . وفي الاعلان الذي نشره بعد التغلب على اخصامه تكلم عن الاحزاب المنحلة وعن عجزها في خدمة البلاد للوصول بها الى اهدافها السامية وحمل على من دبّر الفتنة من الجيش وخيانتهم للوطن باتصالهم بحكومات اجنبية . وقرّر انه لا بد من بقائه في الحكم ثلاث سنوات للقيام بمواعيده والاصلاحات الضرورية .

ثم يوم الجمعة الواقع في ٢٣ كانون الثاني احتفلت القاهرة بمرور ستة اشهر على الانقلاب الوطني فاعلن الزعيم نجيب في خطابه تأسيس « الاتحاد التحريري » غايته : تحرير السودان تاماً وتأمين حريته المطلقة باختيار الحكم الذي يرضاه لنفسه والتمتع بكامل الاستقلال . ثم اعلاء شأن الوطن وجعله دولة قوية متحصنة بايمانها بالله وبنفسها . واخيراً تأمين الاخوة ومساواة الحقوق لكل المصريين دون تمييز ولا تفريق .

٥

السودان : في ١٣ شباط وُقّع الاتفاق بين الحكومتين المصرية والبريطانية في حلّ للمشكلة السودانية وهو يقضي بقيام حكومة انتقالية لثلاث سنوات تتم باعداد انتخاب مجلس تأسيسي اليه وحده يرجع الحق بتثبيت استقلال السودان واختيار ما يريده من الحكم بحريته التامة .

لا ننسَ بان اهمّ مشاكل السودان هو انقسام السودانيين الى قسمين متباينين : البيض وهم اغلبية سكان الشمال وسود الجنوب . والاولون يدينون بالاسلام اما السود فهم عموماً وثنيون .

وكان الجنوب قد احتج بشدة على الاتفاق الذي ابرمه ممثلو الشمال مع مصر دون مشاورته .

فاذا استقلت بلاد السودان لا بد لها من لغة رسمية وهل تكون الا اللغة العربية . عندئذ يُبعد السود عن وظائف الحكومة لانهم لا يتكلمون الا لغتهم الخصوصية كذلك اذا اتخذت حكومة السودان المستقلة الديانة الاسلامية كديانتها الرسمية يُعتبر السود في بلادهم وطنيين من الدرجة الثانية : فهل يتوصل المجلس التأسيسي الآتي ان يجد لهذه المشاكل حلًا يرضي على السواء سكان الشمال والجنوب .

ى

بيروت : كارثة الشامبوليون : كان من اجمل المراكب التي تملكها المساجري الفرنسيه خرج جديدًا الى العمل سنة ١٩٢٥ وفي سنة ١٩٥١ اهتمت الشركة باصلاحه وتجميله وخصصته بالسفر من مرسيليا الى بيروت وكان يقوم به مرتين في الشهر . يبلغ طوله ١٦٨ مترًا وعرضه ١٩ مترًا وحمولته ١٣ الف طن .

في ليلة الاحد ٢١ كانون الثاني والسماء عاصفة والبحر في هياج عظيم وصل ازاء بيروت وهو يقاوم الرياح ويمخر الامواج وفي اتجاهه نحو المرفأ ضلّ طريقه وصار يتوغل في الرمال الى ان اقترب الى شاطئ الاوزاعي وهو لا يدري وهناك اضطر الى الوقوف وقد جنح الى جانبه واخذ ينشطر الى جزئين وكان ذلك نحو الساعة الثالثة والنصف . فارسل نداء الاستغاثة الى المدينة والمسؤولون في بيروت هبّوا الى مساعدته وانذروا البحرية الانكليزية للاسراع الى معاضدتهم لانقاذ مسافري المركب وبحارته . وكان عدد الركاب ١٠٨ منهم ٦٦ سائحًا اتوا لزيارة الاماكن المقدسة ومجموع من في المركب بحارة وركابًا ٢٥٠ .

لكن الامواج الهائجة حالت دون تقرّب المراكب الكبرى الى الشامبوليون رغمًا عن قربه من الشاطئ فانه كان على مسافة اربعمئة متر فقط . مرّ يوم الاحد ويوم الاثنين ولم يقدر مركب من الوصول الى الغريق للانقاذ . وكان الشاطئ يغصّ بالبيروتيين للاغاثة والخدمة من حكومة المدينة وجيشها واطفائيتها واطبائها وادارة مستشفياتها مع كل المعدات الضرورية للاسعاف والنقل .

ولكانت كارثة هائلة لولا بطولة بحارة المرفأ وتفاديهم بأرواحهم نخص بالذكر منهم رضوان البلطجي ربان مرفأ بيروت فانهم استغاثوا بزوارقهم مما لم تقدر عليه المراكب الكبيرة . عند الساعة الثالثة عشرة من يوم الثلاثاء – وقد بلغ يأس الحاضرين والركاب اقصاه – نزل رضوان بزورقه الى البحر متجهًا الى الشامبوليون وامامه الامواج ثائرة قائمة مهددة ترتفع به وتهوي بشدة ارتجفت لها فرائص الناس فزعًا . ظلّ ربان الزورق متمسكًا بالسكان بحزم لا يُغلب واقتحم الامواج بعاندها بمهارة فائقة وتجلد عجيب الى ان وصل واخذ ينقل الركاب خمسين خمسين الى الشاطئ وجاراه في عمله هذا زوارق اخر وعند الساعة السابعة عشرة الا ربع كان كل الركاب قد تركوا الشامبوليون . والنتيجة هي انه لم يفقد من الركاب (مسافرين وبحارة) الا ستة وعشرون فقط ممن ارتموا يأسًا الى البحر للنجاة قبل البدء بالانقاذ .

مطبوعات شرقية

عبقرية المسيح

تأليف عباس محمود العقاد

٢٣٢ ص، ١٤×١٩½ سم؛ نشر «دار أخبار اليوم»، القاهرة، مصر؛ ١٩٥٣ .

بعد سنوات يقضيها في التنقيب والبحث في دراسات طويلة ومضنية، يكتب العالِم في التاريخ كتاب علم وتاريخ عن «يسوع الناصري». وبعد سنوات من الصلاة والتأمل، يكتب المؤمن ابن الكنيسة – كنيسة المسيح، الكنيسة الواحدة والوحيدة والموحدة للبشر – كتاب إيمان وتقوى عن «يسوع المسيح» «ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور ... إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء. وتجسد ... وصُلب عنا ... تألم، وقبر، وقام في اليوم الثالث ... وصعد إلى السماء... وأيضاً يأتي بمجدٍ عظيم ليدين الأحياء والأموات، الذي لا فناء لملكه»، الحي بيننا في كنيسته «واحدة، جامعة، مقدسة، رسولية»، كنيسته المبنية على صخرة هامة الرسل وخلفائه.

أما هذا الكتاب – كتاب «عبقرية المسيح» للسيد عباس محمود العقاد – فلا هو كتاب ايمان وتقوى ولا هو كتاب علم وتاريخ. بل يبتسم القارئ المثقف – ولا نقول إنه يحزن أو يشمئز – عندما يقرأ العنوان وفيه ما فيه من التناقض البيّن: فالمؤمن «بالمسيح»، أي بالوهية يسوع، لا يقبل له صفة عبقرية بشرية نسبية لا تليق بالله. ويبتسم القارئ المثقف – ولا نقول إنه يحزن أو يشمئز – عندما يقرأ «مثلاً» في كتاب مكتوب باللغة العربية، عن «جيمس أسقف أورشليم» (ص ٨٢): فكل من درس أو قرأ الأناجيل في ترجمتها العربية يعلم أن لتلميذ يسوع المذكور اسماً شائعاً في العربية، وهو «يعقوب» ... وقس على ذلك ... ويظهر أن المؤلف اكتفى بقراءة بعض كتب باللغة الانكليزية،

لبعض الكتّاب من العقليّين الغربيّين ، وأخذ بعض أفكار منها ، دون معرفة قيمتها العلميّة التاريخيّة الحقيقيّة ، ودون معرفة ترجمة بعض الالفاظ والاسماء التي وردت فيها . . .

وننتهز هذه المناسبة لنذكّر القارئ ببعض كتب قيّمة عن يسوع . والمعروف أنّ عدد التآليف في هذا الموضوع ، عمليًّا ، لا يحصى . فمنذ عشرين قرنًا والأمم والأجيال المختلفة تتحدث وتكتب عن هذا « الهدف للخليقة » (إنجيل القدّيس لوقا ، ٢ ، ٣٤) الذي جاء وحلّ فينا ، فكان ظهوره الفاصل النهائيّ في تاريخنا الإنسانيّ ، فاضطرّ البشر — بما فيهم غير أبناء كنيسة المسيح الوحيدة — أن يؤرّخوا حوادث التاريخ نسبةً إلى هذا الظهور . . . فبين الكتب التقويّة إذًا ، نذكر أوّلًا كتاب « الاقتداء بالمسيح » ، وقد يكون أهمّ كتاب إيمان وتقوى في الموضوع ، وقد ظهر باللاتينيّة في القرن الخامس عشر (والأرجح أن مؤلّفه الالمانيّ توماس دي كامبيس) ، وقد ترجم إلى معظم اللغات المعروفة ، ومنها العربيّة (نشر المطبعة الكاثوليكيّة ، بيروت) . وهذه بعض كتب تقويّة أخرى ذات قيمة ظهرت في القرن العشرين :

١ — : (فرنسيّ) Daniel - Rops
Jésus en son temps;

٢ — : (إنكليزيّ) Goodier (A.) .S.I.
Our Lord Jesus Christ;

٣ — : (ألمانيّ) Guardini (R.)
Der Herr;

٤ — : (فرنسيّ) Lebreton, (J.) S. I.
La vie et l'enseignement de Jésus - Christ Notre Seigneur;

٥ — : (أميركيّ) Maas (A.), S. I.
The Life of Christ;

٦ — : (فرنسيّ) Mauriac (F.)
Vie de Jésus;

٧ — : (إيطاليّ) Papini (G.)
Storia di Cristo;

٨ — : (إيطاليّ) Ricciotti (G.)
Vita di Gesù Cristo.

وقد ظهر باللغة العربيّة في السنوات الأخيرة كتابان عن الربّ يسوع المسيح ، أحدهما للأب فرنسيس قندلا اليسوعيّ (نشر المطبعة الكاثوليكيّة ، بيروت) ، والآخر للآباء البولسيّين (نشر مطبعة القدّيس بولس ، حريصا ، لبنان) . أمّا الكتب العالميّة عن يسوع ، فكثيرة باللغات الأوروبيّة . وهنا يأتي إلى ذهننا تآليف الأب لاكرنج — Lagrange — الدومينيكانيّ ، والأب ليونس دي كرامِيزون — Léonce de Grandmaison — اليسوعيّ ، والأب برا — Prat — اليسوعيّ ، الخ . . . ، ولا علم لنا بوجود كتب علميّة صدرت باللغة العربيّة في نفس المستوى .

جبرائيل مالك

NEMER ŞABBĀḤ. — *L'évolution culturelle au Liban et la nouvelle orientation de l'école libanaise* : préface de M. Édouard Herriot, de l'Académie Française ; couronné par l'Académie Rhodanienne des Lettres (Prix Charles Corm). 253 p. 14×19 cm. Imprimerie Janody, 23, Cours Docteur - Long, Lyon (France) — 1950.

التطوّر الثقافيّ في لبنان

والتوجيه الجديد للمدرسة اللبنانيّة

تأليف نمر صبّاح

مؤلّف هذا الكتاب شاب لبنانيّ يطلب العلم في فرنسا ، وكان قد بدأ حياته معلّماً في المدارس الابتدائيّة في لبنان ، فوضع في كتابه خلاصة اختباراته المهنيّة .

والكتاب ليس باطروحة جامعيّة ، وليس فيه المجهود العلميّ الدقيق ليكون أطروحةً تقليديّة جامعة محترمة . وقد يكون وصف المدرسة الطائفيّة التقليديّة فيه (والوصف ينطبق خصوصاً على «الكتّاب» في البيئة الشيعيّة في جبل عامل) أحسن ما جاء في الكتاب (ص ٣٣ — ٧٣) .

وكثيرًا ما يتطرّق المؤلّف إلى الحديث في الفلسفة والدين ، وكان عليه تجنّب مثل هذه المواضيع الصعبة ، لعدم إلمامه الإلمام الكافي بها . فيتكلّم مثلاً في ص ١٦٥ عن « الأنبياء والرسل » ورسالتهم « الإنسانيّة » ، وذلك بدون تمييز كافٍ ، وقد فاته أساس الدين عينه . ويذكر كانْت (Kant) ، ووليم

جيمس (William James) ، ودوركيم (Durkheim) ، وغيرهم من المفكرين ، والواضح من تعليقاته أنّ دراسته الفلسفيّة ناقصة .

ويتكلّم المؤلف عن « الأمّة العربيّة » ، فيأتي كلامه (ص ١٥٥–١٥٧) غامضاً كلّ الغموض ، خالطاً فيه الدين والقوميّة والطائفيّة ...

وفي حديثه عن المعاهد الكاثوليكيّة أخطاء كان بامكانه تجنبها : فكان عليه أن يعرف أن كلمة « كاثوليك » تشمل كلّ أبناء الكنيسة — الكنيسة الكاثوليكيّة — من الطقوس المارونيّ ، واليونانيّ ، والأرمنيّ ، والسريانيّ ، والكلدانيّ ، واللاتينيّ ، وأنّ المارونيّة ليست بدين ، ولكنها طقس من طقوس الكنيسة (راجع ص ١٥٣) . أمّا الارساليات الكاثوليكيّة ، فلا تنتمي إلى دولة ما ، بل إلى الكرسيّ الرسوليّ وحده — فلا يجوز أن تسمّى ارساليات أجنبيّة . فالجامعة الكاثوليكيّة في بيروت — المعروفة باسم شفيعها القدّيس يوسف — والمعاهد العديدة الأخرى في لبنان التابعة للرهبانيّات المختلفة من رجاليّة ونسائيّة تقوم في بلادنا بعمل رسوليّ ، تربويّ ، ثقافيّ ، تعليميّ ، ولا مبرّر آخر لوجودها . أمّا المعاهد الاجنبيّة ، من فرنسيّة ، وأميركيّة ، وبريطانيّة ، الخ ، فهي تختلف كلّ الاختلاف عن المعاهد الكاثوليكيّة في روحها ، وهي تسمّي نفسها عادةً باسم أجنبيّ (الجامعة الاميركيّة ، المدرسة العلمانية الفرنسيّة ، مدرسة الآداب العليا الفرنسيّة ، المدرسة البريطانيّة ، الخ .) يدلّ الدلالة الكافية عليها .

وعلى ذكر المعاهد الكاثوليكيّة ، لا يسعنا إلّا لوم المؤلّف لعدم اعطائه مدارس رهبانيّة القلبَين الأقدسَين المركز اللائق بها ، وعددها أكثر من ٥٠ في لبنان وفيها يتربّى ويتعلّم حوالي ٩٠٠٠ فتاة : فهي بدون شكّ أهمّ مؤسسة تربويّة — تعليميّة نسائيّة عندنا .

وفي ص ١٩٧ ، يتحدّث المؤلّف عن المدارس « الارثوذكسيّة » : فيضع تحت هذا الاسم الواحد المدارس التابعة لثلاثة أديان مختلفة ، الكنيسة اليونانيّة الغير الكاثوليكيّة (كنيسة الروم الارثوذكس) ، الكنيسة الأرمنيّة الغير الكاثوليكيّة (كنيسة الأرمن الغريغوريّين) ، الكنيسة السريانيّة الغير الكاثوليكيّة (كنيسة السريان اليعاقبة) . ومن الواضح أنه كان عليه التمييز بينها .

وخلاصة القول إننا نتمنّى للمؤلف دراسة أوفى عن التعليم في لبنان — وأملنا أن يقوم بها بعد إنهاء دراسته الجامعية . جبرائيل مالك

Gabriel Puaux, Ambassadeur de France, Membre de l'Institut. — *Deux années au Levant.* Souvenirs de Syrie et du Liban 1939-1940. Édition Librairie Hachette, Paris; 1952; 248 p. 14×22½ cm.

سنتان في المشرق

ذكريات عن سوريا ولبنان ١٩٣٩ — ١٩٤٠

تأليف گبريال پيو

تعيّن مؤلف هذا الكتاب مفوّضاً سامياً للجمهورية الفرنسية في لبنان وسوريا في ١٩٣٨/١٠/٢٢ ، ووصل إلى مطار بيروت في ١٩٣٩/١/٧ ؛ وأقيل من وظيفته في ١٩٤٠/١٠/٢٤ ، بأمر من حكومة « الدولة الفرنسية » التي كان يرئسها المارشال پيتان في ڤيشي . فيكون قد قضى بيننا زهاء سنتين . فرأينا أن نلقي النظر على مذكّراته عن هذه الفترة من الزمن ، وقد ظهرت مؤخّراً .

وأول ما يلفت النظر في الكتاب اتّساع ثقافة المؤلف . ولا غرابة في ذلك عند فرنسيّ سليل عائلة مؤرّخين متخرّج من المعاهد الثقافية الكبرى في بلاده درس التاريخ على يد المؤرّخ سينيوبوس (Seignobos) ، ولمّا ينس ما درسه : فتراه يتذكّر ما تعلّمه وهو شابّ ، فيقارن بين الماضي الذي عرفه بالكتب والحاضر الذي يحياه .

والمؤلف نشأ وترعرع في أحضان الدين الكاثوليكي ، وهو من شخصيّاته المعروفة في فرنسا الآن . وعنده شيء من الروح والاخلاق الصارمة المتقشّفة التي تميّز بها كلفان وأتباعه .

٥

ويتحدّث الكتاب طبعاً عن لبنان وسوريا .

أما القسم الخاصّ بسوريا — « سوريا التي كنّا صنعنا والمؤلّفة من وحدات إثنيّة ودينيّة غير متجانسة » (ص ٢٤) — فيشمل الفصول الثالث والثامن والتاسع ونصف الفصل الرابع . فيبحث الفصل الثالث في علاقات المفوّض الساميّ وزعماء الكتلة الوطنيّة في سوريا وعنوانه كافٍ للدلالة على مضمونه : « هجوم الكتلة

وانكسارها ». وفي هذا الفصل يعترف المفوّض السامي السابق بتراجعه امام ضغط الرأي العامّ السنّيّ والنائه تطبيق القرارين الخاصين بالأحوال الشخصيَّة على المسلمين — وكان هذان القراران الصادران في عهد سلفه السيّد دي مارتيل يعترفان ضمناً بمساواة كلّ الأديان أمام القانون وبقانونيَّة تغيير الدين والزواج بين طرفين من دينين مختلفين . وفي نفس الفصل يحدّثنا عن اقتراحه انشاء نظام ملكيّ في سوريّا ،صيانةً لحقوق الاقليّات العلويّة والدرزيّة ، وكان قد تباحث في الأمر مع وزير خارجيّة الملك عبد العزيز بن السعود عارضاً « العرش السوريّ » على أحد أبناء عاهل الجزيرة . ولكن حكومة الجمهوريّة الفرنسيّة —وعلى رأسها السيّد دلادييه— أصغت إلى المشروع بشيء من العبث (جمهوريَّة تخلق عرشاً ...) ولم تنفّذه . ويشرح القسم الأوّل من الفصل الرابع مراحل قضيّة سنجق الاسكندرونه وضمّه إلى تركيا وهجرة الأرمن القاطنين فيه إلى لبنان . ويصف الفصل الثامن حالة الهدوء في سوريّا إثناء الحرب (١٩٣٩ — ١٩٤٠) والفصل التاسع مشاكل الاقليّات من علويّين ودروز وعلاقتها بحكومة دمشق السنيّة .

في القسم الخاصّ بلبنان ، يبحث المفوّض الساميّ في المشاكل التي واجهها اثناء إقامته بيننا . وكان حينذاك الرئيس إميل إدّه على رأس الدولة ، والمؤلّف يعترف بقوّة شخصيّته وذكائه وحنكته وروحه الجامحة . وعند بدء الحرب سنة ١٩٣٩ ، أوقف المفوّض الساميّ الدستور وعيّن ، إلى جانب الرئيس ، عبدالله بيهم أمين سرّ الدولة . وهو يرى السبب الحقيقي لوجود(vraie raison d'être) لبنان في كونه أضحى آخر أرض في الشرقين الأدنى والأوسط يلجأ اليها المسيحيّون عند اضطهادهم . وكان قد فكّر بخلق إمارة في لبنان وإعطائها لأمير بروتستانتيّ ، من سلالة برنادوت الفرنسيّة — الاسوجيّة مثلاً ، وحلمه لم يتحقّق طبعاً ...

ويخصّص المؤلّف فصلاً كاملاً (الفصل السادس) يراجع فيه تاريخنا القديم وعمل علماء الآثار في بعثه : صيدا ، جبيل ، بعلبك ، الهرمل ...

أمّا الفصل السابع فخاصّ بالأديان والطوائف . فيتحدّث المؤلّف عن الكنيسة — الكنيسة الكاثوليكيّة — وعن طوائفها في لبنان من الطقوس المارونيّ واليونانيّ والأرمنيّ والسريانيّ والكلدانيّ واللاتينيّ . ويخصّ بالذكر المعاهد الكاثوليكيّة ، لا سيّما اليسوعيّة ، وقد ترك فيه بعض الآباء اليسوعيّين

أثرًا عميقًا : فلم ينس ما قاله له الأب رئيس الجامعة الكاثوليكيّة إذ ذاك عن جامعته وتعلّقها فوق وقبل كلّ شيء برسالتها الروحيّة . أمّا طائفة الروم الأرثوذكس وحياة وجوهها ، فذكّرته بجوّ بيزنطيّ كان قد تعرّف إليه سابقاً في أوروبا الشرقيّة ، وقد اضطرّ إلى التدخّل في شؤونها الداخليّة حسماً لانشقاق حدث فيها . ومن الطبيعيّ أن يتحدّث السيّد بيو الكلثانيّ عن أتباع الشيع البروتستانتيّة ، وقد حضر خدمة دينيّة في أحد معابدهم في بيروت واستغرب كلام الواعـظ وكان يدور حول تطبيق العدل في سبيل صيانة مصالح مادّية بحتة ... ويلمّح إلى الضعف العقائديّ في هذه الشيع ، وإلى علاقتها بالشيعة الماسونيّة (ص ١٠٥) . وبمناسبة حديثه عنها ، يذكر الجامعة الاميركيّة ، البريسبيتاريانيّة أصلاً ، ويثني على رئيسها (ويظهر أنّه خلط بين اسمه واسم سلفه) . ومع الأسف لم يذكر المؤلّف في هذا الفصل الطائفة الدرزيّة ، فيما ذكر الطائفة الشيعيّة المنتشرة خصوصاً في لبنان (لا في سوريا كما يقول) ، ولمّح إلى الروح الايرانيّة الثائرة على الروح العربيّة في أصل نشأتها . أمّا الطائفة السنيّة ، فقد أثّرت فيه شخصيّة رئيسها الدينيّ إذ ذاك . وفي نفس الفصل بعض ملاحظات قيّمة على العلمانيّة (laïcisme) ، « الدين الرسميّ للجمهوريّة الفرنسيّة الثالثة » كما يقول ، ورسليها ومعاهدها في الشرق ، وعلاقتها بالماسونيّة المحلّيّة .

وفي الفصل العاشر يتحدّث المؤلّف عن لبنان وشبكة طرقاته الحسنة ، وعن مركزه كمحطّة اصطياف واشتاء للشرقين الأدنى والأوسط . وفي هذا الفصل حديث عن الطائفة الدرزيّة وزيارته إلى المختاره وبعقلين . وفيه أيضاً وصف لحالة الأرمن اللاجئين إلى لبنان سنة ١٩٣٩ ، بعد ضمّ منطقة الاسكندرونة إلى تركيا ، واسكانهم في عنجر (قضاء زحله) وبالقرب من صور .

أمّا فصول الكتاب الأخرى ، فأهميّتها ضئيلة نسبيّاً .

وفي الختام ، يبدي المؤلّف أسفه على اعتقال الرئيس بشاره خليل الخوري سنة ١٩٤٣ ، ويدعو إلى الاتزان وحسن النيّة والعدل واحترام العهود والتسامح المتبادل ...

٥

لا داعيَ لتكرار ما سبق ولمحنا إليه من ثقافة واسعة ومن اخلاص

للواجب عند المفوّض السامي السابق . ولا نتوقّف في أخطاء الكتاب في نقل بعض أسماء أشخاص وأماكن – وقد ذكرنا اثنين منها – أو في بعض أخطاء تاريخيّة ، كان بالإمكان تجنبها كلّيا . بيد أنّ الكتاب يوحي إلينا بملحوظتين أساسيّتين عن روحه :

١) يتحدث المؤلف – وهو الأوروبيّ المثقّف المعتزّ بثقافة أوروبا ومدنيّتها – عن « حمل الإنسان الأبيض » ورسالته بين الشعوب الغير الأوروبيّة (راجع على الأخصّ ص ١٨٠) ، وكثيرًا ما يتمنّى زوال تنافس النفوذ بين بريطانيا وفرنسا في الشرق ليقوما « بواجبهما » المشترك نحوه وفي هذه الروح التعطفيّة – « الوالديّة » (paternaliste) – نزعة ادّعاء واحتقار لكلّ ما هو غير أوروبي لا مبرّر لها تنفر أبناء الأمم والثقافات والمدنيّات الغير الاوروبيّة : فالمدنيّة الاوروبيّة ليست المطلق ، وغيرها من المدنيّات ، النسبيّة مثلها ، لا تحتاج إلى التنكّر لنفسها في سبيل نسخها ، و « الإنسان الأبيض » ليس بوكيل الله على غيره من شعوب الأرض التي قد تُفضّل مدنيّةً أخرى ... وفي الاعتراف في نسبيّة مدنيّةٍ ما ، مهما كانت عظيمة ، وفي احترام الغنى الحقيقيّ في المدنيّات الاخرى ، المختلفة عن مدنيّتنا ، الشرط الأساسيّ للتفاهم بين الأمم والشعوب على الصعيد البشريّ .

٢) في ص ١١٥ ، يتهكّم المؤلّف بأبناء الكنيسة الذين يأملون ، بصلواتهم وإماتاتهم وعملهم الرسوليّ ، هداية شعب فقير ومتأخر موجود خارج الكنيسة . أمّا الكنيسة – وفيها وحدها المطلق ، وكلّ انسان انما خُلِق لكي يعرفه ويحبّه ويخدمه – فلا تبالي بمثل هذا التهكّم ، وهي التي هدت وتهدي إلى الحقّ منذ نحو ألفين سنة الشعوب ، كبيرها وصغيرها ، غنيّها وفقيرها ، متعلّمها وجاهلها ، ولا تقبل أبدًا أن يكون محكومًا على شعب ما – مهما كانت حالته من البؤس المادّي أو الثقافيّ أو الروحيّ – أن يظلّ إلى الأبد خارج نورها ، نور المسيح ، النور الوحيد الذي جاء ليخلّص كلّ البشر . وهي لا تقول إنّ العمل سهل ، ولا إنّه ممكن بشريًّا ، ولكنّها تعتمد فيه على من هو أنجع من كلّ الوسائل البشريّة ، على الربّ الإله الذي علّمها أنّ « مَا لَا يُسْتَطَاعُ عِنْدَ ٱلنَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ ٱللهِ » (إنجيل القدّيس لوقا ١٨ ، ٢٧) .

جبرائيل مالك

مقالات نقدية على ادبنا العصري

بقلم الاب رفائيل نخله اليسوعي

مطبعة الاحسان – حلب ١٩٥٢ – ٢١٤ ص – قطع متوسط

لئن دللت الجرأة التي جاء بالبرهان عليها المؤلف في نقده شعراء عديدين اطّلع على مآثرهم فانها لتدلل على تضلّعه من تلك الكتب التي قرأها وعلى رغبته الحقيقية في ازدهار الشعر الذي تحرَّر من اغلال الماضي وقيوده .

ولقد تصدّى المؤلف فضلاً عن النقد الى استعراض عدد كبير من شعرائنا في المهجر والوطن ولفظ حكمه لا على المبنى الشعري الذي يتضمّن فكرة ما بل على الفكرة نفسها مستنداً في ذلك الى وجهة نظر سميا اي انه استند الى المبادئ الاخلاقية الروحية التي ينبغي لها ان تكون الحكم القاطع في اتّزان الالهام الشعري .

وزد على هذا النقد فقد اتحفنا المؤلف بدراسة عميقة جدّ العمق في النقد الادبي عامة وفي الادب .

ونحن لا نستطيع الّا ان نشكره على دقته التي عالج بها موضوعاته وعلى السبل التي مهّدها في وجه الذين يرغبون في الاطلاع على هـذه الصفحات التي تطفح بالتعاليم .

وعلى كل لا بدّ لنا من الثناء على المؤلف لانه قد جمع في كتابه مقالات شيّقة نشرت في اعداد جريدة البشير في سبيل تعميم الفائدة .

يُطلب الكتاب بعنوان مؤلّفه (دير اليسوعيين – حلب) . ثمن النسخة ١٧٥ غرشاً وهو يحتوي البريد المكفول .   ا. ع. خليفه

١ – سر الزخرفة الاسلامية

مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٢ . مع نصّين عربي وافرنسي و١٦ لوحة وفهرس لاصطلاحات الفلسفة والفن – قطع وسط – ٢٥ × ١٦٫٣ سم

٢ – مفرق الطريق

قطع كبير – ٢٨٫٦ × ١٩٫٥ سم

بقلم بشر فارس

اجل لا نستطيع الّا ان نثني على كتابي الاستاذ بشر فارس : وهل ذلك

لمقدرته الايمانية ام لغزارة روايته المسرحية ام لصحة دراسته الدقيقة للفن الاسلامي ؟ او لكتابته الجذابة باللغتين العربية والفرنسية التي تدلّ على انه قابض على ناصيتيهما ؟ او لما يدركه من معنى سامٍ عن القيمة الباطنية والواعية التي تمنح الزمان والحياة معناهما ؟

ان جميع هذه الامور لتحدونا الى ان نرغب الى المؤلف بان يواصل نشر كنوز هذه المعارف الواسعة التي استطاع جمعها في سبيل استزادتنا من الاطلاع على مواطن لا تزال غامضة في الفن الاسلامي والمسرح وفي اللغة العربية .

ولقد انبغى بالطبع ان يكون اخراج الكتاب انيقاً لاشتماله على مثل هذه الثروات بيد اننا كنّا نودّ فقط ان يتحفنا بمقتطفات اوسع من المؤلفين الذين جاء على ذكرهم لنكون على معرفة اوفى بما اورده المؤلف .

ا. ع. خليفه

آل آصاف ووقفهم مار عبدا هرهريا

بقلم آصاف نقولا آصاف

مطبعة الزمان بيروت ، ١٩٥٢ ، ٢٤ ص. قطع متوسط

الكتيّب مجموعة وثائق تبيّن اهمية وقف اسرة آصاف وتحدو الرغبة فيه الى ان تحمل على التفكير في الموقف الناجم عن نقل المدرسة الاكليريكية البطريركية من عين ورقة الى مار عبدا . ع. خ

فهارس المشرق العامة

تتناول المجلدات الاربعة والاربعين . المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٢ — ٣١٣ ص

عُني بنشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

انه لعمل جليل الفائدة وان تطلّب جلداً طويلاً لم يضنّ به لكي لا تضيع الكنوز القيّمة التي اشتملت عليها مجلة المشرق بعد ان بلغت اﻟ ٥٥ عاماً من سنيها .

ولقد شاء الناشر ان يسهّل على الباحثين والعلماء مراجعة الموضوعات التي تهمّهم في هذه المجلة منبع الثقافة وادابها ليجدوها بدون عناء او ليستعيدوا من مراجعة ما هم بحاجة الى البحث عنه في سبيل فائدتهم وتقدم عملهم .

ولقد ساهم في هذه المجلة زهاء ٦٠٠ او ٧٠٠ كاتب واديب وعالجوا اكثر من خمسين فصلاً من العلوم والآداب وثمة مئات من الكتب قد تمّ احصاؤها، وكل ذلك مما يبعث الثقة في صدر القارئ ، بمجلة اتت ببراهينها على انها تحمل اليه اوفى ضمان على الحقيقة ولا يسع احد يودّ الانتفاع من مجلة المشرق ان يستغني عن هذه الفهارس . ...

P. P. Raphael. — *Le rôle du Collège Maronite Romain dans l'orientalisme aux XVII^e et XVIII^e siècles.* (Université S^t-Joseph de Beyrouth, Publications du 75^e anniversaires) in-8°, 190 pp., 7 pl. Beyrouth, 1950.

دور خريجي المدرسة المارونية الرومانية في الاستشراق
في القرنين السابع عشر والثامن عشر
بقلم الاب بطرس رفائيل

ليس المنسنيور بطرس رافائيل بحاجة الى تعريف الى القرّاء . فهو المؤلف المعروف الغيور على ابراز امجاد لبنان والموارنة خاصة . ولقد سبق له ان وضع بضعة مؤلفات نذكر منها مؤلفاً عن ارز لبنان واخر عن دور الموارنة في الحفاظ على الدين الكاثوليكي في هذه البقعة من الشرق . وها هو يطلع علينا في هذا المؤلف الذي نحن بصدده بلائحة طويلة جليلة لاكثر من خمسين علماً من امجاد الطائفة المارونية ممن تخرجوا من المدرسة المارونية في روما في القرنين السابع عشر والثامن عشر وخلفوا لهم اسماً وذكراً في حقول العلم لا سيما الدينية منها .

تنحصر غاية المؤلف في هـذا السفر في جمع اسماء هؤلاء المشاهير من مواطنها المبعثرة وفي تلخيص ترجماتهم من المولد الى الممات مع ذكر المناصب التي شغلوها والمؤلفات التي وضعوها فخلدت اسمهم في تاريخ الفكر ، لكي يتيسر على القارئ الاطلاع بنظرة عجلى جامعة على فضل من خدموا بلادهم وشرفوها بخدمتهم العلم والدين في لبنان وفي اوروبا .

والكتاب مقدم لقداسة البابا بمناسبة اليوبيل المسكوني ١٩٥٠ شكراً له على اياديه البيضاء على الطائفة الامينة ، وليكون حافزاً للخلف على الاقتداء بالسلف بتوثيق العلاقة بروما التي لولاها لما بلغت تلك المواهب ذلك الشأو .

ويبدأ الكتاب بعرض سريع لتاريخ الاستشراق في اوروبا ، وبنبذة عن

تاريخ المكتبة الفاتيكانية وعن انشاء المدرسة المارونية في روما وعما كان لخريجيها من اثر في تكوين الجزء الشرقي في مكتبة الفاتيكان . ثم يترجم للموارنة المستشرقين في القرن السابع عشر فتبرز وجوه خمسة وعشرين منهم بشكل باعث على الاعجاب نخص بالذكر منها وجه ابرهيم الحاقلاني المشرق الذي جاهد كثيرًا وعانى كثيرًا من الحساد والسعاة التوسكان اثناء ترجمته لبعض اسفار الكتاب المقدس في باريس . ويفرد قسماً لاربعة وثلاثين كاتباً تعاقبوا خلال القرن الثامن عشر وشقوا لهم طريقاً لا تزال معالمها باقية ، على ان الجزء الاكبر من هذا الوصف منصب على تعداد اثار الرجل العالمي الشهرة الكردينال يوسف السمعاني الذي خدم العلوم الشرقية خدمة لا تزال اثارها ثابتة في مكتبته الشرقية النفيسة وفي بضع عشرات من المؤلفات فضلًا عن مآتيه في حقل الاعمال الكنسية . ولقد نتمنى على المؤلف ان يولي ترجمة بطرس مبارك النسطاوي وميشال الغزيري — ان استطاع الى ذلك سبيلًا في المستقبل القريب — ما هما جديرتان به من التعمق والتوسّع .

وفي الخاتمة يأتي على لمحة عن جرمانوس فرحات الذي ساهم في احياء العربية والذي لا تزال ترجمته للعهد الجديد متداولة الى اليوم . قراءة كتاب الاب رافائيل منعشة ومنشطة لانها تغذي حب الوطن بغذاء صراح وتحفز على مواصلة التنقيب في بطون المكاتب عن اثار الاجداد . ي. ع.

WILLIAM MARÇAIS : *La femme dans les Mille et une nuits* : in Revue de la Méditerranée. 1951. t. 10. n. 1. janvier - février. Paris - Alger. 73 bis. Quai d'Orsay ou 9 rue Frollier - Alger.

لقد جاء عنوان هذا المقال عاجزًا عن تبيان ما اشتمل عليه ، فلقد فتن الكاتب الذي اخذ على عاتقه ان يحدثنا عن المرأة في الف ليلة وليلة بمجامع القلب منا بما ابداه من ملحوظات مع نشأة النثر عند الشعوب . فقد اوضح الميزات العامة لهذا الكتاب التي تداولته الايدي على مر العصور وزادت عليه حسب الظروف والاوقات .

وبعد ان تصدّى الكاتب الى ابداء بعض الاراء الشخصية على ما كان

مختلا ان يكونه وضع المرأة في العصور الغابرة ختم مقاله بملحوظاته الاجتماعية حول وضعها في الاسلام الحديث .

ووصف المرأة واجناس النساء اللواتي تتحدث عنهن الف ليلة وليلة واشاراته الخاطفة فيهن تحتل قلب مقاله . اما الجدير بنا ان نلحظه فمقدرة الكاتب على ايجاز هذه الامور التي اختلط حابلها بنابلها في نصوصها الاصلية لانه يدل على وفرة مطالعاته الشخصية . ا٠ع٠خ

A. BERTHIER. — *L'Algérie et son passé.* — in - 8°, 216 pp., 82 gravures en phototypie, 6 cartes, index des noms de lieux. — Préface de J. CARCOPINO. Paris, Picard 1951.

انه لتحدّ باعث على الدهشة تلك الصفحات التي بسط فيها بتوسّع الفنان برتيه العالم بتفكيك الخطوط ، قيم المخطوطات في قسطنطينة كيفية تاريخ الجزائر منذ اصولها الفينيقية القرطاجية حتى ايامنا الحالية . فتوسع توسعاً مسهباً حول عهد البربر المسيحي وهو عصر الجزائر الذهبي بلغ اوجه مع عبقرية القديس اغسطينوس . ودعم هذا الاختصاصي جميع ما اوضحه بوثائق اثرية من الطراز المعلم وبرسوم تلفت النظر (لقد اخذ هذه المشاهد السيد فركو (Fercot) في اثناء اقامته الطويلة في الجزائر) هي خير من كل ايضاح مسهب لتشهد على حيوية العرق البربري الذي كان من افضل العروق للتفاهم مع عرقنا .

ولقد دللت فرنسا على هذا خير تدليل بادارتها الرشيدة الحرّة اذ جعلت هذا الشعب يزداد ستة اضعاف عمّا كان عليه خلال قرن واحد . ه.ش

L. HOMO : *Alexandre le Grand.* (Coll. « Les grandes études historiques»). In - 16, 392 pp.,2 cartes, Paris, A. Fayard, 1951.

لم يكن في اللغة الفرنسية غير كتابين حديثين حول الاسكندر الكبير هما كتاب جورج رادت (Georges Radet) وهو مجموعة من محاضرات شاملة اكثر منها تاريخاً لرجل واحد ، وترجمة و. فيلكن (U. Wilcken) : اسكندر الكبير (Alexander der Grosse) اصدرتها مكتبة بايو (Payot) .

ولقد نسج على منوال هذا الاخير منهما السيد ليون هومو فوضع لوحة كاملة لشخص الفاتح الكبير ولاعماله تصل معها من سوابقه وميزته وبرنامجه «الصليبية

اليونانية» و «الملحمة الشرقية» ومن ثم تنظيم الامبراطورية الى وفاته .

والجزءان السادس والسابع « احلام وحقائق » و« اسطورة الاسكندر » يشتملان على وصف تفكيك الامبراطورية وتجزئتها الى ممالك يونانية وعلى بعث حياة الاسكندر في القصة القديمة وفي ادب فارس واناشيد البطولة في القرون الوسطى .

والمؤلف معروف بطريقته : التقسيم الواضح وسرد الرواية بسرعة وبالتفصيل ومن ثم بالاكثار من الاستشهادات باقوال المؤرخين القدماء . وقد ناقش بلوتارك (Plutarque) واريان (Arrien) في المجهودات التي بذلها الاسكندر لايجاد امة يونانية فارسية . اما وصفه لهذا البطل فيستند الى حكم الاقدمين ويتضح من صورة في بومباي (Pompéi) تمثله قائماً الى جانب ارسطو معلمه تحت نظر اولمبياس (Olympias) .

والذي جعل فائدة الكتاب عملية الفهرست والثبت الموجز لما كتب عن الاسكندر والخارطتان .

ولم يقع تحت انظارنا في هذا الكتاب ما يشير الى اقامة شعائر عبادة للاسكندر بعد وفاته لا في الاسكندرية ولا في افسس ولا في ايسوس حتى القرن الثالث المسيحي (راجع Rostovtzeff, *Mélanges Syriens R. Dussaud*, I. p. 285).

وما هذا النقص الّا ثلمة لا يؤبه لها بين الاقوال المديدة التي استمدّها المؤلف من مصادرها وعرضها عرضاً شائقاً . ر. م

Ignace-Abdo Khalifé s. j. — *Catalogue raisonné des manuscrits de la Bibliothèque Orientale de l'Université Saint-Joseph.* Seconde série — Impr. Catholique — Beyrouth, 1952 — in Mélanges de l'Université Saint-Joseph, XXIX (1952), fasc. 4.

كان الاب شيخو قد درس ٧٩٣ مخطوطة من مجموعة مخطوطات المكتبة الشرقية العربية ومنذ وفاته دخل المكتبة الشرقية عدد عديد من المخطوطات الجديدة فلم يكن بالاستطاعة ابقاءها بدون دليل . لذلك عوّلنا على ان نباشر سلسلة جديدة لنتمّ بها عمله فشرعنا اولاً بالمخطوطات المسيحية اللاهوتية منها والطقسية لنتبعها شيئاً فشيئاً بمخطوطات اخرى .

واننا نأمل ان نضع بذلك في متناول الذين يرغبون في الاطلاع على مخلفات الاقدمين ما يخولهم ان يروا هنا تحليلاً لاقوالهم في مختلف دروسهم . ا. ع. خ

مكتبة صادر

اهدت مكتبة صادر الى ادارة مجلة المشرق الكتب التالية :

ديوان ابن هاني ، تحقيق وشرح كرم البستاني

من قطوف الاغاني المددين ١٤ و ١٥ : نُصيب بن رباح وحسّان ، تحقيق وشرح كرم البستاني

من العقد الفريد الجزء ١٥ : ادب المنابر ، تحقيق وشرح كرم البستاني

اديب لحود : العادات والاخلاق اللبنانية
الفتاة المفقودة
امرؤ القيس والفتاة الطائية
الوباء

عادل ابو النصر : تربية النحل

الموزع الوحيد : المكتبة الشرقية — ساحة النجمة — بيروت

مكتبة دار المعارف

واهدت الينا ايضاً مكتبة دار المعارف الكتب التالية :

حسن احمد الخطيب : فقه الاسلام

اسحق رمزي : ما فوق مبدأ اللذة

نجاتي صدقي : الاخوات الحزينات

حسن جوهر ، احمد محمد برانق ، امين احمد العطار : الف ليلة وليلة ، الجزءان الاول والثاني

سلمى الحفار الكزبري : حرمان ، قصص موضوعة ومعرّبة .

شارع مسبيرو بالقاهرة — مصر

BIBLIOTHECA ARABICA SCHOLASTICORUM

SÉRIE ARABE

Textes établis par le Père Maurice BOUYGES, S. J.

Tome I. — ALGAZEL, *Maqâçid al-Falâsifat* *(en préparation)*

Tome I.— ALGAZEL, *Tahâfot al-Falâsi[illegible]* ou « Incohérence des Philosophes ». xxx+447 pp. - Imprin[illegible] Catholique, 1927.

Tome III.— AVERROÈS, *Tahâfot at-Tahâfo[illegible]* « Incohérence de l'Incohérence ». XL+679 pp. Imprimerie C[illegible] lique, 1930.

Tome IV.— AVERROÈS, *Talkhîç Kitâb al-Maqoûlât*, ou « Paraphrase du *Livre des Catégories* d'Aristote ». XL + 184 pp. - Imp. Catholique, 1932.

Tomes V-VI-VII. — AVERROÈS, *Tafsîr Mâ ba'd aṭ-Ṭabî'at*, ou « Grand Commentaire de la *Métaphysique* d'Aristote ».

Tome V,1. — (NOTICE). CCXVII pages. Impr. Catholique 1952.

Tome V,2. — Livres petit ALIF, grand ALIF, BA', GIM. VIII + 472 + [24] pp. Impr. Catholique 1938.

Tome VI. — Livres DAL, HE, ZAY, HHA' TTA'. XVI + 762 + [34] + 4 pp. Impr. Catholique 1942.

Tome VII. — Livres YA' et LAM, et Tables des Matières. XVI + 520 + [24] + (317) + 2 pp. Impr. Catholique 1948.

Tome VIII. ALFARABI *Risâlat fî'l-'Aql*, ou « Opuscule sur l'Intellect ». XXIV+48 pp. Impr. Catholique 1938.

◆

ظهرت حديثًا

فهارس المشرق العامة

تتناول المجلّدات الاربعة والاربعين الاولى

للمطبعة الكاثوليكية–بيروت. ١٩٥٣ ٣١٢ ص. عني بنشرها الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

Ignace-Abdo KHALIFÉ, S.J. — *Catalogue raisonné des manuscrits de la Bibliothèque Orientale de l'Université Saint Joseph. Seconde série* — Impr. Catholique - Beyrouth, 1952.

Pedro DIB, Docteur en Droit — *Essai sur une théorie des Mobiles en Droit Hanafîte.* — Préface de Choueri CARDAHI. — Imprimerie Catholique. Beyrouth 1952. XVII + 416 pp.